محمود السّعدني

على باب اللّـه !



دار الهـــلال

على باب الله

محمود السعدنى

دار الهلال

الغلاف للفنان :

طـــــوغــــان

مقدمة :

السرور والانشكاح

بقلم: محمود السعدنى

●● «على باب الله» هو أول عنوان اخترته ليكون بروازا على مقالى فى الصفحة الأخيرة بـ «المصور»، ولم يكن لى علاقة بـ «المصور» أو بأى مجلة تصدرها «دار الهلال»، صحيح أننى عملت بـ «دار الهلال» فترة انقطعت عام ١٩٥٣، وكانت فترة قصيرة لم تزد على ثلاثة أشهر، خلالها اكتشفوا أن العبد لله لا يصلح للمهنة واكتشفت أنا أيضا أننى لا أصلح للمهنة معهم، وقد تركت العمل فى صحف «دارالهلال» وعملت فترة فى جريدة «القاهرة» ثم تركت «القاهرة» وانتقلت للعمل بجريدة «الجمهورية»، وعندما تم فصلى من الجمهورية عملت بـ «روزاليوسف» عام ١٩٥٨ سكرتيرا لتحريرها وكان فتحى غانم يعمل مديرا للتحرير وإحسان عبدالقدوس يعمل رئيسا للتحرير، ثم تركت «روزاليوسف» بعد خروجى من سجن الواحات وفضلت العمل فى مجلة «صباح الخير» حيث كان فتحى غانم قد أصبح رئيسا لتحريرها، وبقيت فى «صباح الخير» حتى توليت رئاسة تحريرها لمدة ٤ سنوات، ولم أتركها إلا إلى سجن القلعة، وبعد خروجى من السجن اكتشفت أننى مفصول من دار «روزاليوسف» بقرار جمهورى، وممنوع من العمل فى مجال الإعلام أنا وأقاربى حتى الدرجة الرابعة باستفتاء شعبى حصل على أغلبية ٩٩,٩٩٩ وأشرف على الاستفتاء نائب رئيس الوزراء النبوى إسماعيل وهو فى الوقت نفسه وزير الداخلية الذى أدت سياسته الأمنية الرشيدة إلى حادث المنصة، وهو الحادث الذى كان السبب فى حل مشكلتى فعدت إلى وطنى بعد عشر سنوات فى المنفى الاختيارى، وكان من الطبيعى أن أعود إلى مؤسسة «روزاليوسف» وإلى مجلة «صباح الخير» بالذات، ولكن رئيس مجلس الإدارة وقتئذ تفرغ لمراقبة مقالات العبد لله، فاضطررت إلى التوقف عن الكتابة بعد أن قام برفع مقال للعبد لله كان يحمل نقدا لوزير الإعلام، وبعد أن أقام المدعى العام الاشتراكى الأسبق دعوى ضد العبد لله أمام محكمة الجنايات بالإسكندرية، والتى حصلت على البراءة أمام المحكمة، ولكن حكم البراءة لم يقنع رئيس مجلس الإدارة، فظل مصرا على أننى مذنب واستحق الفصل، ودخلت فاصل تحدى مع رئيس مجلس الإدارة، وقمت بزيارة مكرم محمد أحمد رئيس تحرير «المصور» ولم أكن قد تعرفت عليه قبل تلك الزيارة، مع أنه من الجيل الذى جاء بعد جيل العبد لله، وعرضت عليه المقال الذى انتقدت فيه وزير الإعلام، وقلت له سأكتب لـ «المصور» إذا نشرت هذا المقال، وفى الأسبوع التالى نشر مكرم محمد أحمد المقال، وقال لى لقد خصصت لك الصفحة الأخيرة فاختر لها عنوانا ثابتا، فكان عنوان «على باب الله»، ومنذ أكثر من ١٥ عاما، وأنا أكتب «على باب الله» فى «المصور»، ولم يحدث فى أى وقت أن حذف لى جملة أو عبارة أو حرف، ولم يرفع لى مقال وشعرت بالطمأنينة فانطلقت بجرأة أنقد الحكومات المتعاقبة والوزراء الهمبكة من أمثال الدكتور حسن خضر وزير التموين، ولم أدخل أى محكمة خلال مشوارى فى مجلة «المصور» وكانت النتيجة أن الصلة توطدت بينى وبين مكرم محمد أحمد.

لقد تعرفت عليه وأصبح صديقى.. وتشرفت.. وهذا الكتاب يضم لوحات من «على باب الله»، أرجو أن تنعش ذاكرتك وأن تدخل على قلبك السرور والانشكاح! ●●



بضمان خالتى بهانة

شخصية القرن العشرين

فى ستين ألف سلامة حضرة جناب القرن العشرين ، قرن الحوادث والكوارث ، قرن الحروب والدمار والخراب المستعجل.

فى البداية اندلعت نار الحرب العالمية الأولى، ولم تكد تمضى عشرون عاماً حتى شبت نار الحرب العالمية الثانية. وفى الحربين أكلت النار من أجساد البشر حتى شبعت وشربت من دمائهم حتى ارتوت . مجازر لم يشهد التاريخ لها مثيلا . عشرات الملايين دفنوا تحت الأنقاض، ومثلهم دفنوا فى الخنادق، وناموا نومتهم الأبدية تحت الثلوج.

وقيل إن جيشا ألمانيا من ثلاثة ملايين جندى انطلقوا ذات صباح من ألمانيا ووجهتهم موسكو، ومن بين هؤلاء الملايين الثلاثة لم يكتب إلا لعشرين جنديا رؤية ألمانيا مرة أخرى!

وبالرغم من الخراب والدمار اللذين أحدثتهما الحربان العالميتان ، إلا أن الكرة الأرضية لم تهدأ ولم تستقر. جاءت حرب كوريا ثم حرب فيتنام . واندلعت عدة حروب فى الشرق الأوسط ، وشبت نار الحرب فى جزيرة فوكلاند ، وفى افريقيا أكلت الحروب الأهلية قبائل بأسرها. وشهدت القارة الهندية حربين بين الهند وباكستان، وأخيراً كانت حرب البوسنة ثم حرب كوسوفا ثم حرب الشيشان.

ولم تكن الحرب فقط هى التى أكلت أرواح الناس، ولكن هناك عدة جبهات للقتال ، أمراض لم يكن للبشر عهد بها من قبل ، أخطرها مرض نقص المناعة الذى يكاد يمحو كل أثر للحياة على أرض أفريقيا.

وإذا كان القرن العشرون يلملم أذياله الآن ليفسح الطريق أمام القرن الحادى والعشرين، فلا أظن أن أحدا سيأسف لفراقه أو يذرف دمعة فى وداعه . فما أكثر المصائب والنوائب التى شهدتها سنواته . وما أغزر نهر الدموع التى ذرفها البشر تحت أقدامه . لم يبق لنا إلا أن نهتف فى وداعه. فى ستين ألف سلامة يأيها القرن العشرون، لعل القرن القادم يكون أفضل وأسلم وأكثر أمنا وأمانا لصنف البشر الذين ذاقوا الويلات خلال القرن العشرين. وبمناسبة انتهاء القرن العشرين واستقبال قرن جديد، لماذا لا نجرى استفتاء

لاختيار شخصية تكون تعويذة للقرن الذى يستعد للانسحاب الآن. وهى لن تكون عملية سهلة ولن تكون بسيطة ، ومع ذلك فلنخض التجربة ونتوكل على الله.

والسؤال : ماهى الشخصية التى تصلح علامة على القرن العشرين؟ هل هى شخصية القائد الذى قاد الجيوش ودك العروش وهزم الأعداء ورفع رايته وترك بصمته على وجه التاريخ؟

ولكن القادة المنتصرين كثيرون . هل نختار روميل أوسع قادة الحرب العالمية الثانية شهرة؟ هل يقع اختيارنا على مونتجمرى صاحب الفضل فى إحراز نصر العلمين؟ هل يكون اختيارنا من نصيب الجنرال إيزنهاور قائد جيوش الحلفاء فى معركة تحرير أوربا من براثن الجيش الألمانى؟

إذا كان لابد من اختيار قائد عسكرى ، فالعبد لله يختار الجنرال جياب قائد الجيش الفيتنامى ضد الجيش الفرنسى ثم ضد الجيش الأمريكى ، واختار القائد الشيشانى شامل باسييف قائد مجاهدى الشيشان ضد جيوش الامبراطورية الروسية.

وإذا كنا سنختار شخصية القرن من بين القادة الذين قادوا شعوبهم إلى النصر الكامل بدون أسلحة أو جيوش، فاختيار العبد لله سيقع على المهاتما غاندى زعيم القارة الهندية ، وسيكون فى مقدمة المرشحين لعملية الاختيار الزعيم الأفريقى نلسون مانديللا . أما إذا كانت شخصية القرن العشرين ستأتى من صفوف العلماء . فسيكون اختيارى للعلامة العبقرى اينشتاين الذى حطم الذرة . ونجح فى اخراج المارد من القمقم. أما إذا كانت شخصية القرن سيجرى اختيارها من بين الزعماء الذين أحدثوا تغييرا جذريا فى مسيرة الحياة، فسيكون الاختيار من نصيب السياسى الفيلسوف جورباتشوف الذى قاد أخطر انقلاب فى تاريخ البشرية، وكانت نتيجته زوال المعسكر الاشتراكى وانفراد أمريكا بزعامة المعسكر الرأسمالى وقيادة العالم كله.

وإذا كانت عملية اختيار شخصية القرن العشرين من بين المفكرين والأدباء فسيكون اختيارى للأديب المصرى العالمى نجيب محفوظ، والذى نجح فى تقديم حرافيش القاهرة إلى المجتمع الدولى، وجعلهم موضع الاحترام والتقدير.

أما إذا كان اختيار شخصية القرن من بين نجوم الفن وأبطال السينما، فسيكون اختيارى للفنان شارلى شابلن الذى استخدم السينما كسلاح ، والذى استطاع أن يضحك العالم ببدلة مهرولة وعصا ملوية وحذاء ضخم لايستقر فى أقدام صاحبه.

إما إذا كان اختيار الشخصية من بين كباتن كرة القدم فسيكون اختيارى للكابتن محمود الجوهرى الذى نجح فى الحصول على بطولة افريقيا بالنجوم والكباتن أنفسهم الذين فشلوا

فى الحصول على كأس جزيرة بدران، وهى معجزة بكل تأكيد ترشحه ليكون نموذجا وعلامة على القرن العشرين.

أما إذا كان الاختيار سيكون وقفا على رجال المال والأعمال والمستثمرين من رجال الاقتصاد فسيكون اختيارى للحاج فتحى الريان، لأنه استثمر بدون رأسمال، وصار من رجال الأعمال بدون حاجة إلى وجود أية أعمال. وما قام به الحاج فتحى هو معجزة من معجزات هذا القرن يستحق صاحبها مكانا فى الصدارة ، ودورا فى قيادة هذا الزمان.

ترى هل نسينا طائفة من الطوائف أو مهنة من المهن فلم نرشحها فى هذا الاستفتاء؟

أعتقد أننا نسينا طائفة مؤلفى المسلسلات التليفزيونية، وأرشح من بينهم مؤلف حارة المحروسة ، لأنه كالدنيا يؤلف ولا يؤلفان!

شعاره .. غر غيرى!

بعض الناس تموت فور استخراج شهادة الوفاة، وبعضهم تتواصل حياته بعد الموت، وقد يصبح غيابه أكثر حضورا وأعمق أثرا من هذا الصنف من البشر وعلى رأسهم الزعيم جمال عبد الناصر أحد أعظم حكام مصر فى تاريخها الطويل، حقق إنجازات بعضها يعتبر ضربا من ضروب الخيال، وارتكبت أجهزته هفوات بالرغم من خطورتها لم تستطع تلطيخ الثوب الأبيض بالبقع السوداء ، أنصاره ارتفع بهم العشق إلى مرتبة الدراويش، وأعداؤه تحول بعضهم إلى طلاب ثأر، وجهوا إليه كل التهم ورموه بكل نقيصة، لم ينجح الموت فى إخماد النار المتأججة فى صدورهم، لدرجة أن بعضهم اتهمه بأنه با ع بعض بواكى الدولارات وحصل على عمولته من حصيلة البيع، مع أنه أكثر خلق الله زهداً فى الدنيا، وكان شعاره الذى رفعه فى مواجهتها .. غُرى غيرى .. غرى غيرى!.

الله يرحمه ويحسن إليه جمال بن عبد الناصر حسين، البطل الذى اصطاده أعداؤه فى النهاية وقتلوه هما وغما، الأسلوب نفسه الذى اتبعوه مع محمد على باشا، ومع على بك الكبير، ويقول أعداء عبد الناصر ، ولماذا لم يأخذ عبد الناصر حذره؟، ولم يحتط لذلك اليوم الذى كان يخشاه ويتوقعه؟ وردى عليهم .. وهل أخذ الاتحاد السوفييتى حذره؟ إحدى القوى الأعظم فى العالم ، مع أنه كان يمتلك أسباب القوة ، جيش قوى وشبه متماسك وحزب حديدى، وبالرغم من ذلك نجحت المؤامرة ، وتفكك الاتحاد السوفييتى، وحل زعماء المافيا محل قادة الحزب، وأصبح الفساد هو النظرية، وتجار السوق السوداء هم أعضاء اللجنة المركزية ، ذلك لأن كيد القوى الشريرة أخطر من كيد النساء، ولأن فى طبيعة البشر شيئاً يجعلهم يرفضون القيود مهما كانت أهدافها لخدمة المجموع، ويجعلهم يضيقون بالعدل المطلق حتى لو كان الذى يطبقه هو الخليفة عمر بن الخطاب، ولله در «الدكتور طه حسين» تعرض لهذه المسألة بشكل عبقرى فى كتاب «الفتنة الكبرى» قال الدكتور طه فى كتابه: (عندما مات عمر بن الخطاب فرح المسلمون أيما فرح وابتهجوا أيما ابتهاج) ، والسبب طبعاً أن سيدنا عمر لم يكن يرحم مذنباً أو يعفو عن مخطىء وفى زمن عمر بن الخطاب ترددت نكتة تقول إن سيدنا عمر لمح زجاجة خمر مع رجل فى الطريق، فتعقبه وألقى القبض عليه، فأخفى الرجل يده الممسكة بالزجاجة خلف ظهره، فسأله عمر: ماذا فى يدك؟.. أجاب الرجل زجاجة خل، فقال عمر بل زجاجة خمر،

فتوسل الرجل إلى عمر أن يتركه لأن محتويات الزجاجة التى معه من الخل ولا علاقة لها بالخمر ، ولكن سيدنا عمر أصر على رؤية الزجاجة، فتوسل الرجل إلى الله جل جلاله أن ينقذه من العقاب الذى ينتظره على يد عمر ، وكانت المفاجأة أن سيدنا عمر عندما انتزع الزجاجة من يد الرجل اكتشف أن الزجاجة بها خل،ولا أثر فيها للخمر .. النكتة تقول إن الله سبحانه وتعالى كان أرحم بالرجل المخطىء من سيدنا عمر ، هذا كان فى مجتمع سيدنا عمر بن الخطاب ، فما بالك بمجتمع عبدالناصر؟. الذى كان فيه أمثال على شفيق وحمزة البسيونى واللواء إسماعيل همت؟!. والآن وقد مضى ثلاثون عاما على وفاة جمال عبدالناصر ما الذى بقى منه على أرض مصر؟ بقيت مصر العمال والفلاحين وكانوا كما مهملا فى العهد الملكى، وبقيت مصر بدون الاحتلال الانجليزى الذى بقى جاثما على أرضها سبعين عاما طويلا، وبقيت قناة السويس شركة مساهمة مصرية والتى أصبحت أهم مرفق ملاحى على ظهر الأرض، قناة السويس التى يديرها الفريق أحمد فاضل مع نخبة من شباب المصريين، وبقى السد العالى الذى حمى مصر من المجاعة ومن الغرق، وبقيت مصر زعيمة العالم العربى، ودرة العالم الإسلامى، وبقيت الجمهورية المصرية التى نعيش فيها ونحيا على أرضها، لقد كانت صفقة عبد الناصر صفقة رابحة لمصر ، وكان عبدالناصر هو الخاسر الوحيد فيها، ولو عاش عبدالناصر مجرد موظف فى دواوين الحكومة لاستمتع بحياته أكثر وربما عاش أطول وأهنأ، ولو كان عبدالناصر من طلاب الدنيا لكان بمواهبه وحضوره وقوة شخصيته من كبار رجال الأعمال ، ولكان الآن يقضى أيامه فى منتجع سويسرى هاربا بأموال عشرة بنوك من بنوك مصر ، ولكن كل إنسان يعمل لما هو ميسر له، فقد عمل عبدالناصر لما هو مخلوق له ، وكان ميسرا للمجد وللنضال ولخدمة بلده وشعبه ، وعاش حياته يقاتل على كل الجبهات، وعاش ومأكوله الجبن البيضاء ، ودواؤه الماء الساخن المخلوط بالملح يغمس فيه قدميه ليشعر بالراحة بعد تعب وعناء، رحم الله الزعيم جمال عبدالناصر وجزاه خيرا بما قدمه لبلده وشعبه الأصيل الذى عاش لمصر ومات من أجلها.

●●●

كشف ميداليات دورة سيدنى الاسترالية يعكس مدى التغيير الذى تسبب فى شقلبة الدنيا وأعاد توزيع الأدوار والأماكن ، الولايات المتحدة فى المقدمة ، وبعدها مباشرة الصين ، ثم تأتى روسيا بفارق كبير فى المركز الثالث ثم تأتى استراليا صاحبة الأرض فى المركز الرابع ، وحصلت على نصف ميداليات الولايات المتحدة، ثم فرنسا ولها نفس مالدى استراليا من ميداليات ، ثم إيطاليا بعد فرنسا ثم رومانيا ثم هولندا ثم بريطانيا التى كانت عظمى ولها ٦ ميداليات لاغير ثم هولندا بعد بريطانيا ، ونقرأ فى ذيل الكشف أسماء دول نامية مثل كولومبيا

وإيران وموزمبيق وجنوب افريقيا وچاميكا ، ولم نقرأ فى الكشف اسم دولة عربية واحدة بالرغم من حصول الكويت على ميدالية برونزية، والأمر الّذى لا أجد له تفسيرا كيف يتمكن رجل من أثيوبيا من هزيمة متسابقين معه من السويد وسويسرا وأمريكا وكندا، فى مسابقات المسافات الطويلة فى العدو، فاز العداء الأثيوبى هيلاسى على متسابقين من هولندا وسويسرا والسويد والولايات المتحدة . كيف يحدث هذا؟ بينما إفطار الرجل السويدى يكفى لإطعام الأثيوبى فى عام، وولد كوبى اسمه جارثيا فاز على جميع أبطال العالم فى مسابقة مائة متر عدو مع الحواجز ، فاز الكوبى الغلبان على بطل العالم الأمريكى وبطل أوربا البريطانى والبطل الهولندى ، مع أن الفرق معروف بين كوبا والولايات المتحدة، طيب وإذا كان هذا ممكنا فلماذا نحن الخيبة ماسكانا؟ واشتراكنا فى هذه المهرجانات مثل عدمه ، وإذا كانت كينيا وموزمبيق قد استطاعتا أن تنقشا اسمهما على كشف الميداليات، فهل نحن فى درجة أقل من موزمبيق وترينداد وتوباجو؟ إن هناك دولا كثيرة الأكل فيها بمضاربة على رأى بيرم التونسى حصلت على ميداليات، وبعض هذه الدول تعانى من المجاعة والبطالة ووقف الحال، فلماذا نحن فقط الذين ينطبق علينا المثل إياه ... «الناس خيبتها السبت والحد وإحنا خيبتنا مش على حد»!.

والسؤال الآن .. من المسئول عن هذه الخيبة؟ الاتحادات الرياضية ، اللجنة الأوليمبية ، وزارة الشباب ، نادى الأسد المرعب ، هذا السؤال لابد له من جواب ، ولابد أن تكون هناك مساءلة وتحقيق .. أيا كان المسئول لأن فضيحة مصر على المستوى الدولى لايمكن السكوت عليها ، ولا يمكن السماح بمرور هذه التجربة بدون عقاب .. إلا إذا كان هناك من يرى أن الحصول على الميداليات ليس المهم، ولكن المهم هو رضا الوالدين ! .

شوف بتعمل إيه ؟!

الحمد لله لأننى بعد هذا العمر الطويل ، عشت وشفت الحكومة تخطىء فى حق مواطن ظريف، ثم تقوم بإصلاح الخطأ فى صمت وفى هدوء ودون تدخل من أحد، وهى علامة على أن حكومة الجنزورى تمضى فى الطريق الصحيح، وأصل الحكاية أن أكبر رأس فى البلد كان يقوم بافتتاح بعض المشروعات الجديدة كما هى عادته ، عندما وقع بصره على خطأ فاحش لا يمكن وقوعه إلا عن طريق الكوسة وتبادل المنافع والمصالح والإكراميات ، وسأل الرجل الكبير السيد المحافظ عن هذا الخطأ الذى لا يمكن أن تتجاهله عين المواطن العادى، فما بالك بالمواطن الخبير ، ورد السيد المحافظ على الفور ... إنها مسئولية رئيس الحى وسنتخذ ضده الإجراءات القانونية.

ولم يكن الرجل الكبير قد عاد إلى مكتبه بعد حتى كان المحافظ قد اتخذ قراره بوقف رئيس الحى وإحالته إلى النيابة ، والنيابة ليست وكيلة المحافظ ولكنها وكيلة الشعب ، ولأنها وكيلة الشعب فهى تبحث عن الحقيقة ، واكتشفت النيابة أن رئيس الحى مظلوم لأنه تولى مسئولية الحى بعد عشر سنوات من وقوع الخطأ وأن ذنبه الوحيد أنه على خلاف مع السيد المحافظ، وأن المحافظ انتهز الفرصة لكى يتخلص من غريمه مرة واحدة وإلى الأبد.

وأفرجت النيابة عن رئيس الحى من سراى النيابة وقضى رئيس الحى المخلوع ١٨ شهرا على القهوة يلعب الطاولة ويدخن الشيشة ، ولكن فجأة وبدون مقدمات صدر قرار الحكومة فى حركة المحليات الأخيرة بتعيين رئيس الحى المخلوع رئيسا لمدينة كبرى، دليل على أن الله لايضيع أجر من أحسن عملا، ودليل أيضاً على أن الحكومة يمكنها تصحيح أخطائها.

ولكن يبقى سؤال فى غاية الأهمية: ماهو جزاء المحافظ الذى كذب على أكبر رأس فى الدولة؟، وما هى العقوبة التى يستحقها المحافظ - أى محافظ - عندما يكتب مذكرة رسمية مرفوعة لرئيس الدولة يصف فيها مواطناً صالحاً مشهوداً له بالصلاح والاستقامة من الجميع بأنه بلطجى معروف؟، وما هو غرض المحافظ من إتهام مواطن بالبلطجة؟. هل كان يريد ضوءا أخضر لاعتقال المواطن؟، وماذا يكسب المحافظ من اعتقال مواطن شريف خدم النظام والشعب بهمة ونشاط وأمانة ليس لها نظير؟ ، ماهو عقاب مثل هذا المسئول الذى مارس

الكذب بطريقة لاتليق برجل فى موقعه؟!، وأخطر شيء على الدولة - أى دولة - أن يكون فى موقع المسئولية بعض القيادات التى تمارس الكذب من أجل مصالح شخصية، ولكن ماحدث مع رئيس الحى الذى أصبح رئيسا للمدينة يجعل الأمل يراودنا فى عصر جديد، عصر تعود فيه الحقوق لأصحابها دون وساطة، وستحسب هذه الواقعة بالتأكيد لحكومة الدكتور كمال الجنزورى، وستضاف أيضاً إلى حساب الرجل الشريف هتلر طنطاوى رئيس الرقابة الإدارية وستدخل فى رصيد المحافظ الطاهر اليد واللسان الدكتور فاروق التلاوى.

أذكر مرة منذ أكثر من ٢٥ عاما أننى فوجئت باسمى فى قائمة تضم عدة أسماء لرجال تتشرف بهم مصر ، رجال أمثال محمد عودة ولويس عوض وإحسان عبد القدوس ، وكانت المناسبة هى تجريد أهل القائمة من عضوية الاتحاد الاشتراكى، فى الوقت الذى كانت فيه العضوية شرطاً ضرورياً للعمل فى الصحافة ، أما الجريمة التى نسبت إلينا فهى انهيار الوحدة بين مصر وسوريا ، مع أننى كنت مسجونا فى سجن المحاريق بالواحات الخارجة فى زمن الوحدة ، ولم تطأ قدماى أرض سوريا أثناء الوحدة، صحيح أننى قضيت وقتا طويلا فى دمشق قبل الوحدة، وكنت على علاقة صداقة وطيدة برجال أمثال أكرم الحورانى وصلاح البيطار وعفيف البزرى وكاظم زيتونة وعبد الغنى قنوت وآخرين أمثالهم من الذين أفنوا العمر فى سبيل الوحدة العربية، لم أكن أحد أركان مكتب المشير عامر، ولم أكن أحد مفوضى الحكومة فى دمشق، ومع ذلك وجدت نفسى مفصولا من الاتحاد الاشتراكى، وسيعقبها بالطبع فصلى من الصحافة بسبب انهيار الوحدة اللى ما يغلبها غلاب!، وحفيت قدماى لمدة عام كامل، وأنا انتقل من مكتب إلى آخر، ومن لقاء مسئول إلى مسئول آخر، وفى النهاية تم إلغاء القرار السابق، ولكن دون رد اعتبارى بتعيينى فى منصب كبير بالاتحاد الاشتراكى، أو تسلمى أمانة عامة عوضا عما جرى لحضرتنا خلال فترة الوقف تمهيدا للفصل النهائى ، ولم ينقذنى من محنتى فى تلك الأيام إلا الدكتور أنور المفتى، أعظم طبيب أنجبته أمة محمد فى تاريخها الطويل.

●●●

على رأى الكابتن محمد لطيف ، تكاد الرأسمالية المصرية تضيّع فرصة عمرها، وهى الفرصة التى هيأها لها نظام حسنى مبارك ، أزاح الرجل من طريقها كل العراقيل ، وحصنها بكل الضمانات ووفر لها كل الإمكانات، هدفه الوحيد أن يرى مشروعات عملاقة على أرض مصر، مشروعات تستوعب عمالة كثيرة، وتفتح بيوتا تضم عائلات من شباب مصر: ولكن الرأسمالية المصرية لاتتعلم من أخطائها ولاترغب فى ذلك .. ظهرت طائفة من الهباشين، هبرت من البنوك، ونصبت على المصريين، ولكن أمر هؤلاء هين، فأجهزة الأمن لهم بالمرصاد والقضاء

كفيل بهم، وهناك طائفة أخرى من فصيلة دراكولا، هوايتهم الوحيدة مص دماء الناس، على رأس هؤلاء رأسمالى مصرى شهير اسمه ساويرس، وفى البداية تصورت أنه مستثمر أجنبى ثم اكتشفت أخيراً أنه مصرى من صلب مصرى.. وإذا كانت المصادفة لم تجمعنى بالأخ ساويرس فى أى وقت، فقد اعترض طريقى بشدة عندما أصبح ملك التليفون المحمول ، الفواتير تنهمر على دماغ العبد لله كما المطر فى لندن ، آخر فاتورة دفعتها بمبلغ ٤٥٠ جنيها مصريا كل جنيه ينطح جنيه ، الفاتورة الثانية وصلت العبد لله بعد أسبوعين ،الشركة تطلب مائة جنيه فقط لأننى لم أستعمل التليفون خلال هذا الشهر لسفرى إلى الخارج . ومع ذلك مرحبا بالفاتورة الجديدة، ولكن ماذا فى الفاتورة الجديدة؟ مائة جنيه حساب الشهر، و٣٥٠ جنيها من حساب الشهر الماضى، أى شهر ماضى ياعم ساويرس ؟ عجايب ، لماذا الرأسماليون المصريون وحدهم من فصيلة «حتتك بتتك» لابد من مسح جيوب الزباين حتى آخر مليم أحمر، والاكادة أن العم ساويرس ينطبق عليه قول المتنبىء جوعان يأكل من زادى ويطعمنى لكى يقال عظيم، القدر مقصود! العم ساويرس بشرنى فى خطابه بأنه تكرم وتفضل وتنازل بمنح العبد لله عدة دقائق مجانا ولوجه الله تعالى وسيجرى الخصم على الفاتورة بإذن واحد أحد، صاحب المخل راجل طيب وكريم ولذلك فلابد من الإعلان عن هذا الكرم على الفاتورة نفسها وبخط واضح حتى يعلم الجميع أن الدنيا بخير ولايزال فيها ناس طيبين!، طيب مارأيك ياعم ساويرس؟ العبد لله يرفض هديتك التى ليس لها مثيل فى تاريخ البشر ، وأقول لسعادتك من باب العلم فقط، إننى أثناء زيارتى الأخيرة لبريطانيا اتصلت بشركة تليفونات أهلية واشتركت فى المكالمات الخارجية بمبلغ ٥٠ جنيها فقط، هل تعلم ياعم ساويرس كم أعطتنى مجانا ؟ أعطتنى ٦٠ دقيقة لبلد واحد على ثلاثة أيام بدون أجر على الإطلاق ومنحتنى هذا الامتياز ، وهى تمنحه لكل الناس بدون منة ولا إعلان.

وأقول لك ياعم ساويرس .. فاتورة تليفونك وفاتورة الكهرباء وفاتورة الدروس الخصوصية هى السبب فى كساد الأسواق، لا يتبقى من فلوس الناس فائض للصرف منه فى الأسواق بعد تسديد الفواتير.

وأقول لك فى النهاية ، إنها فرصة العمر هيأها لكم نظام حسنى مبارك ، إذا لم تغتنموها بالسلوك الطيب والعادل والرحيم بشعب مصر، فالعاقبة ليست فى صالحكم ولا فى صالح مصر، لأن التجارة ليست شطارة فقط، ولكنها شطارة ورعاية لمصلحة التاجر ومصالح كل المصريين.

اللهم هل بلغت ... اللهم فاشهد! . ■



التقدم الى الخلف

مرحبا بالمواطن زاهر !

من واجب الشعب المصرى الآن أن يشكر المنتخب السعودى .. لأنه كان السبب المباشر فى خلع السلطان سمير زاهر ، بعد أن فشلت كل المحاولات السابقة فى زحزحته بعيداً عن مملكة الجبلاية التى تربع زاهر فوق عرشها زمنا شهدت خلاله الكرة المصرية نكسات فشر نكسة حرب الأيام الستة . ففى زمن السلطان سمير زاهر خرج المنتخب المصرى خروجا مهينا من تصفيات البطولة الافريقية، وانهزم المنتخب أمام منتخب ليبيريا وهو المنتخب الغلبان الذى يتكون من لاعب واحد هو (وايا) ومعه عدد من الأفراد.

وبفضل السلطان زاهر انهزم المنتخب المصرى للمرة الأولى فى تاريخه من المنتخب الكويتى ، وبالرغم من ذلك لم يخجل السلطان زاهر ولم يشعر بالذنب . ولأن الطيور على أشكالها تقع فقد استعان السلطان زاهر بالكابتن فاروق جعفر كمدير فنى للفريق المصرى ، مع أن غاية طموحات فاروق جعفر أن يكون مدربا لفريق المريخ البورسعيدى أو فريق مزارع دينا . أما لماذا وقع اختيار السلطان سمير على الكابتن جعفر؟ لسبب وجيه للغاية وهو أن علاقة سمير بالكرة تشبه علاقة خالتى نفيسة باللغة الهيروغليفية. صحيح أن السلطان سمير كان يوماً ما لاعبا فى نادى دمياط ثم انتقل إلى النادى الأهلى ولعب له لمدة أسابيع ، ثم اعتزل واكتفى بدور المتفرج والاكتفاء بالجلوس فى المدرجات. وهو فى واقع الأمر رجل أعمال يجيد عقد الصفقات وقبض العمولات. أما فن الكورة فلا علاقة بالسلطان سمير زاهر به. ولأنه من رواد الدرجة الثالثة فالنجم الذى اختاره سمير زاهر للاشراف على الفريق المصرى هو الكابتن فاروق الذى يعتبر نجم جمهور الترسو . والكابتن فاروق فى الحقيقة هو لعيب حوارى يجيد اللعب بالكرة الشراب ، وأبرز انجازاته الكروية هو تعمده السقوط فى منطقة الجزاء واستغلال طيبة قلب الحكام الافارقة والحصول لفريقه على ضربة جزاء . وهو سلوك غير رياضى وغير طيب وغير اخلاقى أيضاً. ومع ذلك كان الكابتن محمد لطيف – سامحه الله – يزف البشرى لجمهور التليفزيون ويؤكد بأن ضربة الجزاء صحيحة و.. برافو ياحكم .. حكم عظيم فعلا ولا يسمح بأى خطأ فى المباراة ! . يعنى ببساطة كان المرحوم محمد لطيف يقوم بتحويل دجل فاروق جعفر الشخصى إلى دجل عام على المستوى الوطنى. وبالطبع كابتن على هذا المستوى ويتمتع بمثل هذه الصفات لايصلح ليكون قدوة للمنتخب الوطنى، ولكن عند

السلطان سمير زاهر .. كله عند العرب صابون. وراس فاروق جعفر براس محمود الجوهرى ، وأى شىء مثل كل شىء .. ولا فرق.

وأكاد أجزم لحضراتكم بأنه لم يكن هناك أى هدف للسلطان سمير زاهر من وراء تربعه على عرش اتحاد الكورة سوى المنظرة . أحاديث صحفيه وصور على الصفحات الأولى وعلى الصفحات الرياضيـة والدليل على ذلك هو سفر السلطان سمير زاهر إلى المكسيك ، وفى المكسيك اجتمعت مجموعة منتخبات منها البرازيل والمكسيك وألمانيا وبوليفيا والسعودية والولايات المتحدة ونيوزيلندا بالإضافة إلى مصر . فهل سافر إلى المكسيك رئيس اتحاد الكورة الألمانى أو البرازيلى أو الأمريكى؟ لم يسافر أحد من رؤساء الاتحادات الرياضية سوى رئيس الاتحاد المصرى. ليه؟ لأنه تصور أن الفريق سيحرز انتصاراً تاريخياً ويصل للمربع الذهبى، وعندما يعود المنتخب إلى القاهرة سيخوض السادة المسئولون عن الكورة بحرا من جموع الناس، وستحملهم الجماهير على الأعناق . وهات ياأحاديث فى التليفزيون وفى الراديو وفى الصحف.

هذا هو السر فى سفر سمير زاهر إلى المكسيك. ولكن تقدرون فتضحك الأقدار، ويشاء السميع العليم أن يسقط المنتخب المصرى فى وكسة لم يقع فى مثلها من قبل، خمسة واحد ليس أمام البرازيل أو ألمانيا ولكن أمام المنتخب السعودى، الهزيمة واردة مفيش كلام ولكن فى حدود معينة باعتبار أن المستوى متقارب، ولكن خمسة فى عين العدو ، هذه هى إرادة الله ، ليكون خروج سمير زاهر مأساوياً ويحتاج إلى مؤلف عبقرى مثل صلاح چاهين ومطرب شعبى مثل شفيق جلال . وياخوخ خانونا الحبايب واحنا لم خونا ، ويابرتقان برتقونا الحبايب واحنا لم برتقنا، وياتمر حنا رحلنا وحنت منازلنا!

على كل حال فى ألف سلامة ياسعادة الباشا سمير زاهر يابو سيجارة مثل ماسور المدفع. وعزائى الوحيد أننى لم أكتب عنك ولم اكتشف حقيقتك بعد استقالتك ، ولكن العبد لله كان هو الوحيد الذى تعقبك من أول لحظة توليت فيها منصبك ، وقلت فيك أكثر مما قاله مالك فى الخمر. أما الآن وبعد استقالتك وابتعادك عن اتحاد الكرة .. فصافى يالبن وليس بينى وبينك أى خصومة من أى نوع ،ومرحباً بك كمواطن وكرجل أعمال .. أما كورة واتحاد كورة فاسمحلى ، لأنك لم تكن الرجل المناسب فى المكان إياه . لأنك مجرد مشجع كورة عادى ومرحباً بك فى مدرج الدرجة الثالثة بإذن الله.

ولكن اسمحوا للعبد لله بكلمة حق ينبغى أن تقال وسط هذا الجو المشحون بالهموم والأحزان . لاتفرطوا فى الكابتن الجوهرى بحق الله . لا تكرروا الخطأ نفسه الذى وقعتم فيه من قبل ، عندما انهزم المنتخب ٦/ صفر أمام فريق يونانى فى مباراة ودية . وكانت النتيجة

أننا وقعنا فى براثن فاروق جعفر ، وبصراحة وبوضوح .. ليس فى مصر كلها مدرب يصلح للمنتخب سوى الدكتور محمود الجوهرى، وهو دكتور بإنجازاته التى حققها للمنتخب. والعبد لله يناشد الدكتور كمال الجنزورى أن يتجاوز هذا المطب بالنسبة للجوهرى فهو مدرب حقيقى ومدرب عالمى والكورة مكسب وخسارة. خصوصاً أن أمامنا بطولة افريقية قادمة ثم تصفيات كأس العالم . وبقاء الجوهرى على رأس المنتخب الوطنى لا يحقق له أى مصلحة ، ولكنها مصلحة مصر فى الأساس، صحيح أن الجوهرى له أخطاء ولكن أخطاء الجوهرى هى عين الصواب بالنسبة لأخطاء الآخرين. ثم يجب اختيار رئيس لاتحاد الكورة يمكن أن يكون عونا للجوهرى وليس عبئا عليه، واقترح ثلاثة أسماء ، الكابتن صالح سليم إذا قبل المنصب ، والكابتن عبده صالح الوحش ، واللواء الدهشورى حرب.

وأقول للشعب المصرى ، الهزيمة فى الكورة ليست مثل الهزيمة فى الحرب والكورة لعبة وينبغى وضعها فى هذا الاطار . وليس فى الكورة كبير، فالبرازيل بجلالة قدرها انهزمت أمام الولايات المتحدة وانهزمت مرة بكامل نجومها أمام ويلز . وهزيمة السعودية للفريق المصرى ليست نهاية العالم. وينبغى أن ننهض من بين أطلال الهزيمة ونستعد للمباراة القادمة. وعندنا والحمد لله فريق ممتاز يلعب كرة حقيقية وكان ندا للمكسيك فى أرضها وبين جماهيرها. ولم يتمكن من إحراز النصر على بوليفيا بالرغم من أنه كان قاب قوسين أو أدنى. واذكروا للجوهرى فوزنا ببطولة افريقيا فى بوركينا فاسو بعد مرور زمن طويل لم نستطع فيه الصعود إلى دور الأربعة.

وليكن عقد الاتحاد الجديد مع الجوهرى لحد البطولة الافريقية . إن استطاع الاحتفاظ بها فأهلاً وسهلاً ، وإذا لم يستطع فيكون لكل حادث حديث.

وهناك ملاحظة أخيرة ، هى الأحاديث التى أدلى بها السادة الكباتن لمندوب القناة الفضائية المصرية . كلهم ألقوا باللوم على الحكم . وكلهم عملوا الواجب وكل واحد منهم ولا رونالدو ولا باچيو ولا زيدان . وزمان كنا نلقى اللوم على نقص الأوكسچين فى هضبة الحبشة وعلى هطول الأمطار ، ولكن الزمن تغير والأعذار أيضاً . وهو موقف لا يطمئن لأن الاحساس بأن كل شىء على مايرام ، ولكن الهزيمة جاءت بسبب ظروف خارجية ، يعنى أن مسلسل الهزائم سيستمر. وسنخرج من نقرة لنقع فى دحديرة. ولا حول ولا قوة إلا بالله! .

شكرا .. دكتور الجنزورى !

العبد لله أحد الناس الذين استبد بهم الفرح لخروج الدكتور كمال الجنزورى من الوزارة ، ولكنى لسبب يختلف عن أسباب فرح الآخرين . ففى الشهور الأخيرة كان الدكتور الجنزورى لا يعيش معنا وأن كان حيا يرزق. كان يوجد فى مكتبه منذ السابعة صباحا ليغرق فى بحر من الأضابير والدوسيهات . ومع أنه يزحف نحو الخامسة والستين إلا أن ذاكرته كانت أشبه بكمبيوتر حديث. يحيط بكل التفاصيل فى كل مشروع يشرف عليه . وكانت همومه كثيرة من أول كرة القدم إلى المشروعات الكبرى التى هى حجر الأساس لمستقبل البلاد. ومع ذلك .. ربما أخطأ الجنزورى ، وربما حمل على اكتافه من المسئوليات أكثر مما يستطيع ، ربما أمسك بين أصابعه خيوطا ما كان أغناه عن الإمساك بها . ولكن هذا كله لا ينفى أنه كان نظيف اليد شريف القصد، تفرغ تماما لخدمة مصر أو فى محاولة جادة لخدمتها . ولذلك كان واجبا علينا نحن أبناء مصر أن نشكر الدكتور الجنزورى على الجهد الذى بذله أثناء فترة توليه منصبه . وهو شكر يستحقه ، لأن نظرة واحدة على ما كان يوم توليه المنصب وما صار عليه الحال يوم تركه، سيجد أن صورة مصر تغيرت بشدة، وأن حجم الانجازات التى تمت خلال الفترة التى تفصل بين البداية والنهاية، لابد أن يكون وراءه جهد يستحق الشكر ويستحق ما هو أكثر . قد تكون حدثت أخطاء أثناء العمل وهو خطأ مغفور لأنه خطأ فى الممارسة . لأن الذين يعملون هم الذين يخطئون . ولا داعى لكشف هذه الأخطاء الآن، ولكننا سنعود إليها فى مناسبة أخرى لنضع أصبعنا على المتهم الحقيقى الذى أشاع الفرقة والخلاف بين الوزراء ، وهو مع الأسف الشديد أحد أعضاء المجلس نفسه .. ولكن ليس هذا وقته على أيه حال .

وأصارحكم القول بأن العبد لله يشعر بقلق شديد على الدكتور كمال الجنزورى بعد أن غادر مكتبه للمرة الأولى فى حياته منذ أن التحق بخدمة الحكومة موظفا على الدرجة الخامسة بالتخطيط . وخلال حياته كلها لم تكن له شلة . ولم يعرف الطريق إلى القعدات الطرية ، وليس له هواية فى الحياة إلا قراءة الملفات وتذوق نوع السمك المقلى الذى يحبه ، وأقول تذوق ولا أقول التهام . فلم يكن الطعام من بين هواياته ، مع خطف سنة من النوم .. قصيرة وخاطفة وهو على مائدة الطعام . لعل لسان حاله الآن يتطابق مع لسان حال مرشح الرئاسة الأمريكى السيناتور بوب دول ، حين وقف يصرخ أمام عشرات الألوف من أنصاره عشية فشله فى انتخابات الرئاسة قائلا :

«لأول مرة فى حياتى أجد نفسى بدون شىء أفعله»، وهى محنة بالنسبة لكل مسئول عندما يغرق فى العمل فيهمل حياته الاجتماعية تماما، ثم يستيقظ ذات صباح ليكتشف أنه (بدون شىء يفعله) .

من ناحية أخرى فنحن أيضا مدينون بالشكر للوزير الدكتور أحمد جويلى ، الرجل الذى رفع شعار الطهارة والشفافية فى كل موقع من المواقع التى شغلها ، محافظا لدمياط ثم محافظا للاسماعيلية ثم وزيرا للتموين . وإذا كان من واجب غيرى أن يشكره ، فمن واجب العبد لله أن يفعل ما هو أكثر من الشكر . لأنه قبل هذا وبعد هذا هو لسان حال دائرة العبد لله فى مجلس الشعب . ولعله الوزير الوحيد الذى نجح فى انتخابات الجيزة ولم يقطع الصلة بأبناء الدائرة فهو مثابر على أداء صلاة الجمعة فى مساجدها ، وهو حريص على تقديم واجب العزاء فى موتاهم ، وعقد الجلسات لحل مشاكلهم .

ويجب تقديم شكرنا أيضا للوزير المهندس ماهر أباظة ، نموذج مشرف للعمل الطيب الطاهر. وقد نجح فى إشاعة النور فى كل أنحاء مصر بفضل المشروعات الكهربائية التى نفذها وأشرف عليها وأنفق فى سبيلها عشرات المليارات . دون أن يجرؤ أحد من هواة اللت والعجن على أن يهمس باسمه فى حدوتة من حواديت الفساد . والسبب أن شعبنا الطيب بطبيعته يستطيع أن يفرق بين الفاسد والشريف . وبين المسئول الذى يحب مصر والآخر الذى يحب الفلوس، تحية للوزير المهندس ماهر أباظة ، نموذج يحتذى وقدوة حسنة للأجيال الجديدة من الوزراء .

وإذا كنا قد تعرضنا للوزراء الذين تركوا مناصبهم ، فلا بأس من التعرض لبعض الذين جاء بهم التغيير الوزارى . على رأس هؤلاء الدكتور على الدين هلال ، وهو نموذج جيد للكادر المثقف الواعى الملتزم بقضايا أمته ، وفى اعتقادى أن مجال الشباب كان شديد الحاجة إلى هذا الطراز من السياسيين المثقفين من جيل الوسط .

هناك أيضا الوزير سامح سمير فهمى ، وكان العبد لله يعرف والده يرحمه الله .، ولكننى لم أتشرف بمعرفة الوزير الشاب. ولذلك استفسرت عنه وسألت أساتذة صناعة البترول المصرى ، الوزير السابق على والى والمهندس عبد الحميد أبو بكر ، وقد اتفق الاثنان على أنه نموذج جيد للغاية ، كما أتفقا على أنه بالرغم من شبابه إلا أنه يعتبر خبير بترول بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف. مع رجاء من العبد لله بأن يتخلى الوزير الجديد عن الأسلوب الذى كان متبعا فى عهد الوزير السابق ، وهو الاعلان كل صباح عن كشف بترولى جديد، حتى تصور الناس فى بلدنا أن حجم البترول المصرى صار فى حجم بترول السعو ية والكويت معا . وأن يكتفى الوزير الجديد بذكر الحقائق فقط، حتى يدرك شعبنا الطيب أين نحن بالضبط ، وما هو حجمنا بالضبط وسط حقل البترول العالمى؟ .

هناك أيضا بين كتيبة الوزراء الجدد اللواء مصطفى عبد القادر محافظ المنيا، ومصطفى عبد القادر على علاقة وثيقة بالإعلام ، على أساس أن والده يرحمه الله كان زميلا من زملاء المهنة ، وكان يعمل معلقا سياسيا للاذاعة المصرية خلال حقبتى الخمسينات والستينات . وفى اعتقاد العبد لله أن اللواء مصطفى عبد القادر الذى تمرس فى العمل السياسى والتنفيذى لديه ما يقدمه لخدمة مصر من خلال منصبه الجديد .

على كل حال شكرا لحكومة الدكتور الجنزورى على اطلاقها ، شكرا لها على انجازاتها وشكرا لها على أخطائها أيضا، فالأعمال الكبرى فقط هى التى تتعرض لصنوف من الخطأ وألوان من الصواب. ودعاء من القلب للدكتور عاطف عبيد بالتوفيق فى المهمة الملقاة على عاتقه، . ومرحبا بجميع الوزراء الجدد الذين نعرفهم والذين لم نتشرف بمعرفتهم ، ولا أقصد معرفتهم معرفة شخصية ، ولكنى أقصد التعرف عليهم من خلال الممارسة الصحيحة فى خدمة بلادهم وشعبهم ، وإن كنت أشفق عليهم وعلى كل من يتولى منصب الوزارة فى فترة التحولات الكبرى . ولكن الأمر المطمئن أننا عبرنا معظم الحواجز التى كانت تعترض الطريق ، عبرناها برجال أمناء مثل الجنزورى وعاطف صدقى وكل من اشترك معهما فى تمهيد ولو شبر واحد من الطريق ! .

أرجوكم .. فضوها سيرة !

حضرات المحترمين من النواب الذين انتهزوا فرصة غياب الدكتور كمال الجنزورى من على مسرح الأحداث، وشمروا عن سواعدهم وهات يا تقطيع فى لحمه، مع أنهم يعلمون أن الجنزورى أصبح رئيس وزراء سابقا .. أى أنه صار جزءا من التاريخ . فى الوقت الذى تدور فيه على مسرح الأحداث ممارسات خاطئة لمسئولين يتربعون على المناصب ، وتنشر الصحف اتهامات لهم لو صحت لوجب بترهم على الفور ، ومع ذلك لا حس ولا خبر للسادة المحترمين من النواب ، وكأنهم اكتفوا بدورهم كفتوات للمقابر وفرسان للجبانات ! .

أقول قولى هذا وعيناى تلتهمان سطور حديث منشور على صفحات جريدة حزبية هى جريدة (الحقيقة) من صحف حزب الاحرار، الحديث لرجل كان مسئولا حتى الأمس القريب وهو السيد سمير الشقنقيرى نائب رئيس هيئة السلع التموينية والذى استقال من منصبه أخيرا بعد أن دب الخلاف بينه وبين وزير التموين المستجد الدكتور حسن خضر .

ولكن ... ماذا يقول سمير الشقنقيرى ؟ .

يقول بالحرف الواحد: « ليس صحيحا أننى تقدمت باستقالتى بعد إعلانه لوجود مخالفات فى صفقة معينة . لأن تاريخ الاستقالة التى تقدمت بها كانت بتاريخ ٢٠٠٠/١/٢٦ ولكنه عرض أن أبقى بجانبه فى منصب مستشار، ولكننى رفضت فشعر بالاهانة لأن رفضى كان يعنى أننى أرفض العمل معه وأرفض السياسة التى يتبعها والتى يريد منى تغيير نظام شراء صفقات القمح التى وافق عليها جميع الوزراء السابقين . كما أثنى عليها خبراء امريكا وفرنسا. وكان هذا هو جوهر الخلاف .. لقد رفضت الافكار الغريبة التى طرحها والتى تؤكد عدم درايته ، بعد أن تلقى عرضا لأحد مستوردى القمح وصاحب شركة خاصة بأن تقوم الشركة المذكورة باستيراد ما تحتاجه الوزارة من القمح تسليم الموانىء المصرية بدلا من تسلمه فى الخارج، إلا أننى رأيت أن هذا العرض يضع الوزارة فى موقف الشبهات كما أنه يفتح باب الرشاوى والعمولات، بالإضافة إلى أن قبول هذا العرض سيرفع سعر القمح مما يؤثر على سعر رغيف العيش» . وعقد الشقنقيرى مقارنة بين الوزير المستجد حسن خضر والوزير السابق أحمد الجويلى . وقال الرجل بالحرف الواحد : «عيب أن نضع الدكتور جويلى موضع مقارنة مع الوزير الحالى حسن خضر، لأن شتان الفارق بين رجل عالم يرفض التدخل فى اختصاصات من يعملون معه رغم أنه يعلم كل كبيرة وصغيرة عن كل من حوله فى العمل،

ورجل آخر يسعى للتخلص من جميع الكفاءات وذوى الخبرة فى الوزارة ، لأن شبح الوزير السابق يطارده فى كل مكان، حيث ساعد ذلك على ظهور الأزمات الواحدة تلو الأخرى والتى كان أخرها أزمة البوتاجاز وكان لها أثرها الضار على المستهلك المصرى» .

هذه هى الاتهامات التى وجهها رجل مشهود له بالكفاءة والأمانة لرجل آخر هو وزير التموين وهى منشورة بالبنط العريض على صفحات جريدة حزبية . ومع ذلك لم يتحرك واحد من حضرات السادة المحترمين أعضاء مجلس الشعب ويتقدم بسؤال لاستطلاع الأمر ومعرفة الحقيقة، خصوصا أن الخلاف بين الرجلين حول سلعة استراتيجية وهى القمح وأسلوب استيراده . ولكن يبدو أن حضرات السادة المحترمين من النواب يرون أن غاية مهمتهم ... فتح الدفاتر القديمة ومحاسبة السادة المسئولين السابقين أمثال الدكتور الجنزورى واسماعيل باشا صدقى وأحمد باشا ماهر . أما محاسبة وزير التموين الحالى المتربع على كرسى الوزارة فى الوقت الراهن على هيئة ... مسا التماسى يا ورد قاعد على الكراسى ، فمعاذ الله من أن يجرؤ أحدهم على مس طرفه . ويا خفى الألطاف نجنا مما نخاف ، فمهمة النائب المحترم هى البحث فى الملفات القديمة، والغوص فى أعماق الممارسات الخاطئة التى حدثت فى عهد بنى أمية مرورا بعهد بنى العباس ، وقوفا عند أخطاء الحاكم بأمر الله والواثق بالله ثم دولة الايوبيين ثم المماليك البحرية والبرجية ثم العثمانيين ثم محمد على باشا الكبير ، ولا بأس من البحث فى دفاتر النحاس باشا وعلى ماهر باشا، ثم إلقاء نظرة على دوسيهات صدقى سليمان وأخيرا الدكتور كمال الجنزورى ، لأن مهمة مجلس الشعب الحقيقية هى محاسبة المسئولين الذين انتقلوا إلى رحمة الله أو الذين انتقلوا من تحت الأضواء إلى الظل. أما المسئولون الحاليون فيا ألف مرحب ويا ألف سهلا ، وهذا الموقف ليس هروبا من مواجهة الاقوياء ولكن هيروحوا فين من حضرات المحترمين من النواب . سيذهب هؤلاء المسئولون الحاليون فى القازوزة يوما ما، وعندئذ سيتم محاسبتهم وستفتح ملفاتهم .

ونعود الآن إلى الاتهامات الخطيرة التى وجهها أحد النواب لرئيس الوزراء السابق الدكتور الجنزورى ، قالوا إنه قام بإلغاء ديون السكة الحديد إرضاء لصديقه وزير النقل . طيب وفيها إيه دى ؟ .

هل حصل الجنزورى على رشوة مقابل إسقاط هذا الدين، هل كان وزير النقل سيدفع هذه الديون من جيبه؟، وإكراما لصديقه وزير النقل قام رئيس الوزراء بشطب هذه الديون ! لم نجد نائبا محترما يسأل عن قضية المحافظ ماهر الجندى وإلى أين مجراها ومرساها ؟ بعد أن لفها الظلام والغموض ولم يبق منها إلا استمرار حبس الولد الغلبان المدعو محمد فودة الذى تعاون تعاونا كاملا مع جهات التحقيق . وأسأل حضرات المحترمين من السادة نواب الشعب. هل قرأ أحدكم حديث السيد الشقنقيرى نائب رئيس هيئة السلع التموينية سابقا ، المنشور

على الصفحة الثالثة من جريدة «الحقيقة» عدد ١٥ ابريل الحالى ؟ وإذا كان لم يقرأه أحد منكم فالعبد لله يلفت نظركم إليه، وفيه اتهامات محددة وخطيرة إلى السيد الوزير الحالى .

وأقول للسادة نواب الشعب .. إن الشعب قد سئم الاستماع إلى الاسطوانة المشروخة التى تتهم الجنزورى بالفساد وتتهمه بالديكتاتورية . والعبد لله كان على استعداد للتصفيق للنائب الذى يواجه الجنزورى بهذه الاتهامات وهو جالس على مقعده فى رئاسة مجلس الوزراء ، وكنت على استعداد لحمل هذا النائب على اكتافى والهتاف بحياته ، ولكن .. يا ميت خسارة على اللى حب ولا طالشى .

حضرات المحترمين من النواب لا يهاجمون إلا السابقين ولا يبحثون إلا فى الدفاتر القديمة، وأقول للوزير ابن البلد الشهم بلدياتى السيد كمال الشاذلى . ليس من الشهامة تسديد الفواتير القديمة بهذه الطريقة التى سئمها الناس . واستخدام مجلس الشعب فى خلافات شخصية لا يفيد مصر كما أنه يفقد مجلس الشعب مصداقيته . والحمد لله لأن مجلس الشعب على وشك المغيب ، ونرجو أن يكون مجلس الشعب القادم مختلفا تمام الاختلاف عن هذا المجلس الذى يوشك على الرحيل. نريد مجلسا يحاسب الحكومة الموجودة حاليا وليس الحكومة السابقة. ويكشف مخالفات رئيس الوزراء الحالى وليس رئيس الوزراء الذى ترك منصبه . نريد مجلس شعب يسأل ويستجوب فى أمور تهم الناس وتمس حياتهم . نريد مجلسا تخشاه الحكومة ولا نريد مجلسا يخاف من الحكومة ويرتعد منها، مجلسا يشفى غليل الناس ولا يشفى غليل السيد كمال الشاذلى فقط، خصوصا والدنيا غدارة ويوم فوق ويوم تحت، وهى لا تدع الراكب راكبا ولا تدع الماشى ماشيا ، وتاريخنا الحديث حافل بالعظات والعبر. وكل ما أرجوه أن نطوى صفحة الماضى وأن نتفرغ للحاضر وننظر للمستقبل فالدنيا تجرى من حولنا والعالم يتغير . بينما نحن مازلنا مشغولين بالاخطاء التى ارتكبها الجنزورى والمخالفات التى وقع فيها الوزير طلعت حماد . إذا كانت هناك مخالفات تمس أمن الوطن فحاكموا الذين ارتكبوها وضعوهم خلف جدران السجون لننتهى منها مرة واحدة وإلى الأبد . وإذا كانت المخالفات من نوع شطب ديون هيئة السكة الحديد، ومضاعفة ميزانية تجديد مقر رئاسة الوزارة ، فنصيحة العبد لله لكم أن تفضوها سيرة لنتفرغ لما هو أهم . هذا هو الطريق السليم ونسأل الله التوفيق لنا ولكم .. حكومة ومعارضة ، حكاما ومحكومين ، نوابا وناخبين ، والله من وراء القصد .

المحترمون .. من النواب !

أثار مقال العبد لله فى الأسبوع الماضى عدة ردود أفعال. اتصل بالعبد لله الصديق الوزير بلدياتى كمال الشاذلى ، مع أنه لم يتصل بالعبد لله منذ خروج الجنزورى من الوزارة ، ولم نلتق فى أى مكان منذ ذلك الحين وحتى الآن ، وكمال الشاذلى سياسى جماهيرى عملى يجيد الحديث ولديه قدرة على الحوار . وعلى مدى ساعة كاملة راح يعاتبنى على الإشارة التى وردت فى مقالى عن دوره فيما جاء على لسان بعض النواب الذين تناولوا ما أسموه بالمخالفات التى ارتكبتها وزارة الجنزورى ، ومن بينها أشياء مضحكة مثل إعفاء الجنزورى لهيئة السكة الحديد من ديونها مجاملة لصديقه وزير المواصلات . وقال الوزير كمال الشاذلى .. لقد اتهمتنى بما أنا برىء منه . لأننى لست ساذجاً إلى حد توجيه مثل هذه التهم، وموقفى الحقيقى من هذا الموضوع تشهد به مضابط مجلس الشعب . وأنت تعلم أن الدكتور الجنزورى بلدياتى ومنزله فى القرية يقع على مرمى حجر من منزلى فى الباجور ، كما أنه كان زميل دراسة فى المرحلة الابتدائية ، ولا شك أنك تعرف أيضا أننى برلمانى قديم وأومن بأن مهمة المجالس النيابية هى مناقشة الحاضر وليس البحث فى الدفاتر القديمة، وايمانى هذا جعلنى أرفض علنا أغلب المحاولات التى قام بها بعض أعضاء المجلس للكشف عن بعض الأخطاء التى وقعت فى عهد وزارة الدكتور الجنزورى ، وهذا هو موقفى الحقيقى وتستطيع أن تتأكد من صدق كلامى لو سألت الدكتور يوسف والى وهو صديقك ، وكان بوسعك أن تتأكد من الحقيقة لو سألتنى عن حقيقة موقفى من هذا الموضوع ، ولكنك لم تكلف نفسك عناء الاتصال بى تليفونيا قبل كتابة مقالك، وهكذا ترى أنك ظلمتنى واتهمتنى بدون وجه حق .

قلت للوزير كمال الشاذلى .. قد أكون ظلمتك ولكننى مظلوم أنا الآخر، فكل ما يدور تحت قبة المجلس لا يمكن أن يدور بعيدا عنك أو من وراء ظهرك. هذه هى فكرتى عن المجلس وعنك وهى فكرة أغلب الناس أيضا .

قال كمال الشاذلى : وما دخلى بظنونك أو أوهامك ؟ .

قلت : صدقنى إنها ليست أوهامى وحدى ولكنها أوهام الأغلبية ، وإذا كانت مجرد أوهام – كما تقول – فهذا قدرك ولا حيلة لك فى هذا ولا مفر من تحمل المسئولية .

وإذا كنت قد ظلمت كمال الشاذلى فقد ظلمنى النائب الشاب دكتور أيمن نور زميلى فى المهنة، عندما اتهمنى بأننى هاجمت المجلس كله وأغفلت دور المعارضة التى لم تشارك فى

عملية محاسبة الماضى وفتح الدفاتر القديمة . ولا أعتقد أن دكتور أيمن نور يتصور أن العبد لله أهبل وبريالة حتى اتهم المعارضين الذين هم بالرغم من ضعفهم وقلة حيلتهم وهوانهم على الاغلبية الكاسحة للحزب الوطنى أدوا واجبهم وقدموا الاستجوابات وطلبات الاحاطة ومئات الأسئلة عن الممارسات الخاطئة فى عمل الحكومة الحالية - أية حكومة حالية - دون الوقوف عند أخطاء الحكومة السابقة - أية حكومة سابقة - وهل أنسى استجواب النائب أيمن نور لوزير الصحة الدكتور إسماعيل سلام؟ ، هل أنسى وقفة البدرى فرغلى فى مواجهة وزير الاقتصاد ؟ ، هل أنسى ما حدث لاستجوابك لوزير الاقتصاد الذى تم إجهاضه عندما غاب الوزير عن الجلسة؟ ، ولكن هكذا هى اللعبة الديمقراطية ، وإذا كان حكم المحكمة هو عنوان الحقيقة ، فما تقره الأغلبية هو القول الفصل وعلى الجميع الخضوع لرأى الأغلبية، وقد دافع دكتور أيمن نور عن موقف (بلدياتى) الوزير كمال الشاذلى ، وشهد له بأنه كان هدفا لانتقاد المعارضة بسبب تصديه للانتقادات التى كنا نوجهها لحكومة الجنزورى فى وجودها وبعد خروجها من السلطة ، والعبد لله لا يستطيع أن يجارى دكتور أيمن نور .. لأن الفضل ما شهدت به المعارضة. وهكذا ترى يا دكتور أيمن أنك ظلمت العبد لله، لأننى لم أقصد إلا نواب الحزب الوطنى الذين تفرغ بعضهم فى الفترة الأخيرة لنقد تصرفات حكومة الجنزورى وتعقب أقطابها، مع أننى لو كنت عضوا بالمجلس لنذرت نفسى لتحقيق هدف واحد هو سحب الثقة من وزير التموين، لأن المصلحة العامة تقضى بإبعاد الرجل عن وزارة التموين وبأقصى سرعة لأن وجوده بالوزارة بالرغم من عدم درايته سيسبب لمصر مشاكل كثيرة. ولو كنت عضوا بالمجلس لتفرغت لمحاسبة وزير الاقتصاد، الذى نسب البعض فشل حكومة الجنزورى إلى عدم استماع الجنزورى إلى نصائحه، وعدم تطبيق نظرياته . طيب الجنزورى راح، وحكومة الجنزورى سقطت، وسيادة وزير الاقتصاد يقف وحده على المسرح، وأنت الوحيد وكلهم ركش خصوصا فى مجال الاقتصاد ، ومع ذلك فالحال أصبح أسوأ من أيام الجنزورى ، والسوق فى انكماش ووقف الحال هو سيد الموقف. فأين نظرياتك يا دكتور ؟ وأين نصائحك يا عالم الاقتصاد ويا خبير سوق المال ؟، وأريد أن أهمس فى أذن الدكتور عاطف عبيد رئيس الوزراء بأن مصلحة الوزارة ومصلحة مصر تحتم عليه ضرورة الإسراع فى التخلص من وزير التموين الحالى خصوصا بعد أن خرب الوزارة وقعد على تلها ، ولأن وظيفة هذه الوزارة هى طعام المصريين وخبزهم ، ولا يصلح لهذه الوزارة وزراء هواة أو وزراء كل طموحهم ينحصر فى نشر صورهم على صفحات الجرائد اليومية والظهور أحيانا على شاشات التليفزيون. ويمكن استيعاب هذا النوع من الوزراء فى مسرح التليفزيون أو فى حفلات مارينا الصيفية . وأقول للسادة المحترمين من نواب مصر .. أنتم ألسنة الحق وحرام استخدامها فى معارك شخصية . ويمكنكم وضع مصر على الطريق الصحيح إذا كانت مصر هى همكم الأول وإن كان سلوك

المجلس فى السنوات القليلة الماضية لا ينفى وجود نواب يستحقون الاحترام بالفعل سلوكا وأداء .

ويقترح العبد لله على السيد صفوت الشريف وزير الاعلام تخصيص قناة لمجلس الشعب لعرض الجلسات مباشرة على شعب مصر وعدم اختصارها أو تقطيعها أو اختيار لقطات منها تخضع لمزاج الرقيب والتعليمات التى عنده ، وليصدقنى وزير الاعلام إذا قلت له إن هذه القناة ستكون الاضافة الحقيقية التى تربط الناس بجهاز الاعلام المصرى لأنها ستكون خطوة غير مسبوقة فى العالم العربى، كما ستكون دليلا جديدا على أننا بلغنا مرحلة الرشد وأننا ليس لدينا شىء نخفيه . وعلى العموم وداعا لمجلس الشعب الحالى ومرحبا بالمجلس الجديد وأرجو أن تتسع مقاعده لعدد أكبر من النواب المعارضين ولنماذج جديدة من البرلمانيين الحقيقيين الذين يثرون حياتنا السياسية، ومصر والحمد لله غنية بهذا النوع من الرجال !

لكشة

كلما رأيت وجه الممثل محمود قابيل على شاشة التليفزيون أسرعت بقراءة الفاتحة على روح الفنان صلاح قابيل ، إيه المناسبة؟ لست أدرى ! .

دعوة للاحتفال بهزيمة

فى الوقت الذى مر فيه يوم ٥ يونيه بهدوء، فلا حس ولا خبر ولا اشارة ولا تعليق ولا احتفال من أى نوع، كانت بريطانيا وفرنسا تحتفلان بذكرى هزيمة دنكرك، وكان الاحتفال مهيبا شارك فيه ولى عهد بريطانيا وقادة الجيوش فى الدولتين، وحضره عدد كبير من الذين حضروا الهزيمة وشاركوا فيها، بعضهم جاء على مقاعد متحركة، وبعضهم جاء بالزى العسكرى، وبعضهم جاء بملابسه المدنية محتفظا بنياشينه وأوسمته العسكرية، والجميع قاموا بزيارة المقابر التى تضم رفات الجنود والضباط الذين سقطوا فى معركة دنكرك .

وفى رأى العبد لله أن الاحتفال بالهزيمة أجدى من الاحتفال بالنصر، لأن الهزيمة فيها عظات وعِبر وفيها دروس مستفادة، وهزيمة يونيه لم تكن حادثة عابرة فى طريقنا، ولكنها كانت أسوأ هزيمة فى تاريخنا الحديث كله، لا تساويها الا هزيمة محمد على عندما أغرقوا أسطوله فى نافارين وكسروا ظهر جيشه البرى القوى الذى زحف على القسطنطينية ودق أبوابها بشجاعة، ونجحوا فى تحويل الجيش القوى الى فلول ضاعت فى بر الشام كله من الموصل الى غزة، ولا أعرف سببا واحدا يحول بيننا وبين الاحتفال بذكرى هزيمة ٥ يونيه.. هل نخجل منها؟ وهل يوجد للخجل مكان فى تاريخ الأوطان؟، إن هزيمة دنكرك أفدح ألف مرة من هزيمة ٥ يونيه، والجهة التى تجرعت الهزيمة فيها لم تكن دولة نامية، ولكن امبراطوريتين كبيرتين، فرنسا كان لها مستعمرات مترامية الأطراف فى افريقيا واسيا وامريكا اللاتينية ، وبريطانيا التى كانت وقتئذ لا تغيب الشمس عنها، ٣٠٠ ألف جندى بريطانى و١٧٠ ألف جندى فرنسى، اضطروا جميعا الى خلع ملابسهم وفروا بأرواحهم وبالفانلة واللباس وعبروا بحر المانش فى مراكب صيد وبعضهم فى مراكب شحن وجزء كبير منهم فى زوارق صغيرة يملكها هواة وعدد منهم فضل عبور البحر سباحة، ذهب عدد منهم طعاما للأسماك.

حوالى نصف مليون جندى مدربون افضل تدريب ومسلحون بأحدث الأسلحة، تحولوا فى لحظة واحدة الى شلة أطفال مذعورين، وكان بوسع الجيش الألمانى إبادتهم جميعا لو خاطر فى نفس هتلر كان يلح عليه، أن ينجح فى عقد حلف مع بريطانيا ليزحفان معا على الاتحاد السوفييتى، ليذبحوا الشيطان الشيوعى من الوريد الى الوريد! .

وقد تعزز هذا الخاطر الساذج فى نفس هتلر بارساله نائبه «هيس» فى طائرة خاصة قفز منها على الارض البريطانية وطلب مقابلة تشرشل، ولكن الداهية البريطانى رفض مقابلته وأمر بإيداعه السجن، وبقى فى السجن البريطانى حتى تم نقله بعد الحرب الى محكمة نورمبرج

التى حاكمت مجرمى الحرب الألمان!.

والغريب فى الاحتفال بهزيمة بنكرك ان بعض الصيادين الذين اشتركوا فى انقاذ الجنود الهاربين حضروا الاحتفال، وبعض سكان القرى المنتشرة على جانبى بحر المانش فى انجلترا وفرنسا والذين عاونوه فى اخفاء العساكر الشاردين حضروا الاحتفال ايضا، بعضهم جاوز التسعين من العمر وبينهم نساء وشيوخ كانوا اطفالا وقت وقوع الكارثة.

وأسأل الحكومة الآن: لماذا لم نحتفل بهزيمة ٥ يونيه ؟ على الأقل ليعرف الشعب الأسباب الحقيقية التى أدت الى الهزيمة، ولماذا اهتزت أعصاب القيادة العسكرية ؟ فتصرفت برعونة وعالجت الأمر بغباء، ولماذا وقف الجيش المصرى فى العراء تحت شمس سيناء فترة طويلة دون أن يعرف شيئا عن طبيعة خطوته التالية؟ .. ولماذا جثمت الطائرات على الأرض فى المطارات مكشوفة وعارية؟.. ولماذا انزل الطيارون طائراتهم وذهبوا للافطار فى العاشرة صباحا استنادا إلى نظرية قديمة تزعم بأن العدو لا يهاجم الا مع الخيوط الأولى للفجر؟ ، ولماذا تم الانسحاب بهذه الطريقة التى هى مزيج من الفوضى والسبهللة، وهل هذا التصرف هو مسئولية القيادة العامة ام القيادات الوسيطة والقيادات الميدانية، ، ما كان أحوجنا الى اقامة مثل هذا الاحتفال فى هذا الوقت بالذات ، خصوصا وبعض كبار القادة لا يزالون احياء بيننا، وهناك آخرون غيرهم كنا نحب الاستماع اليهم، بعض الذين سقطوا فى الاسر وعانوا أهواله، وبعض الذين هربوا فى الصحراء واشرفوا على الموت جوعا وعطشا، وبعض أعراب سيناء الذين مدوا يد الغوث للهاربين ودبروا لهم الغذاء والمأوى، وعندما انقطع القلب وتوقف البحث عنهم صحبوهم الى شاطىء القناة ،حيث عبروها الى بيوتهم .

وبالرغم من مرور سنوات طويلة على هزيمة يونيه فالعبد لله يرى أن على رأس واجباتنا تكريم هؤلاء الأعراب الابطال ومنحهم ما يستحقون من أوسمة ونياشين تقديرا لبطولاتهم، خصوصا بعد أن تولت أجهزة العدو بعد الهزيمة نشر الشائعات والدس بين أعراب سيناء وشعب مصر لحاجة فى نفس جولدا مائير!.

والعبد لله يعرف أحد هؤلاء الذين هاموا فى الصحراء حتى صادف بعض الأعراب، فأخذوه وأخفوه واكرموه عدة أسابيع متصلة، ثم تحملوا الصعب عندما اصطحبوه وعبروا به قناة السويس ولم يتركوه الا فى بيته وبين اهله، انه الكابتن ميمى درويش كابتن النادى الاسماعيلى فى عصره الذهبى، وكان أحد ضباط الاحتياط فى وقت الحرب.

وأرجو أن تحتفل جهة ما بذكرى الهزيمة فى العام القادم، ففى الاحتفال بالهزيمة عظات وعبر ودروس مستفادة!.

لكشة

لا أعرف لماذا كلما رأيت وجه الممثل أحمد عبدالعزيز على شاشة التليفزيون تذكرت الكابتن أحمد كشرى بتاع كرة القدم؟ ماهى الصلة بين الاثنين؟ بالتأكيد.. هناك صلة!

عفوا .. عمدة الأرض !

العبد لله لم يدرك السر فى تسمية الحكومة الأمريكية بالادارة الأمريكية الى اليوم.. والسبب الذى قادنى الى اكتشاف السر هو التقرير الأمريكى الذى صدر بعد التحقيقات المطولة عن السر وراء سقوط الطائرة المصرية فى المحيط الأطلنطى قبالة سواحل نيويورك. التقرير يقول إن مساعد الطيار البطوطى انتحر ونحر معه جميع الركاب.. طيب.. ومساعد الطيار الذى قرر الانتحار، لماذا لم يؤمن على حياته لصالح الورثة خصوصا وهو صاحب عائلة كبيرة؟، ولماذا اشترى قبل ركوب الطائرة علبة فياجرا؟، هل اشتراها لاستعمال السمك فى أعماق المحيط؟ .

الشيء اللافت للنظر أن التقرير جاء مثل مياه الحنفية.. لا طعم ولا لون ولا رائحة.. ولكنه حاول إبعاد الشبهات عن شركة «بوينج» الأمريكية لأن ثبوت التهمة ضدها يكلفها الكثير، وقد يؤدى الى انهيار الشركة خصوصا بعد أن تفوقت الشركة الأوربية (ايرباص) فى المنافسة بينهما، وأصبحت موضع ثقة أغلب شركات الطيران العالمية، ثم.. طائرة البوينج التابعة للشركة الهندية والتى سقطت منذ أسابيع على منطقة سكنية، هل كان يقودها الطيار البطوطى؟ أم يوجد بطوطى آخر فى الشركة الهندية؟، ثم ماهذا الغباء المطبق الذى جعل فريق التحقيق الأمريكى يصر على أن عبارة «توكلت على الله» هى دليل أكيد على نية قائلها على الانتحار!!، طيب مارأى السادة المحققين الأمريكان أننى شخصيا هتفت بهذه العبارة وأنا أستعد لكتابة هذا المقال دون أن يكون لدى أدنى رغبة فى الانتحار أو حتى الاعتكاف، ومائة ألف بائع سريح فى القاهرة ومثلهم فى كل عاصمة عربية يهتفون بالعبارة نفسها قبل أن يدفعوا بعربات اليد نحو الأسواق، وهكذا بفضل جهل السيد المحقق فى حادث سقوط الطائرة البوينج فى المحيط الاطلنطى أصبحت عبارة «توكلت على الله» هى فاتحة عمليات الانتحار، وبالتالى تكون عبارة «عشى الغلابة عليك يارب» هى صيحة الحرب، يطلقها الصناديد قبل البدء فى دخول أم المعارك، أما عبارة «ياللى الهوا هزك يامشمش» فهى كلمة السر لأعضاء تنظيم القاعدة، يرددها رجال بن لادن قبل الانطلاق لتدمير مقر وكالة المخابرات المركزية!، ولكن لماذا تحمى الحكومة الأمريكية شركة «بوينج» مع أنها شركة خايبة وسقط من طائراتها عدد لا يستهان به؟، لأن الحكومة الأمريكية ـ كما قلت ـ هى فى الواقع ادارة، شأنها شأن ادارة الريان أو شركة السعد أو شركة الأمن الغذائى بتاعة توفيق عبدالحى، وشركة بوينج واحدة من

الشركات، والشركة للشركة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، لقد أثبت هذا التقرير الأمريكي الخاص بحادث سقوط الطائرة المصرية فى المحيط، أن سلوك الادارة الأمريكية الظالم والمنحاز ليس فى المجال السياسى فقط ولكنه يمتد الى مجال «البزنس» والأعمال، والفرق الوحيد أنه اذا شعرت دولة ما بالظلم من موقف الادارة الأمريكية، جاز لها ان تشكو للأمم المتحدة أو لمجلس الأمن، ولكن الشركات المظلومة اذا شعرت بانحياز الموقف الأمريكى، فليس أمامها الا أن تشرب من البحر، واذا لم يعجبها عليها أن تشرب من المحيط، وتستطيع أن تفعل ذلك فى المحيط الأطلنطى أو المحيط الهندى أيهما أقرب اليها. ولكن يبقى بعد ذلك وقبل ذلك سؤال يجب طرحه : ما العمل؟ وكيف يحصل ورثة ضحايا الطائرة على التعويض المناسب؟، العبد لله يعتقد أن السكك كلها مقطوعة، وأن تحقيق هذا الهدف للحصول على تعويض من الشركة الأمريكية هو أمر فى حكم المستحيل، وليس أمام المتضررين إلا أن يهتفوا بعبارة «توكلنا على الله» ثم يقفزون فى البحر!!.

●●●

أخيرا .. اكتشفت الإدارة الأمريكية أن القوة عز، ولكن فرط القوة لا يؤدى بالضرورة الى تحقيق الأمنيات، وهاهى الإدارة الأمريكية أقوى قوة على ظهر الأرض، فشلت فشلا ذريعا فى تحقيق السلام بين الفرقاء المتصارعين فى أيرلندا، مع أن المفاوضات جرت تحت إشراف الادارة الأمريكية وباسمها، هاهى العبوات الناسفة تعود الى شوارع أيرلندا، ووصل بعضها الى محطات المترو فى لندن نفسها، وهاهى المشكلة الفلسطينية تعود الى نقطة البدء من جديد، لا سلام على الأرض المقدسة ولا هدوء، مع أن الادارة الأمريكية هى التى تولت عقد المؤتمرات وتولت إدارة المفاوضات، وقدمت بعض الحلول والمقترحات، ولكن لا شىء تحقق إلا الكلام ثم المزيد من الكلام، ولعل هذا الفشل هو سر الغضب الذى شاب سلوك الادارة الأمريكية فى الاسبوع الذى أعقب فشل مؤتمر «كامب ديفيد» ، فأعلن الرئيس الأمريكى عن عزمه نقل السفارة الأمريكية الى القدس قبل نهاية هذا العام، وامتدح الرئيس الامريكى سلوك باراك رئيس وزراء اسرائيل فى الوقت الذى انتقد فيه سلوك ياسر عرفات.. تصوروا .. عمدة الكرة الأرضية يفشل فى التوفيق بين عائلتين ضعيفتين فى القرية التى يحكمها بفرمان إلهى، لو حدث هذا لعمدة بلدنا الشيخ برغوت لفقد عقله وخرج من هدومه وخد فى وشه وانطلق ..بلاد تشيل وبلاد تحط، وربما انتهى أمره فى عنبر بمستشفى الخانكة، صحيح.. فرط القوة قد يؤدى الى التدمير، ولكنه ليس بالضرورة يؤدى الى تحقيق السلام.

بن لادن والحاج شكرى !

الله يرحمه ويحسن إليه عمنا الحاج حامد شكرى، كان رجلا طيبا وفى حاله، ويقال إن الحاج لم يغادر مصر على الإطلاق ولم يحج إلى بيت الله رغم اللقب الذى اشتهر به، ولكن الشيخ أحمد شتا شيخ جامع الفتح أفتى بأن الأعمال بالنيات، ومن أضمر النية فى الحج فقد استحق اللقب، وهكذا صار عم حامد شكرى حاجا بالنية وإن لم يكن حاجا بالفعل! وكان من عادته السعى بالصلح بين الناس، والانحياز إلى جانب الضعفاء والمظلومين، كان يتدخل أحيانا لنصرة خادم اضطهده الأثرياء الذين يعمل فى خدمتهم ، ويتدخل أحيانا لنجدة رجل طيب اعتدى عليه بعض الصياع فى الشارع، وكان الجميع يحبون الحاج شكرى ويثنون على سلوكه، إلى أن جاء يوم لجأ إلى الحاج شكرى ولد صايع اسمه على الجناينى كان يخدم متطوعا لدى بعض فتوات الجيزة، يوما عند الفتوة مرعى ويوما عند الفتوة مصطفى لطفى، وذات مساء تطاول الجناينى على مصطفى لطفى ورفع السلاح الأبيض فى وجهه، ولم يكن الفتوة مصطفى لطفى من النوع الذى يغفر أو يعذر، خصوصا إذا كانت الإساءة من صايع هلفوت مثل شكرى ، ولذلك قبض لطفى على الجناينى وعينك ماتشوف إلا النور، وجرجره من قفاه وحبسه فى عشة كان يستعملها الفتوة فى مثل هذه المناسبات، وذهب الفتوة لطفى إلى الفتوة مرعى يعاتبه لأنه حرض «ولد صايع» مثل الجناينى على ضربه، ودليل الفتوة لطفى هو اعتراف الولد الجناينى نفسه، ونفى المعلم مرعى هذا الاتهام ووصف الولد الجناينى بأنه مدع وكذاب، وعندما أبدى استعداده لمواجهة الجناينى، اصطحبه مصطفى لطفى للعشة المجبوس فيها الجناينى ليتحقق المثل القائل.. أدى الجمل وأدى الجمال.. ولكنهما اكتشفا لحظة الوصول إلى العشة أن الولد الجناينى تمكن من الهرب، ثم شاع الخبر بعد يوم واحد أن الجناينى لجأ إلى الحاج شكرى الشهم الذى لا يتردد عن إغاثة الملهوف ونجده المظلوم، وكان ذلك اليوم هو آخر عهد الحاج شكرى بالشهامة والمروءة، فقد اقتحم منزله الفتوة مرعى وضرب الولد الجناينى علقة موت لأنه افشى سره للفتوة لطفى، وعندما احتج الحاج شكرى ناله من الحب جانب، انكسرت ذراعه وأصيب بعاهة فى قدمه، أما الولد الجناينى فقد فر هاربا من الجيزة، ولم يعرف أحد مكانه حتى الآن!.

أذكر هذه القصة الآن بعد مرور ٥٠ عاما على وقوعها بمناسبة الأخبار التى تناثرت هنا وهناك، حول محاولات لاستقبال أسامة بن لادن لمحاكمته فى مصر، صحيح أنها أخبار صحفية وليست رسمية، ولكنهم يقولون فى الأمثال.. مفيش دخان بدون نار.. ولذلك أتساءل.. ما لنا نحن ومال أسامة بن لادن؟، أولا أسامة ليس مصريا ، وثانيا، أسامة لم يتعرض لمصالح مصرية أو لأشخاص مصريين، ومعركة أسامة بن لادن مع الولايات المتحدة، ولذلك.. فالوضع الطبيعى إذا كانت هناك محاكمة لابد أن تكون فى ولاية نيويورك أو فى العاصمة واشنطن.

والعبدله يعتقد أن حكومة أمريكا لن تجرؤ على إجراء مثل هذه المحاكمة، وأغلب الظن أن المخابرات الأمريكية ستعمل على قتل أسامة خارج حدودها، لكى يضيع دمه بين القبائل.

أذكر أن حكومة مصر وقفت موقفا «شهما» ذات يوم أيام المرحوم أنور السادات فاستقبلت شاه إيران المطرود بعد ان رفضت امريكا استقباله فى أراضيها كما رفضت علاجه فى مستشفياتها ، وبعد موته نظم له الرئيس السادات جنازة فخيمة بعربة مدفع بينما فرقة موسيقات الجيش تعزف فى المقدمة ألحاناً جنائزية، والرئيس السادات نفسه على رأس جموع المشيعين بالملابس العسكرية وفى يده «إيد الهون» الذى كان يمسك به السادات فى يده تشبها بفراعنة مصر فى الأسرة الرابعة، هذا الموقف الشهم هو فى حقيقته خطأ شنيع لعدة أسباب، أولا لأن مصلحة الدولة يجب أن تكون فوق كل مصلحة، ولم يكن من مصلحة مصر الدولة استقبال حاكم مطرود بعد ثورة شعبية دامية، ولم يكن من الحكمة تحدى النظام الجديد فى طهران الذى أعدم كل رموز النظام القديم فى إيران، وثانيا، لأن شاه إيران شخصيا لم يكن صديقا لمصر أو للعرب فى أى وقت وفى ذروة الصراع العربى الإسرائيلى كان الشاه الصديق المخلص لإسرائيل، فتح لها أبواب إيران، وأمدها بالبترول الذى تحتاج إليه وبأسعار أقل من أسعار السوق، ولعب دور البلطجى فى منطقة الخليج، وعند أى خلاف مع دول المنطقة كان يهدد دولها بالحرب ويسارع بالمناورات البحرية، وكان يتعمد انتهاك المياه الإقليمية بالبوارج والقوارب المسلحة، ولم تكسب مصر من وراء هذه الحركة القرعة إلا بعض تصريحات الثناء على موقف حكومة مصر من بعض صغار المسئولين الأمريكان، بينما ساءت العلاقات بين القاهرة وطهران فى ذلك الوقت، ولاتزال يشوبها بعض الفتور حتى الآن.

وسلوك حسنى مبارك يؤكد انه لن يسمح بإجراء محاكمة لأسامة بن لادن أو غيره على أرض مصر، وهو الذى يضع مصلحة الدولة فوق أى مصلحة، ولكن التزام الحكومة المصرية الصمت إزاء هذه الأخبار التى نشرت فى الصحف المصرية وإذاعتها بعض الفضائيات العربية، هو عمل غير طيب، وكان يجب أن يسارع وزير الخارجية عمرو موسى إلى تكذيب هذه الأنباء أو وزير الإعلام صفوت الشريف، وحتى يكون موقف مصر الرسمى واضحا للجميع، وحتى يعلم الجميع أن مصر لا تفرط فى الحق ولا تجامل على حساب مصلحة الدولة.

وبعد.. فالعبدله يرجو أن تستجيب إيران للدعوة التى وجهها الشيخ خليفة بن زايد لحل مشكلة الجزر العربية المحتلة بالطرق السلمية وعن طريق الأمم المتحدة، وحتى تنتهى الغمة التى تخيم على العلاقات الإيرانية - العربية، لأن الوضع الطبيعى ان تسود العلاقات الطيبة بين إيران والعرب، لأنه الطريق الوحيد لتحقيق مصلحة العرب ومصلحة إيران، فى الوقت نفسه، أما توتر العلاقات أو فتورها فهو لا يفيد احدا إلا أعداء العرب وإسرائيل على وجه الخصوص وشكرا للأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولى العهد السعودى الذى مد جسرا بمبادرته التاريخية للتقارب العربى- الإيرانى، ورحم الله الحاج شكرى الذى دفع ثمن شهامته ذات يوم منذ أكثر من نصف قرن!.

الكورة والتصريحات الخنفشارية !

لا أعرف لماذا أرعش جميع المسئولين عن الكورة فى بر مصر حواجبهم بعد ظهور نتائج قرعة تصفيات افريقيا فى كأس العالم، صحيح أن القرعة أوقعتنا فى شر أعمالنا ، وحشرتنا القرعة وسط منتخبات المغرب والجزائر والسنغال، وهذا يعنى أن فرص وصول منتخبنا إلى نهائيات كأس العالم أصبحت صعبة ولكنها ليست مستحيلة .. ثم ماذا كان ينتظر السادة كهنة الكورة فى بلدنا؟ أن يكون بين جهاز القرعة موظف بلدياتنا يحفظ العيش والملح، ويحشر فريقنا فى قائمة تضم منتخبات رواندا وبوروندى ومالاوى وجزيرة بدران! ، وهل توجد بالفعل مجموعات كروية ضمن فعاليات كأس العالم، تضم منتخبات من هذا النوع؟ إن أحسن ما قيل تعليقا على نتائج قرعة تصفيات كأس العالم، هو التعليق الذى جاء على لسان المدير الفنى لمنتخب المغرب، قال الرجل ... «إن مجموعتنا تضم منتخبات من الوزن الثقيل، ومهمة وصولنا إلى ملاعب كأس العالم أصبحت صعبة جداً ، ولكنها ليست مستحيلة»، ثم اختتم تصريحه قائلا : «عموما ليس فى تصفيات كأس العالم منتخبات ضعيفة وأخرى لقمة سائغة» .. وهو قول حق أكدته تصفيات دول أمريكا اللاتينية حيث تعادلت البرازيل بجلالة قدرها مع كولومبيا ، وفازت على أرضها ووسط جمهورها على الأكوادور بنتيجة لا تليق بالبرازيل ملكة الكورة فى العالم ، ٣ أهداف مقابل هدفين ! .

وإذا نظرنا خلفنا فى غضب أو فى عبط على تصفيات منتخبنا فى كأس العالم السابقة، سنكتشف أن المنتخب الذى كان السبب المباشر فى إبعادنا عن ملاعب كأس العالم، هو أضعف منتخب فى مجموعتنا ، وهو منتخب ليبيريا ، وهو الأمر الذى يثبت أنه لا يوجد فى تصفيات كأس العالم فريق قوى وفريق ضعيف، وكل المجموعات فى كل القارات صعبة ولسان حال كل المنتخبات (على وعلى المنافسين يارب) .

ثم .. ما هو فضل الجهاز الفنى؟ ، وما هو فضل حضرات كباتن الكورة تبعنا ؟ ، إذا كنا سنخوض تصفيات كأس العالم، مع منتخب بلدية المحلة ومنتخب المريخ البورسعيدى ومنتخب الأسد المرعب ؟ .

فى تصفيات بطولة أوربا وضعوا الفريق الانجليزى فى مجموعة على رأسها منتخب إيطاليا ، وكانت هناك فرصة واحدة أمام منتخبات هذه المجموعة للصعود إلى نهائيات كأس أوربا ، وكان معنى ذلك أن تحرم إيطاليا من الاشتراك فى كأس أوربا ، إيطاليا التى حصلت على كأس العالم ثلاث مرات، فإذا وصلت إيطاليا إلى نهائيات الكأس، فمعنى ذلك أن انجلترا ستحرم من الاشتراك فى نهائيات أوربا، انجلترا التى اخترعت لعبة الكورة وأهدتها إلى العالم .. وهذا يعنى ببساطة أنه لا يوجد فى مجال الكورة فريق على رأسه ريشة، وليس أمام المنتخبات إلا الخضوع للنظم واللوائح والقوانين ، وها هى قرعة تصفيات كأس العالم أوقعتنا

فى مجموعة لاشك أنها صعبة، ولكن ليس أمامنا إلا اللعب والمنافسة وحشد كل الإمكانات لتحقيق النصر، وقد نفلح وقد نفشل .. ولكن لا شىء يهم على رأى إحسان عبد القدوس ، لأنه ليس علينا إلا أن نسعى وليس علينا إدراك النجاح ، ولكن سيتحقق النجاح وسيكون مكافأة لنا عن دقة تنظيمنا وحسن تدريبنا وقوة التجارب التى شاركنا فيها وذكاء الخطة التى لعبنا بها ، ولدى العبد لله حلم أسأل الله أن يتحقق، أن يفوز فريقنا فى كل المباريات التى تدور على أرضنا ووسط جمهورنا ، وأن نتعادل فى كل المباريات التى نلعبها خارج أرضنا، ولو أكرمنا المولى الكريم، بالفوز مرة واحدة فى المباريات التى نلعبها على أرض الفرق المنافسة، ولو تحقق الحلم سيفرح شعبنا لرؤية فريقه على ملاعب كأس العالم ، وهى فرحة لا تعادلها فرحة، لأنها فرحة البسطاء من أفراد شعبنا وهم بالملايين .. وأسأل الله أن يتحقق هذا الحلم .. ولو مرة كل عشر سنوات .

●●●

سبق للعبد لله لفت نظر بعض الوزراء وبعض رؤساء الشركات والهيئات إلى التمهل فى نشر البيانات التى تحمل أخبارا سارة ومبشرة عن الوظائف الجديدة التى وفرتها الحكومة، وعن كميات البترول التى اكتشفوها فى الصحراء وفى البحر والتى يقدر الخبراء ثمنها بمليارات الدولارات، وقلت إن نشر مثل هذه الأخبار وإذاعتها على الناس هى أخطر ألف مرة من كتمانها ، خصوصا أنها غالبا أخبار غير مؤكدة أو مبالغ فيها على الأقل، أو لم تعرض بعد على المستوى الأعلى فى السلطة ، وناس بلدنا أغلبهم طيبون وهم على استعداد للصبر والصمت وربط الأحزمة على البطون بشرط أن تصارحه بالحقيقة .

وزمان أيام الكفاح ضد قوات الاحتلال فى منطقة القناة، وخلال النضال الشاق لبناء السد العالى، شرب المصريون ملوخية على أنها شاى هندى فاخر ولم يتذمروا ، ولكن شعبنا الطيب يمتاز بالحداقة فى الوقت نفسه، وإذا شعر أنك تخدعه فسيكون له موقف آخر، يوم الثلاثاء الماضى قرأت عنوانا ضخما على الصفحة الأولى بجريدة «الأهرام» العنوان يزف للمصريين بشرى العثور على اكتشافات بترولية جديدة قدرها الخبراء بمليار ونصف المليار دولار، والخبر ليس اجتهادا صحفيا ولكنه تصريح لوزير البترول، والمدهش حقا أن الوزير قال فى التصريح نفسه إن هذه الاكتشافات ستعرض فى اجتماع مجلس الوزراء قريبا ، طيب ، فيها إيه لو تمهلتم حتى يصدر مجلس الوزراء قراره بشأنها .

هل تعلمون ماذا حدث فى الشارع؟

قابلنى المواطن عبد العزيز على باب نادى الصحفيين النهرى وبادرنى قائلا: خلاص هيقبضونا الفلوس؟ ، قلت : قول يارب ، قال : ما خلاص فرجت .. شوف لقوا بترول بالشىء الفلانى ، ومد يده بالنسخة التى تحمل الخبر ! .



عولمة بشرطة

يا عينى على شنقيط !

ما الذى جرى فى بلاد شنقيط؟، وشنقيط هو الاسم الحقيقى لقطر عربى أصبح اسمه الآن موريتانيا، وهو قطر رقيق الحال فقير الموارد صحراوى الطبيعة، وهو فى الوقت نفسه عضو بالجامعة العربية ورأسه برأس دول الخليج وليبيا والجزائر من دول البترول ، ورأسه برأس مصر والمغرب وتونس والعراق من دول الأنهار، وبالرغم من ذلك لم يتحصل القطر الفقير على جزء من خيرات الأشقاء لا مشروع عربى واحد ولا رجل أعمال عربى واحد ولا شىء على الإطلاق سوى عضوية الجامعة العربية.

ولذلك كان من السهل على وزارة الخارجية الأمريكية اختراقه، لقد كانت معذورة فى تقديم هدية لحكومة نتانياهو بعد توقيع اتفاقية (واى ريفر) وكان هناك وعد من مدام أولبرايت بأنه كلما تقدمت حكومة إسرائيل خطوة إلى الأمام ، سيتقدم العرب نحوها خطوتين، وفوجىء العالم العربى عقب توقيع اتفاقية (واى ريفر) بوزير خارجية موريتانيا يهبط بطائرته فى مطار بن جوريون، وأعلن يومها أنه جاء لتهنئة الحكومة الإسرائيلية على خطوتها الموفقة نحو تحقيق السلام، ولم يكن هناك أى علامة على السلام والوئام، وتصور البعض أنها شطحة من شطحات وزير الخارجية الموريتانى، ولكنهم فوجئوا بعد عدة أيام بتصعيد وزير الخارجية إلى منصب رئيس الوزراء ثم فوجئوا بعد ذلك بالإعلان عن إقامة علاقات دبلوماسية كاملة بين موريتانيا وإسرائيل، وكان الأمين العام لجامعة الدول العربية هو أكثر الناس اندهاشا، وهو موقف غريب لأن أمين الجامعة العربية كان يجب أن يتوقع مثل هذه الخطوة لو كانت الجامعة العربية تقوم بدورها على الوجة الأكمل، ولكن الأمر الواقع يقول إن الجامعة العربية ربما لا تعرف أين تقع موريتانيا على الخريطة، بالضبط؟ والعبد لله يسأل سيادة الأمين العام: هل قام بزيارة موريتانيا من قبل؟ وكم عدد الزيارات التى قام بها؟، وأسأل مرة أخرى ملوك الدول العربية وامراءها ورؤساءها، كم رئيسا منهم قام بزيارة موريتانيا؟، وكم مرة وجهوا الدعوة لرئيس موريتانيا لزيارة العواصم العربية؟ سواء فى زمن ولد دادة أو ولد طايع، وبعد ذلك يبدى الأمين العام دهشته لما بدر من حكومة موريتانيا ، صحيح أنها بعيدة عن مشكلة فلسطين، ولكن ما المانع من إثبات وجودها بحركة من هذا النوع، وهو الأمر الذى تحقق فعلا بعد هذه الحركة القرعة التى قامت بها حكومة موريتانيا ، والتى تسببت فى اندهاش العالم العربى كله من المحيط الهادر إلى الخليج الثائر! والأكادة - على رأى عبدالعال افندى مدرس العربى - أن جماعة الخير فى أمة العرب لهم كل يوم شهقة اندهاش مما يقع فى بلادهم من غرائب وعجائب، مع أنها فى الحقيقة ليست من العجائب أو

الغرائب، ولكنها أشياء تمت ببطء ثم أينعت وازهرت ثم طرحت ثمارها على الأغصان، ولكن لأننا لا ننظر إلا تحت أقدامنا، نفاجأ بالثمار وقد نزلت على الأغصان فنشهق من شدة الدهشة، خذ مثلا حكاية دولة قطر، حدث فيها تغيير للسلطة وهي حرة بالطبع لا سلطان لأحد عليها، ولكن العرب لم يحسنوا قراءة ما جرى هناك، وعندما انكشفت الأوراق ابدى العرب دهشتهم، ولايزالون في حالة اندهاش إلى هذه اللحظة، خذ عندك مثلا ما حدث للمصريين في خيطان بالكويت، اندهشنا جميعا وكأن ذلك حدث بالأمس فقط، مع انه يحدث مثله كل يوم منذ ثلاثين عاما، في العراق دهسوا المصريين تحت عجلات السيارات اثناء احتفالهم في بغداد بالتعادل مع بطل أوربا «هولندا» بكأس العالم، وقتلوا منهم الألوف وارسلوهم في نعوش طائرة ولم نهتم.. وحدث الشيء نفسه في الأردن، وفي لبنان وفي بعض دول الخليج ولم يهتم أحد، مع أن المصريين كانوا موضع التقدير والاحترام في كل مكان حتى منتصف السبعينات، ثم بدأت حالة الانهيار والتدهور، تركنا للمصريين الحبل على الغارب يخرج متى يشاء ويعود أحيانا مطرودا أو مكبلا بالكلبشات ولو كنا انتبهنا منذ البداية، لو وضعنا الضوابط وأقمنا الحدود، لما حدث شيء من هذا على الإطلاق.

وكم من جرائم ومآسٍ حدثت هنا في مصر نتيجة رواية لا أساس لها من الصحة، خلاصتها ان كل من يعبر الحدود إلى بلاد النفط يعود ومعه الدولارات بالكوم، وكان يجب علينا توعية أبناء وطننا بأن سوق العمل في تلك البلاد أسوأ من سوق العمل في بلدنا، لأن المنافسة هناك على ودنه بين أبناء عشرين جنسية على الأقل، الهندي والصيني والتايلاندي والفليبيني والأندونيسي والأفغاني إلى جانب العرب الفقراء، وأضيف إليهم أخيرا أبناء دول الجمهوريات السوفياتية سابقا، ولكننا تركنا الأمور تمضي في اعنتها ، ثم عندما تقع كارثة في أي مكان نرعش حواجبنا من شدة الدهشة، وكأننا لم نكن نتوقع شيئا مما وقع بالفعل.

أقول لكم يا جماعة الخير، لا تلوموا أحدا إلا أنفسكم فمن يهن يسهل الهوان عليه مالجرح بميت إيلام، لقد كان يجب علينا أن نتعلم من درس فيتنام، فبالرغم من قلة الموارد وضيق الحال، أتحداك ان تعثر على فيتنامي واحد في سوق عمالة في أي مكان، فإذا كانت فرص العمل قليلة في فيتنام فليشترك اثنان في عمل واحد، وليقتسم الاثنان اجر الواحد حتى يأتي فرج الله ، ومنطق حكومة فيتنام ان المواطن الفيتنامي الذي جرع الهزيمة للانجليزي والفرنسي والأمريكي ، لا ينبغي له أن يتجرع الذل في سوق العمل في الخارج.

سأقول لكم شيئا خطيرا للغاية، إن فكرة الوحدة العربية تم القضاء عليها نهائيا ولمدة مائة عام على الأقل، والسبب هو المعاملة السيئة التي واجهها العمال المصريون في العالم العربي، في الستينات عندما رفعت حكومة مصر شعار أمة عربية واحدة، استبد الفرح بالمصريين إلى حد الرقص في الشوارع، وأنا واقف فوق الأهرام وقدامي بساتين الشام، واليوم.. لو رفع أي حزب مصري هذا الشعار فسيأكل ضرب ما يأكلوش حرامي في مولد، وإذا حدث ذلك ذات يوم.. فأرجوكم لا تندهشوا! ولا تلقوا باللوم على إسرائيل.. فنحن العرب وراء كل مشكلاتنا.. والله من وراء القصد!..

سعادة الوزير وأنبوبة البوتاجاز !

أى مواطن يصلح وزيرا، وكل مواطن يستطيع أن يملأ مكانه فى منصب الوزير. وهو خطأ شائع ولا أساس له من الصحة لأن منصب الوزير منصب قيادى فى الدرجة الأولى من الأهمية، وليس عيبا أو عاراً أن يكون العبد لله لا يصلح لمنصب الوزير ولكن العيب الحقيقى أن أتقلد هذا المنصب وأنا لا أصلح له، ومسوغات تعيين الوزير أن يكون من أصحاب القدرة الإدارية الفائقة وأن يكون من أتباع سياسة معاوية .. لو كان بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت .. إذا جذبوها أرخيتها .. وإذا أرخوها جذبتها، وإذا كان الوزراء وهم فى السلطة يبدون جميعا سواء فهذا الأمر يكون صحيحا فى الصورة فقط، أما فى واقع الحال فالأمور تختلف. ولدينا الآن مثل حى وملموس وعلى عينك يا تاجر.

فى أيام الدكتور أحمد جويلى وزير التموين السابق لم نسمع عن أزمة فى البوتاجاز فى أى وقت .. لا فى الصيف ولا فى الشتاء كانت الأنابيب متوفرة والسعر ثابت والناس مرتاحة وكل شئ على ما يرام، وفى عهد الوزير الحالى اشتعلت أزمة البوتاجاز إلى الحد الذى أصبحت فيه أزمة جماهيرية، وإذا كانت طوابير الجمعيات الاستهلاكية قد اختفت فقد حلت محلها طوابير البوتاجاز، وهجمت جحافل البلطجية على منافذ التوزيع تشرف على التوزيع وتحدد التسعيرة المناسبة، وبينما المستهلكون يشتكون من غلاء السعر الذى بلغ فى بعض المناطق خمسة عشر جنيها للأنبوبة الواحدة، نجد البلطجية يحققون أرباحاً يحسدهم عليها رجال الأعمال. هذا الوضع السيئ الذى انتهت إليه أنبوبة البوتاجاز ما هى الأسباب التى أدت إليه؟.

فى رأى العبد لله أنه ليس هناك أى سبب إلا سوء الإدارة، وفى عهد الدكتور الجويلى لم نسمع عن زيادة الثمن فى أى سلعة من السلع الضرورية وفى عهد الوزير الحالى أصيب سوق السكر بالجنون، وقيل فى تبرير ذلك أن واحد مستثمر اسمه على الصفدى هو المسئول، وإذا كان هذا الأمر صحيحا يكون التاجر على الصفدى أقوى من الوزير ومن وزارته ومن أجهزته، وفى بلد مثل مصر تهون اللخبطة فى أى مكان إلا فى وزارة التموين، فلا بد من ضبط الموازين فى السلع الأساسية التى تعتمد عليها أغلبية الجماهير، فلا يمكن الإهمال أو غض الطرف عن حالة الفول المدمس والعدس والسكر والشاى والخبز والارز، فإذا حدثت اللخبطة فى هذا المجال فيا داهية دقى أعوذ بالله! ولكن السيد وزير التموين يبدو وسط الأزمات وبالرغم من

الأزمات، شديد الانشكاح لا شئ يشغل باله ولا شئ يعكر مزاجة ولا شئ ينغص عليه حياته، ولماذا يقلق مادام الجو بديع والدنيا ربيع، لعله لايدرك أن بيتاً بلا أنبوبة بوتاجاز فى هذا الشتاء القارس معناه مشكلة ترتفع إلى حد الكارثة .

مرة منذ بضع سنوات حدثت مشكلة فى توزيع الأنابيب وعلقت على المشكلة فى بضعة سطور بمجلة «المصور» وفى الساعة العاشرة صباحاً من اليوم التالى سمعت طرقا على الباب ولما فتحت اكتشفت وجود الوزير عبد الهادى قنديل وزير البترول على الباب ومعه المهندس عبد الحميد أبو بكر رئيس مجلس إدارة شركة بتروجاز، وقضى الوزير مع العبد لله حوالى ساعة ومعه كل الوثائق التى تثبت براءته وبراءة وزارته وبراءة أجهزته ولكن المشكلة كانت وليدة سوء تصرف من بعض أصحاب مراكز التوزيع وأنه جاء إلى منزلى بعد جولة مبكرة فاجأ فيها عدداً من هذه المراكز وأمر بإغلاق مركزين ولم تستمر المشكلة أكثر من أيام قليلة، ثم هدأت سوق البوتاجاز وعادت إلى مسيرتها القديمة.

والعبد لله يعتقد أن وزارة البترول يقع عليها جزء من مسئولية الفوضى التى تعربد فى سوق البوتاجاز، ولكن وزارة التموين هى المسئولة الأولى، فى أيام الدكتور الجويلى مثلا ابتدعوا نظاما للتوزيع كان بمثابة ضربة معلم، فاختاروا عددا من الشباب الحاصلين على شهادات متوسطة وشهادات عليا وأعطوا كلا منهم الحق فى توزيع سيارة بوتاجاز بعد دفع التأمين المطلوب، وقد حققت هذه السياسة اصطياد عدة عصافير بحجر واحد، سهولة التوزيع ووصول الأنابيب إلى المستهلك وضمان دخل معقول للألوف من الشباب وإبعاد البلطجية عن سوق البوتاجاز، ولا أعرف ما الذى حدث لهذا النظام بعد التغيير الوزارى الأخير، هل لا يزال معمولا به حتى الآن؟ أم أن الوزير الجديد ألغاه باعتباره من مخلفات الجويلى كما فعل مع موظفى مكتبه وعمال البوفيه الذين كانوا يعدون القهوة والشاى للوزير السابق!، وإذا كان بعض السادة من أصدقاء الوزير الذين يلتمسون العذر له على أساس أنه وزير مستجد كما وصفه زميله الدكتور يوسف بطرس غالى وزير الاقتصاد فهو عذر أقبح من ذنب، ، لأن وزير التموين لابد أن يكون وزيرا متمرسا وخبيرا ولا يسمح لأى خيط من الخيوط التى يمسك بها بين يديه من الإفلات من بين أصابعه، لأن وزارة التموين ليست وزارة هامشية ولكنها وزارة على قدر كبير من الأهمية لأنها وزارة تتعامل مباشرة مع الجماهير.

أذكر أنه فى العام ١٩٧٠ سألنى أحد تجار الحبوب بالجيزة وهو المرحوم الحاج سيد مخيمر أن ألفت نظر وزير التموين وكان المرحوم حمدى عاشور بأن الوزارة على وشك الوقوع فى أزمة فول مدمس قد يكون لها أبعاد خطيرة، ورفعت سماعة التليفون وسألت حمدى عاشور سؤالا عابرا .. عامل إيه فى الفول؟! .. وأجابنى حمدى عاشور بأن كل شئ على ما يرام والتقارير كلها تؤكد أن مخازن الوزارة تضم كميات من الفول تكفى مصر لمدة عام كامل، قلت له طيب على خيرة الله ثم سألنى حمدى عاشور بتسأل ليه؟ .. أجبته بأنه لاشئ هناك سوى

أن أحد تجار الجيزة الكبار المعروفين قال لى إن وزارة التموين قد تعانى من أزمة الفول مدمس فى القريب، وأجابنى حمدى عاشور ضاحكاً ده لازم كان مبسوط شوية .. بعد ثلاثة أيام على وجه التحديد من هذا الحديث اتصل بى الوزير حمدى عاشور وصاح قائلا .. الراجل اللى قالك على أزمة الفول ده فين؟ .. قلت له .. موجود .. قال حمدى عاشور .. تسمح تجيبه وتيجى .. قلت له .. سأبحث عنه وإذا كان موجودا سأصطحبه إلى مكتبك .. بعد ساعتين من هذا الاتصال التليفونى كنت مع المرحوم سيد مخيمر فى مكتب الوزير، وكان المكتب يضيق بعشرات من كبار الموظفين، وكلاء وزارة ومديرى عموم ومعهم مدير مديرية تموين الجيزة ومدير مديرة تموين القليوبية وقال الوزير لسيد مخيمر .. أنا ياعم سيد عاوز أشكرك على الكلام اللى أنت قلته لمحمود .. فنحن بالفعل على أبواب أزمة حادة فى الفول المدمس ونريدك أن تشترك معنا الآن فى الحوار وتدلنا على أحسن الطرق لعلاجها وكيفية الخروج منها بسلام .. ولما كان سيد مخيمر من أكبر تجار الحبوب فى مصر فقد وعد الوزير بأن يمد الوزارة بخمسين طنا يوميا بالتسعيرة ، وأشار على الوزير بتنفيذ عدة مقترحات تسهل الخروج من الأزمة، وبالفعل طبق الوزير ما أقترحه سيد مخيمر عليه ونفذ سيد مخيمر وعده وقدم خمسين طنا من الفول بالتسعيرة للوزير كل صباح، وانتهت الأزمة بسلام .. وفى أول مجلس وزراء برئاسة أنور السادات قال الوزير حمدى عاشور لرئيس الجمهورية .. يا سيادة الرئيس الأمن الغذائى أهم من الأمن السياسى ووافقه السادات على ذلك ووجه الشكر لوزارة التموين لأنها عالجت مشكلة الفول بسياسة ناجحة .. وبعض الذين يدافعون عن وزير التموين الحالى يقولون إنه كان مديرا لبنك وقد شهد بنجاحه فى إدارة البنك الجميع ، والعبد لله يعلم أن الوزير الحالى كان مديرا لبنك ، أما مسألة نجاحه من عدمه فى إدارة البنك فهى مسألة فيها قولان كضربات الجزاء، ثم ان إدارة البنك تختلف عن إدارة وزارة، فالبنك كشوف حسابات وأجهزة كمبيوتر وعمليات سحب وإيداع وهى أمور تحتاج إلى محاسب والى مدير يراجع ويراقب ويحاسب، ثم أن المثل الشعبى يقول «إن الميه تكدب الغطاس» .. وهاهى مياه وزارة التموين غطس فيها وزير التموين الجديد ولم يظهر له أثر حتى الآن.

والعبد لله يهيب بالدكتور عاطف عبيد رئيس الوزراء أن يخرج قليلا من دوامة العمل ويلقى نظرة على مشكلة البوتاجاز لعله يقوم بزيارة لبعض مخازن البوتاجاز فى العاصمة والجيزة ليرى بنفسه كم يعانى الناس أمام مراكز التوزيع وكم يلاقون من صنوف العنت والإرهاق وابتزاز البلطجية للحصول على أنبوبة وبثمن تضاعف حتى الآن أكثر من خمس مرات .

وعلى العموم فشل وزير فى وزارته ليس نهاية الكون، ولكن استمرار وزير فاشل فى وزارته هو أمر له عواقب وخيمة، وفشل الوزير فى وزارة أمر محتمل فى وزارات كثيرة ولكن فى وزارة التموين بالذات .. اللهم لا نسألك رد القضاء ولكن نسألك اللطف فيه!.

زحمة يامصر زحمة

شـاهدت كـوبرى الاسكندرية الجـديد الذى يربط بين عـروس البـحـر الأبيض والطريق الصحراوى والطريق الزراعى فى الوقت نفسه .

والحق أقول إنه منذ تولى الرئيس مبارك السلطة وحكوماته المتعاقبة لم تقصر فى إنشاء شبكة طرق لم يكن لمصر عهد بها من قبل .. طرق ريفية وطرق علوية فى المدن ومترو أنفاق وجسور على مجرى النيل أهمها كوبرى امبابة وكوبرى المنيب وطريق دائرى فى القاهرة وآخر فى الاسكندرية . وبالرغم من ذلك فالمشكلة لم تحل . الدنيا زحمة والشوارع مزدحمة بالناس ، وبعض المناطق لا فرق فيها بين الليل والنهار ، مثل شارع الملك فيصل وشارع الأزهر ، فى الوقت نفسه نجد مدينة مثل لندن مزدحمة بالسكان ، الزحمة فيها تتركز فى صرة المدينة، أما خارج هذه الدائرة فليس هناك زحمة ولا يحزنون. منذ أيام خرجت فى الصباح الباكر فى طريقى إلى مطار القاهرة، وكدت اتخلف عن ركوب الطائرة بسبب الزحمة المجنونة، وفى كل مرة أعود فيها إلى بيتى بعد منتصف الليل ، أجد نفسى فى يوم الحشر، ليه؟. لا أعرف ولا اعتقد أن أحدا غيرى يعرف. هل هناك نوع من الموظفين عملهم الوحيد هو التجول فى الشوارع؟. هل هناك مدارس تقوم بتعليم التلاميذ فى الطريق العام؟. هل نحن شعب من الصياع يقضى أغلب وقته هائما على وجهه فى الطرقات . هذه المسألة فى حاجة إلى دراسة حقيقية لمعرفة السبب.

خلال رحلة قصيرة إلى كوبنهاجن عاصمة الدنمارك، تجولت فى شوارعها فى الحادية عشرة مساء مع الصديق المهندس على والى وزير البترول الأسبق ، وتصورت أن هناك أمراً بحظر التجوال ولكنى عرفت من سعادة السفير المصرى أن كوبنهاجن تبدو خالية من السكان فى مثل هذا الوقت . ولكنى عدت إلى التجوال فى أنحاء المدينة ظهرا واعتقدت أن حظر التجوال لايزال مفروضا على المدينة. لماذا عاصمة مصر هى التى تبدو وكأنها مدينة هندية ، لا أستطيع أن ألوم الحكومة لأنها مدت شبكة طرق وحفرت أنفاقا فى خمسة عشر عاما أضعاف ما حدث فى المدينة لمدة مائة عام سابقة .. صحيح أن هناك أخطاء هندسية فى عملية إنشاء القاهرة. الدليل على ذلك أن أحدث شارع فى العاصمة هو شارع فيصل بالجيزة ، ولكن

عرضه لا يزيد كثيرا على عرض شارع المعز لدين الله الفاطمى الذى تم فتحه منذ ألف عام، إن القاهرة والجيزة فى حاجة إلى مجلس أعلى لإعادة تخطيطهما للوصول بهما إلى المستوى الذى تستحقه كعاصمة كبرى ليس فى الشرق الأوسط فقط ولكن فى العالم كله . وحرام أن نترك أمر القاهرة لمهندس فى المحافظة مشغول بالرشاوى وبإصدار تصاريح البناء وملاحقة المخالفين ، ثم هو فى النهاية مربوط من قفاه بالسيد رئيس الحى والسيد رئيس المدينة ، القاهرة أكبر من ذلك وأكثر أهمية . ولابد من إنشاء هذا المجلس الأعلى على أن يضم أكبر المهندسين وبعض أساتذة الجامعات وبعض المفكرين والأدباء . وأن يكون المجلس إياه تحت اشراف مجلس الوزراء مباشرة ، وأن تكون علاقته مقطوعة تماماً بالمحليات . فيكفى ما فى المحليات من كوارث وفواجع وجرائم يشيب لها الولدان . وأن نطلق يد المجلس إياه فى فعل ما يراه مناسبا لكى نظفر فى النهاية بعاصمة جميلة وجليلة تتفق مع دور القاهرة ووضعها فى التاريخ ، حتى ولو أدى الأمر إلى ازالة أحياء بأكملها.

إن منظر مدينة الرباط الذى ظهر على شاشة التليفزيون أثناء تشييع جنازة الملك الحسن الثانى جعلنى أبكى ألما على منظر عاصمة مصر الذى لا يسر عدوا أو حبيبا . وليست الرباط وحدها ولكن هناك مدنا عربية أخرى، أبو ظبى والشارقة فى الخليج وجدة فى السعودية وعمان فى الأردن ، وهل من المعقول أن تكون أبو ظبى أكثر اخضرارا من القاهرة؟ القاهرة التى يحتضنها النيل تبدو لمن ينظر إليها من الطائرة كصخرة جامدة. هل هى قلة مياه؟. هل هى قلة طمى؟، هل هو عدم إحساس بالجمال؟. هل هو سلوك موظفين، مشى ايدك وقول يا باسط، ياعم دا كده رضا وربنا يديمها نعمة.

العبد لله يؤكد أنه لابد من المجلس الأعلى لإعادة تنظيم القاهرة، ولابد من إلحاق مدينة الجيزة التى تضم الدقى والمهندسين وشارع فيصل وشارع الهرم إلى مدينة القاهرة، واختيار عاصمة أخرى للجيزة تضم الحوامدية والبدرشين، ولا خوف من هذا الاجراء لأنه أمر طبيعى واجراء ضرورى للنهوض بالقاهرة كلها بضفتيها الشرقية والغربية على حد سواء . والدليل على أنه أمر طبيعى أن جامعة الجيزة اسمها الرسمى جامعة القاهرة ! .

●●●

أخطر ماحدث فى الفترة الأخيرة هو هروب بعض الرياضيين المصريين وانضمامهم إلى الفريق القطرى . الهدف طبعاً هو الفلوس . وكان تمثيل البلد فى المحافل الدولية واللعب تحت رايته هو أغلى أمنية يمكن أن يحققها الإنسان فى الحياة . ولكن الآية انقلبت الآن، فأصبحت الأمنية .. هى التردد على البنك وتحرير الشيكات والبحث عن شقة أوسع وسيارة أفخر وأكلة أدسم . حتى لو لعب الكابتن للشياطين. ان الهارب أشرف السعد الذى نقنه ولا المقشة لم يخجل من الظهور على قناة الجزيرة الفضائية، وزمان كان أى إنسان فى وضع الأخ المقشاوى يلجأ إلى الظل ويختفى عن الأنظار . حرامى ونصاب وهارب من العدالة ولكن هذه الصفات

فى عصر العولمة وآليات السوق أصبحت نياشين يعلقها البعض على صدره . وزمان كانت السيدة البطلة هى أم صابر ، وأصبحت الآن المرأة الحديدية وعلية العيوطى التى خرجت من مطار القاهرة نهاراً وبالسلامة وفى أمان الله . والسؤال الآن .. كيف خرجت ؟ بتأشيرة من النائب العام، وهناك خلاف حول .. هل من حق النائب العام السماح لها بالسفر ؟. أم من حق المحكمة ؟ وهى نقطة لا تستحق أن نتوقف عندها، فسلطات النائب العام واسعة وتحتمل كل شىء. ولكن السؤال الذى يجب طرحه . هل كان يسمح بسفر المواطن على برعى المتهم بسرقة حبل الغسيل من فوق السطوح حتى ولو كان مريضاً بأخطر أنوا ع السرطان؟. ولكن علية العيوطى يسمح لها بذلك حتى ولو كانت مريضة بالزكام . الذى سمح لها ليس النائب العام ولا المحكمة ، ولكن الذى سمح لها هو الجو العام ، وأما الذى معه فلوس يسمح له بكل شىء أما المفلس الجربان فلا يسمح له حتى بالبكاء . إنه الجو العام الذى جعل بعض الكباتن تهرب من الفريق الوطنى المصرى والانضمام إلى فريق وطنى آخر واللعب تحت علم مختلف . ولم لا ؟. مادامت المسألة فيها هبرة محترمة ولقمة طرية، وهى الأشياء التى أصبحت الهدف والمنى والطلب . وأتساءل الآن .. لماذا الحباك وحده هو الذى يعانى فى السجن فى هذا الحر اللعين؟ افرجوا عنه هو الآخر واسمحوا له بالسفر ، فيكفيه (شرفا) أنه أعاد لنا ٢٠ مليون دولار من مجموع منهوباته ، وهو موقف يفرض علينا أن نشكره عليه! .

٢٣ يوليو والشجعان ...!

فى ذكرى ثورة ٢٣ يوليو المجيدة نرفع أيدينا إلى السماء ونسأل الله أن يغفر للبطل ويحسن إليه عمنا جمال بن عبد الناصر حسين قائد وزعيم ثورة ٢٣ يوليو، الثورة التى صححت الواقع المصرى، فقضت على مجتمع الواحد فى المائة مجتمع الباشوات وأعيان الريف وأصحاب الطين ، وقتلت بضربة واحدة أعداء مصر الثلاثة الفقر والجهل والمرض، وأزالت استعمارا انجليزيا فشلت كل التنظيمات السياسية التى سبقت الثورة فى زحزحته بوصة واحدة.

ما أعظمهم من رجال أبطال الذين ضحوا بأرواحهم من أجل تخليص مصر من كل الأعداء، وما أعظمه من رجل البطل جمال عبد الناصر الذى لم يسترح لحظة واحدة خلال ١٨ عاماً طويلة، ولكنه خاض كل المعارك وحارب على كل الجبهات وانتصر أحياناً وانهزم أحيانا، ولكنه استطاع من خلال الهزائم والانتصارات أن يضيف إلى مصر ولا ينقص منها، انتصر على دول كان مجرد ذكر اسمها يلقى الرعب فى قلوب الكثيرين ، وانتصر على قوى شريرة ورهيبة ولم يهزمه إلا بعض زملائه وبعض الشجعان من أعدائه الذين مارسوا الصمت طوال عهده ولزموا الصمت بعد موته بعدة سنوات طويلة ثم خرجوا من جحورهم بعد رحيله بربع قرن من الزمان ، يلعنون سنسفيل أجداده ويصفونه بالحرامى الذى سرق مجوهرات أسرة محمد على، وأحدهم اتهمه بصرف عشرة ملايين دولار منحة من الملك فيصل ، قال الشجعان إن عبد الناصر باعها فى السوق السوداء وحصل على الفرق، يعنى حصل على ١٠ آلاف جنيه تقريبا يا للتفاهة والحقارة والجبن!.

كان باستطاعة جمال عبد الناصر يرحمه الله لو كان يطمع فى مال أن يسأل أى شيخ عربى أو أمير عربى أو حاكم عربى من ملوك البترول أن يحول له عدة ملايين وهو طريق أسهل وأسلم بدلا من تعرض نفسه لشرطة الأموال العامة أو لمفتشى السوق السوداء! عبدالناصر الذى شغل الدنيا والناس والذى تحدى الدول الكبرى والقوى العظمى، عبد الناصر الذى لم يهدأ لحظة ولم يسترح لحظة، اتهمه واحد من إياهم منذ أسبوع واحد بأنه حرامى وقاتل وخائن وعرّض جيش مصر للإبادة لكى يتمكن من عزل عبد الحكيم عامر ، وهتك أعراض نصف نساء مصر، المستشار الشجاع الذى أغلق فمه كل هذه السنين الذى لم يهمس بكلمة احتجاج واحدة ولم يصرخ بكلمة استغاثة يوما ثم جاء فى ذكرى وفاة عبد الناصر التاسعة والعشرين فرماه بكل نقيصة واتهمه بكل تهمة وبصق على وجهه ووجه ثورته، وهى

شجاعة منقطعة النظير وهى تعطى الأجيال القادمة درسا فى فن الشجاعة والاحترام ، فكل زعيم ميت ملعون أبوه، وكل قائد مدفون فى التراب حرامى وابن كلب حتى يثبت العكس ، أما كل وكيل وزارة حى يرزق فهو الأسد الجسور والسبع المقدام والنسر الجارح ، المستشار إياه الذى وصف أحد وزراء العهد الحالى بالأسد الجسور لم يجد حرجا فى وصف عبدالناصر بالحرامى واغتصاب «الحرائر» من النساء، عبدالناصر الخائن الذى خان أصدقاءه وخان وطنه وخان شعبه وعاش ومات فى مستنقع الخيانة والاستسلام، أما سعادة أى وزير حال فما أعدله وما أعظمه وما أجمله وما أروعه من رجل، بل وإن شئت الدقة فهو خير الرجال وزين الرجال ، يالشجاعة الرجال عندما تظهر فى الوقت المناسب ، صحيح أكل العيش مر ولكن الرجل الكسيب هو الذى يعرف متى يبدى الشجاعة ومتى يتمسك بالجبن.

أغرب شىء أن كل هؤلاء الرجال الشجعان لم نشاهد أحدهم يوما ما فى السجن أيام عبدالناصر، هذا الديكتاتور المتعطش للدماء كما وصفوه كان لايترك رجلا حرا يمشى على قدميه فى الأسواق، فكيف عشتم أيها الشجعان الأبطال أيام عبدالناصر آخر نغنغة وآخر سبهللة وآخر مزاج؟، بعض هؤلاء الشجعان يعيدون ويكررون كذبة كبيرة أن حادث إطلاق النار بميدان المنشية هى تمثيلية من أجهزة عبدالناصر ، هؤلاء الشجعان الأشاوس هم فى الواقع أعضاء فى جماعة الإخوان، ولكنهم لشجاعتهم الفائقة يخفون هذه الحقيقة خوفا مما لايحمد «كعباه» على رأى المرحوم الفنان محمد رضا يرحمه الله.

عمنا جمال عبدالناصر الذى فجر ثورة ٢٣ يوليو ، تأكد ياسيدى أن ذكراك ستبقى حية بيننا وستبقى متوهجة فى تاريخ بلادنا إلى ألف عام، أغفر لهم ياأبتاه .. اغفر لهؤلاء الشجعان النشامى الذين يجيدون عملية الارتزاق فى كل عصر . حرفتهم سب الموتى من الزعماء والأبطال ومدح أصحاب النفوذ من الأحياء من وكيل وزارة ونازل حتى الفراش ، إنهم مجرد حشرات وهوام وهم لايستعرضون شجاعتهم إلا فى قرافة الإمام الشافعى، إنهم فتوات جبانة البساتين وقرافة الغفير ومدافن سيدى النخال.

وياحضرات السادة الشجعان أنتم أتفه من نملة تحاول هدم الهرم الأكبر، وأنتم أحقر من ذبابة تحاول أن تنال من معبد الكرنك ، وياعمنا عبدالناصر لاتحزن لسفالة بعض هؤلاء الشجعان من ماركة الأسد الهصور ، فهم مجرد أكيلة عيش وشتيمتك مجرد سبوبة ولقمة عيش وأحسن من السرقة والتبكيش وكل شىء يغضب الرحمن!.

●●●

فى أحيان كثيرة أفكر طويلا فى اعتزال العمل الصحفى والاستمتاع بما تبقى لنا من الحياة بعيدا عن الكتابة والقراءة ووجع الدماغ، والسبب أننا نكتب ولكن لا أحد يقرأ، وإن قرأ لا يستفيد، وكأننا نستعرض ألعابنا فى ساحة الفنا بمراكش ، منذ أيام أعلنوا فى التليفزيون عن قرب عرض حلقات «حارة المحروسة» وكتب العبد لله كلمة حذرتهم فيها من عرض هذا المسلسل البشع الذى هو فى واقع الأمر عبارة عن بصقة فى وجه المجتمع المصرى، ومؤلفه

الذى لم يسعدنى الحظ بمعرفته أحد حكماء هذا الزمان ، كما أنه فيلسوف شرب فلسفته من المنابع نفسها التى شربت منها المرحومة خالتى عديلة فيلسوفة كفر أبو جاموس، والحلقات تعرض نماذج من البشر ، واحد مهندس طيب جدا وظريف جداً وأمين جداً، وصديقه مهندس أيضاً ولكنه شرير جداً وشرس جداً وخائن جداً ، ورجل أعمال طيب وعلى نياته وزوجته من طراز هبلاء اليمامة ، أضاعت نفسها وأضاعت ثروة زوجها فمات بالذبحة الصدرية، ورجل نجار طيب جداً ومتسامح جداً وحلو خالص ، وله صديق قهوجى نصاب جداً وحرامى جداً وبهلوان جداً، وهو يتاجر فى كل شىء ، أراض منهوبة ومسروقات من كل نوع، أما المهندس الشرير فقد تمكن من خلع صديقه المهندس الطيب، وحل محله فى الإدارة، وخطف خطيبته واستولى على ثروتها ، أما المهندس الطيب فقد استسلم وقرر أن يهاجر من مصر فذهب إلى الخليج وغاب هناك عدة أشهر ، ثم عاد ملياردير ولا محمد الفايد بتاع هارودز عليه رحمة الله، وهى فكرة بعض الناس عن الخليج وثرواته ، كانت إحدى قناعات زوج عمتى شفاعات ، إذ يكفى أن يهبط الإنسان - أى إنسان - على أرض الخليج ليجد عشرات الملايين فى جيبه ، وكيف ولماذا؟ ليس من حقك أن تسأل ، يكفى أنك فى الخليج، لتجد الملايين فى انتظارك سواء كنت من الصياع أو من العباقرة فكنوز الخليج لاتفرق بين أصناف البشر، المهم «حارة المحروسة» ليست رواية وليست حكاية ولكنها «حكم واتعلمناها من حارة المحروسة»، وطبعاً حارة المحروسة يعنى مصر، وهذه النماذج التى عرضتها الحلقات هم أهل مصر، أما المنتج فقد عرفت أنه أحد مقاولى أعمال الكهرباء، وما علاقة الكهرباء بالفن ، يبدو أن هناك علاقة وثيقة، لأنه نازل انتاج مسلسلات حمرى جمرى ، كما يقولون، وهو حر طبعاً ينتج ما يروق له من السهرات والحلقات، ولكن عرض هذه الأعمال ينبغى أن يخضع لميزان كميزان الذهب، ولكن يبدو أن المسئولين عن التليفزيون من طائفة الكهربائية أيضاً، فأى شىء مثل كل شىء ونجيب محفوظ مثل سعد برعى، ورمسيس نجيب مثل الكهربائى.. ولا شىء يهم فى تليفزيون بلدنا ، المهم أن نعرض «حكم واتعلمناها من حارة المحروسة».

المهم أيها السادة أنهم عرضوا الحلقات ،ولكن فى القناة الفضائية، وعرضوها سرا مع أنها عرضت قبل ذلك من خلال قناة «الأوربت»، يعنى حلقات بايتة، ولكن فلاسفة ماسبيرو يؤكدون أن الحلقات كالملوخية تؤكل بايتة خصوصا لو كانت باللحم الضانى، ويبدو أن فى الأمر سرا وأن هناك لحمة ضانى فى الموضوع.

وسبحان الله .. هل تحول تليفزيون مصر إلى مقلب لكل أنواع الأعمال الفنية الزبالة؟.

ويارب .. هَون عليهم واحنا يصبرنا؟! .

المستشار ولعبة باراك!

ها هو شهر يوليو .. شهر الثورة والثوار ، وها هى الأقلام إياها بدأت فاصل العزف البايخ تلعن الثورة وسنينها ، وتجرد الثورة من كل شيء الا من صلاح نصر وممارساته السيئة ، ثم تتعرض لحرب اليمن وتعتبرها نكبة لمصر وكارثة لاقتصادها ، وتصف حرب ٦٧ باعتبارها كانت مؤامرة لطرد عبدالحكيم عامر من الجيش ، أشياء كثيرة مضحكة وغريبة هى كل مابقى من ثورة ٢٣ يوليه فى رأى السيد (المستشار) أو هكذا أطلق السيد إياه على نفسه ، مستشار فين؟ فالمهم أنه مستشار والسلام.

ومنذ سنوات مضت تساءل عمنا وسيدنا وتاج رأسنا، الكاتب المفكر أحمد بهاء الدين : هل (المستشار) وظيفة أم لقب؟ وكان من رأى عمنا بهاء أنها وظيفة إذا تركها صاحبها فقد صفته كمستشار، ومع ذلك لا حياة لمن تنادى، فسعادة البيه (المستشار) اياه صار كاتبا، ومن هناك صار مؤرخا، والاكادة أنه يتصور نفسه من الكتاب الساخرين، وهو وضع العبد لله يوافق عليه على أساس أنه كم ذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكاء على رأى سيدنا أبو الطيب المتنبى! .

أما مجوهرات أسرة محمد على فقد سرقها الثوار ، ودليله الوحيد على كلامه الاتهامات التى كالها (المستشار) للثورة والثوار هو كلام سمعه من حسن (بك) إبراهيم عضو مجلس الثورة ، وخد بالك من حكاية (بك) دى، لأننى لم أسمع فى أى وقت أن قائد الجناح حسن إبراهيم حمل لقب بك فى أى يوم. ولكن سعادة (المستشار) لا يحترم إلا أصحاب الألقاب .. باكوات أو باشوات ، وكل ما يكتبه هو فى الحقيقة دفاع عن أصحاب الأراضى وذوى الأملاك، وهذا هو بالضبط سر غيظه الشديد من الثورة ومن الثوار. أما أيام الثورة التى حفلت بالأمجاد والانتصارات فكلها فى رأى (المستشار) أيام تطفح بكل سوء وبكل ماهو سيىء وردىء فى هذه الدنيا وسوف يسجلها التاريخ بإذن الله على حقيقتها، ساعتها تعرف الأجيال المقبلة أن مصر عاشت أسوأ العصور ولا الهمج أو الهكسوس!.

وهذا يعنى أنه فى رأى المستشار ببساطة أن القضاء على النظام الملكى كان عملا رديئا ، وطرد الانجليز من مصر كان عملا سيئا ، وقانون الاصلاح الزراعى كان عملا يخجل منه الثوار، وبناء السد العالى وصمة فى جبين الثورة ، وإلغاء الألقاب كان عملا غير شريف بالمرة،

وتأميم قناة السويس كان عملا اجراميا يستحق مرتكبه عقوبة الإعدام.

وسعادة (المستشار) حر فى رأيه وحر فى اختيار الخندق الذى يتحصن فيه. ولكن المضحك والمؤسف حقا أنه فى الصفحة نفسها تعرض لسيرة أحد الوزراء الحاليين ، فوصفه بأنه الأسد الهصور وأنه أقوى زملائه شخصية وأكثرهم ذكاء . وبعد أن استعرض تاريخه فى كل المناصب الرفيعة التى تولاها ، توقف عند منصبه الأخير فى مجلس الوزراء ، وكيف استطاع تحويل مقر المجلس من مبنى متهالك ومخازن للزبالة إلى قصر يشرف أى دولة فى العالم ، ولأن الناس تخاف ولا تختشيش - هذا هو رأى (المستشار) فى الناس - فقد كان على موعد مع سيادة الوزير فى التاسعة صباحاً ، ثم اكتشفت - (المستشار) وهو الذى اكتشف - أن الوزير سبقه إلى مكتبه . وعندما التف حوله الموظفون كان يؤدى لهم امتحانا عسيرا ، يسأل كل واحد منهم عما يفعل ثم يعطى التعليمات الصارمة وهو لم يجلس على مكتبه بعد. وفى مكتبه يتحدث ويكتب وعلى أذنيه أكثر من سماعة تليفون . ثم يختم سعادة (المستشار) بك سطوره قائلاً : أرجوكم انتظروا منه المزيد وأدعوا له بالتوفيق .

هذه هى السطور التى كتبها السيد (المستشار) عن صديقه السيد الوزير الحالى . والعبد لله لا اعتراض له على الصفات التى خلعها السيد (المستشار) على صديقه الوزير . فربما هو أهل لكل هذه الصفات وربما لما هو أكثر من ذلك . ولكن العبد لله كان يتمنى أن يوفر السيد (المستشار) هذه السطور للوقت المناسب، عندما يأتى الوقت فيصبح الوزير خارج الوزارة . لأنه عيب جدا أن نكيل المديح لوزير يجلس الآن على كرسى الوزارة بينما نهيل التراب على ثورة مات زعيمها منذ ثلاثين عاما، خصوصا أننا لم نقرأ حرفا واحدا للسيد (المستشار) فى زمن الثورة السيئة وأيامها السوداء . فهل كان يؤثر السلامة ويأكل العيش بالبطيخ؟ وهل سيحتفظ برأيه فى الوزير الحالى عندما يصبح وزيرا سابقا؟ .

وتبقى بعد ذلك نقطة واحدة، فالعبد لله لعظيم جهلى وفرط غبائى كنت أتصور أن الفضل فى تطوير مقر رئاسة مجلس الوزراء يعود للدكتور كمال الجنزورى رئيس المجلس، ولكن شكرا للسيد (المستشار) الذى كشف عن السر الذى غاب عنا جميعاً ، وهو أن الفضل كله يعود إلى السيد الوزير .. الأسد الهصور أقوى زملائه شخصية وأكثرهم ذكاء ! ثم من قال إن مقر مجلس الوزراء كان مبنى متهالكاً مخازن للزبالة؟ مخازن للزبالة ياسعادة (المستشار) وهل كان ذلك طول الوقت؟ أم أنه كان كذلك فى زمن جمال عبد الناصر فقط؟ طيب وماذا عن المبنى فى عهد محمود فوزى وعزيز صدقى وعبد العزيز حجازى وفؤاد محيى الدين وعلى لطفى وكمال حسن على وعاطف صدقى؟ .

وبعد ياسيادة (المستشار) عبارة واحدة وردت فى سطورك أوافقك عليها بشدة .. الناس تخاف ولا تختشيش .. وسطور سيادتك على صفحات الأخبار هى أعظم دليل على ذلك! .

●●●

منظر وزارة باراك لا يطمئن ولا يسر عدوا ولا حبيبا. وهى فى حقيقة الأمر جبهة من جميع الأعداء . تضم أنصار السلام وأنصار الحرب ، الحمائم والصقور، والفرائس والصيادين. ويخيل للعبد لله أن هذا التشكيل لم يأت من باب .. ليس فى الامكان أبدع مما كان . ولكنه تشكيل مقصود ومتعمد ، كما أنه مرسوم بعناية ولغرض . فإذا اكتشف باراك أن الجو غير ملائم والحل الذى تقترحه الولايات المتحدة أو الأمم المتحدة غير ملائم لإسرائيل وليس فى صالحها، عندئذ سيقع الانشقاق فى الوزارة ، ويضطر باراك إلى التفرغ عدة أسابيع وربما عدة أشهر لكى يعيد تشكيل الوزارة . إنها ليست وزارة ولكنها لعبة حلوة ، لأن باراك يحب أن يبدو فى صورة الرجل الطيب داعية السلام الباحث عن طريق ليعيش فى سلام مع جيرانه العرب ، والإدارة الأمريكية سعيدة أيضاً بهذا التشكيل ، لأن إدارة كلينتون لم يبق لها فى السلطة إلا عدة أشهر . وهى حريصة على الاحتفاظ بود العرب وصداقتهم ، وحريصة أكثر على احتفاظ إسرائيل بالقدس وبالجولان وجنوب لبنان وبالضفة الغربية . وهذه اللعبة التى رتبها باراك ستعطى الإدارة الأمريكية عذرا يمنحها البراءة أمام العرب . ولكن .. أين العرب؟. العرب الذين كانوا خير أمة بين الناس فصاروا الآن (آخر) أمة بين الناس! .

ويارب .. ارفع مقتك وغضبك عنا عشان خاطر حبيبك النبى! .

الانتخابات وميتة الأبطال !

انتخابات نقابةالصحفيين هذه المرة ، لم تكن سباقا بين اتجاهات سياسية أو ايديولوجية، ولكن كانت عملية اختيار بين زملاء بعضهم أقدر على الحركة وباستطاعتهم تقديم خدمة أفضل.

وقد أثبتت النتائج أن الزملاء الذين فازوا فى الانتخابات ، هم أشبه بمنتخب صحفى ، وعلى شكل باقة ورد من كل الألوان ، ولكن الجديد فيها أن المجلس الجديد سيكون قادرا على تقديم خدمة أفضل من المجلس السابق ، لسبب بسيط جداً هو أن المجلس القديم انقسم إلى قسمين ، قسم يضم مكرم محمد أحمد النقيب السابق ويؤيده قلة من الأعضاء، وقسم آخر يريد أن يفرض رأيه حتى ولو تقطعت كل الحبال وغرقت كل السفن ، ومع ذلك كان أداء مكرم محمد أحمد على درجة عالية من الوعى النقابى، وحارب حتى آخر لحظة ضد المتآمرين الذين اخترعوا المدعو المطعنى وأصدروا جريدة «صاحبة الجلالة» لتكون لسان حال نقابة الصحفيين المستقلين، وهو اسم على غير مسمى، لأن النقابة لم تكن مستقلة، ولكنها كانت قفازا يرتديه البعض لتحقيق بعض الأغراض.

وإن كانت هذه الانتخابات قد أفرزت أكثر من اتجاه سياسى واضح ، إلا أن جميع من فازوا بثقة زملائهم أو أغلبهم على الأقل ، هم من أبناء المهنة ومن الحريصين عليها، ولذلك ستكون مهمة النقيب الجديد إبراهيم نافع سهلة وطريقه سيكون واضحا ، وستشهد هذه الدورة عملا نقابيا نشيطا ، ولكن أبرز ظاهرة فى الانتخابات الأخيرة هى فشل بعض الذين كانوا يحتلون مناصب رئيسية فى التشكيل القديم، ولكن أداءهم النقابى والمهنى لم يكن يشفع لهم لكى يعيدهم زملاؤهم إلى المواقع نفسها ، وهو درس مفيد ليس لأعضاء المجلس القديم ولكن لأعضاء المجلس الجديد، فثقة الزملاء ليست «أبونيه» يضمن مرور العضو فى كل انتخابات قادمة، وعلى من يحقق النجاح مرة أن يضاعف من جهده لكى يضمن استمرار الثقة وإلى مالا نهاية.

فى المقابل استطاع بعض الزملاء من أعضاء المجلس القديم العودة على أكتاف زملائهم ، وعلى هؤلاء الزملاء الذين أصابهم التوفيق مرة أخرى أن يحرصوا على ثقة زملائهم ، والعبد لله واثق من قدرتهم على ذلك ، لو اشتغلوا داخل المجلس كفريق وليس من خلال تكتلات

ومحاور ، وأود أن أقرر هنا وأنا مرتاح الضمير أننى متفائل بالمجلس الجديد وأرجو خيرا فى عهده، خصوصاً وقد لمست ذلك بنفسى، عندما وجه نادى الصحفيين النهرى الدعوة لعدد من رموز المهنة وهم فى الوقت نفسه من رموز العمل السياسى داخل المهنة، وقد لبى الجميع دعوة النادى، كما حضر النقيب السابق الأستاذ مكرم محمد أحمد والنقيب الحالى الأستاذ إبراهيم نافع، وظهر واضحاً التفاف الجميع حول مبدأ مهم جداً، هو أن الاختيار سيكون على أساس من الذى يخدم أكثر وليس من الذى يهتف أكثر، وكشف مكرم محمد أحمد عن سر مهم جداً، أنه عندما قرر السفر خارج البلاد أثناء إجراء عملية الانتخاب ذهب إلى الشهر العقارى وكتب توكيلا لأحد الأصدقاء يفوضه فيه انتخاب الأستاذ إبراهيم نافع كنقيب للصحفيين ، وفى ذلك الاجتماع الذى كان نموذجا على العمل النقابى النموذجى ظهر واضحا أن المرحلة القادمة ليست مرحلة شعارات، وأن العمل النقابى يجب أن يحمى نفسه من النظرة الضيقة التى تحبس صاحبها فى سجن الحنجورى أو فى قفص الدروشة، النظرة التى تعتبر كل مخالف فى الرأى كافرا أو عميلا، ظاهرة أخرى جديرة بالتسجيل، هى فوز أسامة الغزالى حرب بأقل مجهود يمكن لمرشح أن يبذله فى أى انتخابات ، فى المقابل بذل إبراهيم حجازى مجهودا كاد يذهب به إلى قرافة الإمام الشافعى، ولكن مجهوده لم يكن من أجل إدراك النجاح، ولكن من أجل تحقيق المركز الأول على جميع المرشحين ، وقد تحقق له ما أراد.

مبروك لنقابة الصحفيين مجلسها الجديد، ومبروك لإبراهيم نافع ثقة زملائه التى فاقت جميع التوقعات، وحظ أطيب فى المرات القادمة لمن خانهم الحظ هذه المرة ، وكنت أتمنى أن أراهم فى المجلس الجديد، وعلى رأس هؤلاء الزميل الشاب سيد زكى والزميل محمد نجم، اللذان أثبتا من خلال تجربتى معهما فى نادى الصحفيين أنهما جديران بتمثيل جموع الصحفيين، وهارد لك على رأى الخواجات للزملاء المحترمين الذين نالوا احترام زملائهم بأدائهم المهنى الطيب ، والذين لم يوفقوا فى هذه الانتخابات الأخيرة ، وعلى رأسهم مجدى مهنا وحاتم زكريا، ومرحبا بالشاب الواعد ياسر رزق نجل صديقى الطيب الصابر المرحوم فتحى رزق الذى نام سنوات فى الخنادق فى مواجهة العدو الصهيونى فى زمن حرب الاستنزاف، وشكراً لأخى وصديقى وزميلى مكرم محمد أحمد الذى لم يتأخر لحظة فى تقديم خدمة ضرورية لأى زميل ، ودعاء من القلب أن يوفق نقيبنا إبراهيم نافع فى مهمته الصعبة، وإن كانت ليست صعبة عليه، فهو معتاد على حمل المصاعب والهموم! .

●●●

مسكين عمنا الزعيم أوجلان ، تمزق غشاء قلبه وهو يخطب خطبته الأخيرة أمام المحكمة التركية ظنا منه أن العدالة تتحقق بالكلمات الحارة المنتقاة ، ولا أعرف كيف غاب على الزعيم

أوجلان أنه رجل ميت منذ لحظة القبض عليه فى العاصمة الافريقية إياها، بل هو رجل ميت منذ أن تزعم الثورة الكردية ضد الأتراك، ومن عيوب الأتراك القاتلة أنهم لا يعرفون من الألوان إلا الأبيض والأسود، أما النوع الرمادى والنوع البمبى فليس لهم بها علاقة على الإطلاق، ومحاكمة أوجلان ماهى إلا نوع من المراسم الضرورية قبل تعليقه على حبل المشنقة ، وما كان لرجل مثل أوجلان أن ينتظر أو يتوقع الإفلات من مصيره المحتوم، فمن يتصدى للقيادة خصوصا فى معركة من هذا النوع، عليه أن يتوقع أسوأ النتائج، ولذلك فدهشة العبد لله بموقف أوجلان ليس لها حدود، وربما كان موقفى هذا بسبب أننى لازلت حتى الآن وبرغم تقدم السن رومانسيا ومتأثرا بأشعار القدماء، وأردد بين الحين والآخر بيت المتنبى ... الخيل والليل والبيداء تعرفنى والضرب والطعن والقرطاس والقلم .. ومع أننى قرأت أيضاً أن المتنبى أطلق ساقيه للريح عندما هاجمه القتلة، لولا أن خادمه صاح فيه ... ألست أنت القائل ... الخيل والليل والبيداء ....، فصرخ عمنا المتنبى فى وجهه، قتلتنى لعنك الله ، وعاد لمواجهة أعدائه فقتلوه .. وبالرغم من أن حادث قتل المتنبى تم فى هدوء وفى الظلام ، ولم يشهد قتله أحد إلا الذين قتلوه .. وبالطبع لم يتفوه أحد من هؤلاء القتلة بكلمة واحدة ، إلا أننى أميل إلى تصديق القصة.

فالبطل ... أى بطل .... إنسان من لحم ودم .. والموت هو أسوأ حادث يتعرض له الإنسان. فإذا صرخ البطل أو خاف فعذره أنه إنسان . ولو كان البطل من حديد أو من زجاج لما استحق أن يكون بطلا على الإطلاق .. عمنا البطل أوجلان .. لقد عشت بطلا وبقى أن تموت ميتة الأبطال!.



أبو كيلة فى إسرائيل

والنصيحة .. ضبط النفس!

ياميت حلاوة ياناس على النظام العالمى الجديد، ها هى إسرائيل تطلب من الحكومة اللبنانية إخراج مقاتلى حزب الله من الجنوب ، وهى صفاقة لم يشهد العالم لها مثيلا فى أى عصر، وأفراد ميليشيات حزب الله لبنانيون منذ سيدنا آدم حتى الآن ، والجنوب اللبنانى أرض لبنانية ، يعنى بالعربى ... مواطنون يعيشون على أرض بلادهم ، ومع ذلك فإسرائيل لاتتردد فى مطالبة لبنان بإخراج هؤلاء المواطنين من أرضهم ، لكى تتاح الفرصة لعساكر إسرائيل بالإقامة فى الجنوب والاستمتاع بمناخه الطيب وإنتاجه الممتاز من الفاكهة وشفط الأنفاس من حشيشه الجيد، إنها عملية تشبه إلى حد كبير أن تطلب حكومة السودان من حكومة مصر إخراج الصعايدة من الصعيد .. ولكن .. إذا كان كله عند العرب صابون ، فكله عند صنف اليهود مشروع.

وفى ظل النظام العالمى الجديد كل شىء ممكن حتى تهجير جميع اللبنانيين من لبنان لكى ينعم اليهود بهدوء الحال وراحة البال، فلا مقاومة ولا صواريخ كاتيوشا ولا كمائن على الطريق، فى الوقت نفسه ولتوضيح صورة النظام العالمى الجديد، وقف المندوب الأمريكى - شكر الله سعيه - ليدعو لبنان وسوريا وإسرائيل إلى ضبط النفس ، ياسبحان الله، وهل كانت نفس لبنان مفلوتة ، وهل كانت نفس سوريا أمارة بالسوء؟ إن الذى حدث ياعمنا المندوب الأمريكى أن بعض الأفراد من جيش إسرائيل كانوا يتمشون أفرنجى على الأرض اللبنانية حين انفجر لغم تحت أقدامهم، فهل سأل المندوب الأمريكى نفسه .. وما الذى جاء بهؤلاء الإسرائيليين إلى لبنان؟ هل كانوا هناك للسياحة؟ هل كانوا فى رحلة لنشر السلام والوئام بين أمم الأرض؟ إن الذين قتلهم اللغم الأرضى هم جنرالات إسرائيل وثلاثة جنود، والجميع كانوا يرتدون ملابس الميدان ، ولكن المندوب الأمريكى لم يجد أى غضاضة فى دعوة جميع الأطراف إلى ضبط النفس ، القاتل والقتيل والجانى والمجنى عليه والجزار والضحية.

إن موقف المندوب الأمريكى يشبه إلى حد كبير موقف عم متولى عندما شاهد خناقة حامية بين مصطفى لطفى فتوة الجيزة ومحمود الحكيم المواطن الضعيف المعاق ، وبينما انهال مصطفى لطفى على الحكيم طعنا بالمطواة، اكتفى الحكيم بالتشبث بقميص الفتوة ، وصاح عم

متولى فى الرجلين .. ياجماعة عيب وبطلوا ضرب فى بعض، ضرب فى بعض!! ياللعهر، وهل ما يقوم به محمود الحكيم الغلبان نوع من الضرب؟!، ولكن نقول إيه للنظام العالمى الجديد، وهذه هى قوانينه وهذه هى أخلاقياته، وهى قوانين تسمح لأى جهة بتوجيه نداء بضبط النفس لكل من الحكومة التركية والمناضل عبد الله أوجلان! وهل لاتزال هناك نفس من أى نوع عند أوجلان؟ ولكن فى النظام العالمى الجديد لا خوف ولا خشا، لاعيب ولا أخلاق قرية.. المهم أن يكون لديك القوة وأن تجيد استخدامها، وأن تتولى الحوار مع الآخرين بعضلاتك، وأن تفرض إرادتك بكل وسيلة وأى وسيلة، وستجد دائما من ينصحك أنت وضحاياك بضبط النفس! ولا تقلق ولا تهتم، فضبط النفس هنا يعنى .. بقاء الحال على ماهو عليه، يعنى أنت تواصل الضرب وضحيتك تواصل الصراخ.

وإذا كانت أمريكا بجلالة قدرها تشاهد وتبارك وتدعو إلى ضبط النفس ، فلماذا نقف نحن العرب ونكتفى بالمشاهدة على المباراة الدائرة منذ فترة بين دولة إسرائيل وحزب الله اللبنانى؟

لماذا لا يسارع العرب بمساندة حزب الله بالسلاح وبالأفراد؟ .

لماذا لا تكف أجهزة الإعلام العربية عن وصف حزب الله بأنه الموالى لإيران ، مع أنه ليس مواليا لأى جهة إلا للعرب وقضيتهم؟ .

ثم .. كيف ننفى عن أنفسنا هذا الشرف وننسبه إلى إيران؟ وهل مقاومة الاحتلال عيب؟ وهل التصدى للعدو الغازى لا يتفق مع أخلاق القرية؟ فهمونا ياخلق .. أين الخطأ؟ وأين الصواب؟ هل نستقبل الغزاة بالأحضان؟ أم نقتلهم ونتولى دفنهم فى الطين والتراب ؟ وحتى نتلقى جوابا عن هذا السؤال . العبد لله يعلن بكل صراحة أننى بالرغم من ضعفى وهزالى وهوانى على الناس ، واستعدادى لخدمة مقاتلى حزب الله ، أطبخ لهم طعامهم ، أنظف لهم أوكارهم ، ألمع لهم أحذيتهم ، أطبع قبلاتى على أصابع أيديهم كل صباح وكل مساء .. وأعدكم بأن أستمر خادما لهم ولا أتوقف حتى لو دعانى المندوب الأمريكى إلى ضبط النفس!! .

●●●

ومرة أخرى تتأكد صفات النظام العالمى الجديد فى المؤتمر الذى انعقد فى فرنسا لحل مشكلة كوسوفا، وقد تمخض الجبل فى نهاية المؤتمر فولد فأرا ، حلف الأطلنطى هدد وتوعد ثم هز طوله وكشف عن معدنه فإذا به لا يستقوى إلا على الغلابة والذين انكسر جناحهم . وأذكر بالخير عمنا الكبير الدكتور طه حسين وصف ذات مرة بعض مقالات الحنجورى قائلا: يونانى فلا يفهم ، وكنت أتصور أن أحداً لن يستطيع إضحاكنا كما فعل الدكتور طه حسين،

ولكن أخيرا جاءت مدام أولبرايت بعد حوالى نصف قرن لتضحكنا بطريقة ، ربما بطريقة أفضل مما فعل طه حسين ، فقد خرجت من اجتماع المؤتمر الدولى لتعلن على العالم كله «لن يكون هناك قصف لمواقع عسكرية يوغسلافية إذا رفض ألبان كوسوفا المشروع الغربى للسلام»، وأكاد أقول لحضراتكم .. إن العبد الفقير إلى الله تعالى كان يتوقع هذه النهاية لهذا المؤتمر الدولى ، لأن يوغسلافيا القديمة أو صربيا الكبرى الجديدة، دولة أوربية على كل حال وفى النظام العالمى الجديد ... الأوربى للأوربى كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، وكما قال أستاذنا وسيدنا الدكتور طه حسين (يونانى فلا يفهم) ترجمته السيدة أولبرايت بأسلوبها (أوربى فلا يهان) ولو كان المؤتمر إياه بخصوص إقرار السلام فى دولة آسيوية أو إفريقية لانتهى المؤتمر فى موعده المحدد تماماً ولقامت الطائرات بالتحليق على الفور وبالتأكيد كانت ستنهال القنابل والصواريخ على أهدافها بالتمام والكمال ، لأنه فى النظام العالمى الجديد لا يمكن التسامح مع دول المستعمرات القديمة، وكل من يلعب بذيله هناك، فلابد من قطع ذيله على الفور وكل من يحتج فلابد من مواجهته بطريقة غطاس ، أما غطاس مبتكر هذه الطريقة فهو عسكرى شمروخ فى معتقل الفيوم ويبدو أنه كان مؤمنا بالنظام العالمى الجديد حتى قبل ظهور النظام العالمى الجديد نفسه، حدث عند دخولنا معتقل الفيوم وكان الدكتور عبد الرازق حسن مقيداً بسلسلة واحدة مع العبد لله، وسألنا الشاويش غطاس : اسمك ايه يا وله؟ وقال الدكتور عبد الرازق حسن : أنا مش ولد أنا الدكتور عبد الرازق حسن .وأنا محتج! ورد الشاويش غطاس : وكمان بتبجح، طب خد وعينك ماتشوف إلا النور، أكلها أجوازا وأفرادا ونال العبد لله من الحب جانبا، وهذا بالضبط هو موقف النظام العالمى الجديد من الدول الغلبانة، أما موقفه من دول أوربا فحدث ولا حرج .. وأراهن حضراتكم على أى مبلغ .. مهما حدث من الصرب فلن يتحرك أحد لضرب قواعدها العسكرية ، حتى لو تم إبادة شعب كوسوفا كله، وكل ما سوف يحدث ، هو دعوة حلف الأطلنطى لجيش صربيا الكبرى ولشعب كوسوفا الغلابة بضبط النفس ، ضبط النفس هو شعار النظام العالمى الجديد حتى لو كانت المعركة الناشبة بين بطل العالم تايسون والعبد لله بعد أن وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا.

وياحضرة النظام العالمى الجديد، العبد لله هو الجهة الوحيدة المنضبطة النفس والسبب أننى فقدت نفسى ومنذ ولدت وحتى اليوم.

ياعينى على الأكراد !

لم يظلم التاريخ أمة من الأمم كما فعل مع أمة الأكراد، والأكراد للعلم شعب من الأريين شأنه شأن الألمان ، حقيقة أثبتتها عظام الجمجمة والملامح، فالشعر سايح ونايح والعيون ملونة، ومجموع الشعب موزع على أربع دول متجاورة هى العراق وتركيا وإيران وسوريا، وفى سوريا لا حس ولا خبر عن المشكلة الكردية ، يبدو أنهم ذابوا فى الشعب السورى، ويبدو أن النظام العاقل فى سوريا استطاع أن يرتفع إلى مستوى المشكلة ، فلم تعد مشكلة على الاطلاق، وفى إيران المشكلة الكردية ليست ساخنة ، ربما لأن إيران نفسها تضم عددا من القوميات .. فرس على تركمان على عرب على بلوشى ، ولكن الوضع يختلف فى تركيا وفى العراق ، الموقف فى العراق أفضل ، وأكراد العراق يتمتعون بالحكم الذاتى، وفى حكومة العراق على مستوى الجمهورية يوجد نائب لرئيس الجمهورية هو الكردى طه معروف ، وهو الذى اشترك فى جنازة الملك حسين مندوبا عن العراق، ومنذ زمن كان يشغل المنصب نفسه كردى آخر هو محمود عثمان، ولكن أحيانا وبالرغم من اعتراف العراق بالقومية الكردية كثيرا ماتنشب الخلافات بين حكومة بغداد ورعاياها من الأكراد، وفى بداية السبعينات احتدمت المعركة بين حكومة بغداد وأكراد الشمال، ووقفت إيران الشاه إلى جانب الأكراد وأنهكت المعركة حكومة بغداد وأفلست خزانتها ، واضطرت حكومة بغداد إلى عقد صلح مع الشاه، وتم الصلح برعاية الجزائر وفى عاصمتها ، وعاد الأكراد الهاربون إلى العراق، ولكنهم لم يعودوا إلى قراهم المتناثرة على رءوس الجبال، ولكن تم ترحيلهم وتسكينهم فى جنوب العراق فى محافظات البصرة والناصرية وذى قار، مع اختلاف المناخ والعادات والتقاليد ، ففى جنوب العراق الحرارة صيفا طاقة من طاقات جهنم ، بينما الجو لطيف صيفا فى الشمال، والأرض تغطيها الثلوج شتاء، كما أن الكردى أوربى فى تصرفاته وسلوكه ، فلا حجاب للسيدات ولا فصل بين الجنسين ، بينما الجنوب تسوده تقاليد البادية وتعاليم الدين وقيود المذهب.

ومع ذلك هدأت الأمور بعد ذلك وعاد الأكراد إلى منطقتهم فى العمادية وصلاح الدين وأربيل وسرسنك ، ولكن الهدوء لم يستمر على الدوام ، فقد هبت عدة انتفاضات كان أخطرها

ماحدث فى قرية حلابشة، حيث استعمل العراقيون النابالم فى ضرب الأطفال والنساء لقمع التمرد الذى حدث هناك ، ولا يفوتنا أن نذكر أن إسرائيل لعبت دورا خطيرا فى ثورة الأكراد ضد العراق ، وقد اعترف بذلك الزعيم التاريخى للأكراد مصطفى البرزانى.

نأتى بعد ذلك إلى مربط الفرس .. إلى أكراد تركيا ، والسياسة التركية مشهورة بعدم المرونة ، وهى كما وصفها الفنان الخالد صلاح چاهين: تركى بجم سكر انسجم لاظ شقلباظ اتغاظ هجم!، فلا اعتراف بالقومية الكردية ولا اعتراف بالتمايز بين الكردية والتركية ، ولكن حتى الحديث بالكردية يعتبر خيانة ، وأى حركة من جانب الأكراد هى تمرد، وأى اجتماع للأكراد هو مؤامرة والسجون التركية مكتظة بالأكراد على كل لون! ولذلك استمرت الحرب بين الفريقين على مدى سنوات طويلة، ولكن أخطرها هى التى نظمها وقادها حزب العمال الكردستانى بقيادة الزعيم أوجلان ، وعبد الله أوجلان ليس إرهابيا فلن يهاجم فى حياته سفارة أو يهدم عمارة ، ولكنه محارب قاتل برجاله فى الجبال والوديان ، ولكن الذى حدث أن الحدود والسدود انهارت تماما بين البطولة والإرهاب فى ظل النظام العالمى الجديد، ومن حسن الحظ أن رجالات من أمثال الخمينى وياسر عرفات لم يتحركا فى زمن النظام العالمى الجديد ، ولو فعلا لمات الخمينى فى أحد سجون طهران ، ولكان عرفات يقضى أيامه الأخيرة الآن فى أحد سجون لندن، إن نهاية عبدالله أوجلان هى إحدى مآسى هذا العصر، والطريقة التى تمت بها عملية اختطافه من كينيا هى الدليل الدامغ على أخلاقيات وسلوكيات النظام العالمى الجديد.

لقد كشفت عملية اختطافه أن الإنسان الفرد سواء كان صعلوكا أو زعيما هو مجرد فأر تطارده مئات من القطط السمان . إذا نجح فى الهروب من مخابرات أمريكا وجد خلفه مخابرات بريطانيا، وإذا حالفه الحظ فى الإفلات من مخابرات بريطانيا وجد وراءه مخابرات بلچيكا ومخابرات هولندا ومخابرات تركيا ومخابرات ألمانيا ، وصولا إلى مخابرات كينيا ومخابرات سيراليون ومخابرات سيريلانكا.

فى أيام القوتين العظميين كان شعار الغرب ياأنصار الديمقراطية اتحدوا، ولكن الآن سقطت كل الشعارات ولم يعد هناك سوى شعار واحد .. يامخابرات الغرب اتحدوا.

فى هذا العصر لم تعد هناك فرصة لظهور چومو كينياتا جديد ولا نكروما آخر ولا مانديللا صغير أو كبير ولا أمل حتى فى رؤية مثل هذه النماذج مرة أخرى ، ففى ظل النظام العالمى الجديد ..الأدب فضلوه على العلم وعلى الثورة وعلى طلب الحرية، والسلوك الأمثل لأحرار العالم الآن هو المشى جنب الحيط ، فلا احتجاج ولا اعتراض ، ولكن المسموح به هو طلب الرحمة وطلب العفو ، ونحمد الله لأننا عشنا فترة طويلة فى ظل النظام العالمى القديم،

وأسعدنا الحظ برؤية رجال من أمثال جمال عبدالناصر والأسقف مكاريوس ولومومبا وسوكارنو وأحمد بن بللا وهوارى بومدين وغاندى والبانديت نهرو ، ويا أسفى الشديد لأننا من هنا وإلى زمن طويل قادم لن يرى أحفادنا إلا رجالا مهذبين مطيعين متمسكين ومتشبثين بخط النظام العالمى الجديد أمثال بينوشيه دكتاتور شيلى ويلتسين مريض الامبراطورية الروسية وبلير وريث الامبراطورية البريطانية.

وداعا عصر النضال والقتال من أجل الأوطان . وداعا للرجال من طراز ... ولله رجال إذا أرادوا أراد، وداعا لزمن الجود بالنفس أسمى غاية الجود.

أما المناضل عبدالله أوجلان فقد ضاقت به الدنيا بما رحبت ، انطبق عليه قول الشاعر البائس عبدالحميد الديب .. فتى تزيد على أنفاسه المحن ، إذا مضى فجميع الأرض قبلته ، وإن أقام فلا أهل ولا وطن، وحظه أسود من أسفلت الطريق لأنه رجل واحد فى مواجهة النظام العالمى الجديد، وعلى رأى المطربة خضرة .. والحظ لو مال مين يعدله تانى .. مين؟ إلا رب العباد. وسلام عليك يا أوجلان فى سجنك، وطبت حيا وميتا يارفيق!

●●●

الله يرحمه ويحسن إليه أخونا المرحوم طارق المؤيد وزير إعلام البحرين السابق، المثقف العربى الواعى بقضايا قومه صديق مصر فى كل المواقف والأحوال، فوجئت بوفاته من نعى نشرته الصحف المصرية باسم السيد صفوت الشريف وزير الإعلام، مع أن الرجل كان فى أتم صحة وعافية ولم أسمعه يشكو من مرض خطير على الإطلاق، ولكن يا سبحان الله ، الموت لا يحتاج إلى أسباب، ولكنه كأس على البنى أدمين دوار، وقد يموت السليم الصحيح ويعيش السقيم المرضان، حكمته سبحانه وتعالى ولن تجدوا لحكمته تبديلا، ولكن ذكرى المثقف العربى طارق المؤيد ستبقى إلى الأبد عند أصدقائه ومحبيه حية ونابضة إلى زمن طويل ، فهو لم يكن مثقفا عروبيا له موقف وله وجهة نظر ، وكان يرى أن عربا بدون مصر أشبه بجسد بلا رأس، ولذلك كانت البحرين أول دولة عربية تذيع برامج القناة الفضائية المصرية من خلال التليفزيون البحرينى وبدون رقابة من أى نوع. وكان يحلم بيوم يتم فيه توحيد البرامج التليفزيونية العربية، وكان يحلم بامتداد العمر حتى يتسنى له رؤية هذا اليوم.

وداعا أخونا طارق المؤيد ، وعزاء من القلب للسيدة حرمه ولأسرته الصغيرة ولحكومة البحرين.

ووداعا أخونا طارق المؤيد ، وعزاؤنا الوحيد أننا كلنا سنموت!".

شكراً لعمدة البنوك!

ابن حارتنا العزيز محمود السعدنى الكاتب اللوذعى.

تحية طيبة وبعد،،،

يعلم الكل أن القادرين على مقارعتكم قليل، **أما الأسلوب** المتمكن بسخرية، فهو تفردكم بلا منازع، وأين أنا من كل ذلك .. تعلم ياصديقى **وعمدة حارتى** .. أنه سبق لنا منذ سنوات قليلة حديث مماثل تم بالمصادفة فى أحد مطاعم لندن **بحضور وزير** خارجيتنا الألمعى وسفيرنا هناك، عن موضوع قروض البنوك نفسه، **والمبالغة الصحفية** فى التهويل فى تناول هذا الأمر حتى ظن القارىء أن أموال البنوك سداح مداح، **وحق مباح** لكل من يمر على البنك، والهبر أساس العمل المصرفى - واعتذر عن الاقتباس **عنكم - وأصابنا** هذا فى الصميم ، وانتعش العمل الأدبى والفنى على حساب هذا الجهاز **السيىء الحظ**، ولا أدعى لنفسى أى حق إلا ما دعوتنى لتوضيحه، وأصدقكم القول أن ما قام **به الجهاز** المصرفى من جهد وعمل يندر أن تقوم به بنوك دول أخرى بالمنطقة فى مرحلة للإصلاح **الاقتصادى**. بدأت منذ ثمانى سنوات فقط من نظام اقتصادى مركزى إلى اقتصاد السوق، **بكل تحديات** التحول ومشاكله ، وقطاع خاص أسند إليه غالب النشاط الاقتصادى، وعمر هذا **القطاع وتاريخه** وتكوينه لايخفى على أحد ، أن القرار المصرفى إذا تم بعد أخذ عناصره **فى الحسبان**، وتم بلا غرض أو هوى أو منفعة شخصية فلا تثريب ولا مسئولية على من **اتخذه، والبنوك** جزء من كيان المجتمع تحمل كل صفاته وأخلاقياته ، ولابد أن هناك نسبة **اختلال أو** ضعف أو حتى انحراف ولكن ما هى النسبة، وكيف ولماذا؟.. الخ.

أسئلة كثيرة اجابتها فى اختصار أن **الخلل والتعثر** نسبته أكثر من مقبولة آخذا فى الاعتبار .. كيف ..ولماذا؟!، أما الانحراف **والفساد** - ونحن كمصريين نتفق تماما مع الجميع على ضرورة التصدى له بحسم وقوة - فبنسبة **لا تقاس** بما يحدث فى العالم كله أثناء مراحل التحول الاقتصادى . أين نحن مما يحدث **فى صديقتكم** روسيا وغيرها؟! بل قام القطاع الخاص المصرى بدور عظيم - رغم حداثته - **فى هذه** المرحلة من تعاظم دوره حتى بلغ نحو ٦٥٪ من النشاط الاقتصادى.

أخى الكبير العزيز :

إن ما جاء بمقالك من تعميم ظالم بأن جميع فروع البنوك فى كل أنحاء مصر متورطة فى

هذا النهب والنزيف ، ولا شك أنك لا تقصده يقينا . بل وأن الشرفاء من رجال بنوك مصر فخورون بأعراف وتقاليد مصرفية وضعت بمصر منذ أكثر من قرن من الزمان ، وصديقك الانجليزى إياه مخطىء تماماً كمصرفى، فالعبرة بقوة الضمان، وليس بضرورة كونه خارج الحدود ولو من «تشيس مانهاتن».

ياصديقى العزيز .. ارحمونا يرحمكم الله فنحن نحتاج تفهمكم، ونحن نعمل فى ظروف بالغة الصعوبة، ورياح المنافسة والتغيير قادمة من الخارج بلا ريب، ولدينا رقيب قوى لا يقبل أى خلل وليس انحراف، وقضاؤنا العادل هو أملنا فى الإنصاف، فالبنوك هى القلب المحرك للنشاط الاقتصادى لمجتمع يطمح إلى كسر حلقة الكساد والانتعاش والنمو.

يا ابن حارتى العزيز .. لن يستطيع مثلك أن يحصل على أى قرض بأي مبلغ إلا إذا كان لغرض محدد مشروع، وقدرتك على سداده بادية من التدفقات أو الجدوى أو قدرتك على إدارته بدون ضمان من خالتك بهانة.

والمساحة لا تكفى ياعزيزى .. ولو دعوتنى إلى فنجان شاى سأوضح لك ما بقى من غموض.

مع تحياتى ومحبتى

محمود عبد العزيز

●●●

الأخ والصديق البنكير محمود عبد العزيز رئيس البنك الأهلى المصرى ورئيس اتحاد البنوك العربية، وهو قبل ذلك وبعد ذلك ابن حارتنا، وهو شرف كبير أن يكون عمدة المصارف العربية من أبناء حارتنا . وواجب عليه الدفاع بشدة عن جميع المصارف فى العالم العربى عموما وعن المصارف المصرية على وجه الخصوص ، وإذا كان يعتب علينا لأننا نبالغ أحيانا فى اتهاماتنا للجهاز المصرفى .. وله حق فى هذا العتاب .. فنحن نعتب عليه أيضاً مبالغته فى الدفاع عن جميع البنوك المصرية . وإذا كان العبد لله يعترف بأن معلوماتى عن الأعمال المصرفية هى الخالق الناطق كمعلومات خالتى بهانة عن اللغة الكمبودية. إلا أن ما نقرأه فى صفحة الحوادث عن بنوك نهبت وأموال سرقت تجعل أمثالى من الهواة يتصورون أن هناك خللا ما لانستطيع إدراك حقيقته، وحبذا لو تكرم عمنا محمود عبد العزيز وشرح لأمثالنا من الذين لا يعرفون حقيقة المسألة وكيف يسمح بنك ما بإقراض رجل من أمثالنا عدة ملايين بدون ضمانات حقيقية . كيف حصلت السيدة علية العيوطى على هذه القروض؟! وما هى الضمانات التى قدمتها حتى يحتفظ البنك بحقه إذا ضربت السيدة أو غيرها بمبة وهات يافكيك؟! .

بالطبع لاشك فى أن هناك شرفاء بين رجال البنوك وهناك كثيرون حريصون على المال العام، ولكن لاشك أيضاً أن هناك أناسا آخرين من بتوع الثلاث ورقات، ويصبح الجو بديع والدنيا ربيع لو قضينا على هذا الصنف من بتوع الفريكيكو. والعبد لله يوافق السيد رئيس البنك الأهلى فى أن هناك من بين الذين اقترضوا ولم يسددوا مواطنين شرفاء عجزوا عن السداد لظروف قهرية ، وهؤلاء لا ملام عليهم لأن ظروف السوق تحكم أحيانا، كما أن غدر الزمان وارد فى أمور التجارة وفى مصير التجار. ولكن واضح من الحوادث التى نقرأ تفاصيلها أن بعضهم اقترض وهرب مع سبق الإصرار والترصد وأن بعض الذين ارتكبوا هذه الجرائم استغلوا بعض الشرفاء، كما استغلوا بعض ضعاف النفوس وهذا بالضبط هو ما نطالب بمواجهته بقوة وبحزم حتى نمنع عملية نهب مصر من جانب بعض من لا ضمير لهم ولا شرف، وأعتقد أنه لايوجد أقدر من محمود عبدالعزيز لوضع الخطط اللازمة لمواجهة مثل هذه التصرفات التى تصيب مصر فى الصميم.

إن قصص بعض الذين نهبوا وهربوا هى مأساة تصيب القلب وتدميه . فالذى يهبر مائة مليون دولار يترك خلفه مائة ألف عاطل ومائة ألف متسول ومائة ألف مريض لا يجد لمرضه علاجا على الإطلاق . وضرب هؤلاء واجب وطنى وينبغى أن يشمل الضرب هؤلاء المتواطئين معهم من رجال البنوك ولا يضير الجهاز المصرفى أن يكون من بين رجاله بعض الفاسدين ، ولكن الذى يضيره حقا أن يفلت هؤلاء الفاسدون من العقاب.

والعبد لله شخصيا يعرف بعض رجال البنوك معرفة شخصية ويعرف كم عانى هؤلاء الشرفاء من الفلس وضيق ذات اليد مع أنه كان من السهل عليهم أن يعيشوا عيشة الحباكين وغيرهم من كبار الهابرين. والكورة الآن فى ملعب الأستاذ محمود عبد العزيز ابن حارتى التى تتشرف بانتسابه إليها ويستطيع بخبرته الطويلة وعلمه الغزير وتجربته الواسعة أن يقدم لنا حلا لوقف هذا النزيف الذى تسبب فى سرب اقتصاد مصر حيث سرب ملايين الدولارات والجنيهات إلى من لا يستحق بمساعدة بعض الذين لا يملكون .

شكرا للأخ الكبير محمود عبد العزيز رئيس اتحاد البنوك العربية على خطابه الرقيق وشكرا له مرة أخرى على جهوده القادمة لمنع هذه الجريمة فى المستقبل القريب.

نصبة القرن الجديد !

وهكذا انتهى القرن العشرون وبدأ القرن الحادى والعشرون «بنصبة» هى بالتأكيد «نصبة» جميع القرون ، فلا حدث مثلها من قبل ولن يحدث مثلها من بعد . إنها مشكلة الصفرين التى هددونا بسببها بالويل والثبور وعظائم الأمور ، فالطائرات سوف تتساقط كالذباب ، والصواريخ سوف تنطلق وحدها ، والأرصدة فى البنوك سوف تنكمش ، والعالم كله مقبل على خراب ولا خراب مالطة. وفتحت الدول الكبرى خزائنها وانفقت المليارات ، ليس بالعشرات ولكن بالمئات لمنع الخراب المستعجل الذى سيلحق بالبشرية ، الولايات المتحدة أنفقت مائة مليار تقريباً ، وفعلت أوربا الشيء نفسه، وكذلك فعلت اليابان، ولم يتضح بالضبط ما الذى فعلته روسيا على وجه التحديد . ولكن كل المؤشرات تؤكد أن كل دول العالم أنفقت مبالغ لابأس بها، وهى مبالغ ذهبت كلها إلى خزائن شركات الكمبيوتر ، وهى شركات لا توجد بالطبع فى الكونغو أو فى موريتانيا، ولكنها موجودة فى الدول الكبرى التى أطلقت إشاعة الصفرين ، ونشرت معها وفى أعقابها التهديدات بسقوط الطائرات وانطلاق الصواريخ الحاملة للرءوس النووية. وصدق العالم شائعة الصفرين وما سوف يتبعها من حوادث وكوارث. وعندما جاء الوقت الذى حددوه لوقوع الكارثة لم يحدث شيء على الإطلاق . لا الطائرات هوت من السماء، ولا الصواريخ انطلقت على هواها ، ولا حسابات البنوك أصابها التلف . مر اليوم الموعود كما مر غيره من الأيام ، وتبين للناس أن حكاية الصفرين هى مجرد شائعة، وأنها مجرد «نصبة» ثقيلة ، تتضاءل إلى جانبها نصبة شركات توظيف الأموال . ولكن إذا كانت الحكومات قد وقفت بحزم فى وجه أصحاب شركات توظيف الأموال، فمن يجرؤ على الوقوف فى وجه الذين أطلقوا شائعة الصفرين؟ ومن يتصدى لمحاسبة الذين أشاعوا الخوف فى نفوس البشر ؟ وأجلسهم على سطح صفيح ساخن عدة أشهر قبل أن يحل الموعد الذى حددوه . وهو اليوم الذى ثبت للجميع أنه يوم مثل كل الأيام ، وأن حكاية الصفرين هى نتيجة لقعدة مزاج استعملوا فيها كميات ضخمة من مسحوق وارد دولة كولومبيا ، وأن العملية كلها لا تخرج عن نطاق المثل الشعبى .. رزق الهبل على المجانين. أما الهبل فهم شركات الكومبيوتر، أما المجانين فهى حكومات الدول القوية الغنية المفترية ، التى منحتها الأقدار كل شيء .. الثروة والقوة ولكنها فى الوقت نفسه سلبتها راحة البال ونعمة الاطمئنان والشعور بالأمن والأمان.

●●●

للمرة الأولى شاهدت بيوتا شعبية تحيط بها حدائق غناء ، متناثرة فى حدائقها مقاعد ليجلس عليها المتنزهون . والمساكن الشعبية نفسها حماماتها مبطنة بالرخام ، وأرضياتها مكسوة بقيشان فاخر ، ونوافذ الشقق تطل كلها على الحديقة، والتكلفة بالنسبة للشقة ٢٨ ألف جنيه لا غير .

بعد جولة فى المساكن الشعبية إياها قلت لرجل الأعمال ابراهيم كامل .. هذا المشروع هو فتح جديد فى مجال المساكن الشعبية، لأن المساكن الشعبية كانت حتى قيام هذه المساكن التى نتجول فيها اليوم، كانت حوائط أسمنتية تحيط بها مستنقعات وكهوف وحفر تسكنها زواحف . ولكن هذه أول مرة يعامل فيها سكان هذه المساكن معاملة آدمية . أجاب إبراهيم كامل .. هذا هو هدف الذين شاركوا فى إقامة هذا المشروع .

قلت .. يبقى هناك خطوة لتحديد الوصف الذى يمكن أن نطلقه على هذا المشروع . هذه الخطوة هى لمن سيجرى تأجير هذه الوحدات السكنية ؟ .

وأجابنى إبراهيم كامل .. من رأى الذين ساهموا فى إقامة المشروع أن تكون الأفضلية للناس الذين كانوا يقيمون فى أكواخ على أرض المشروع نفسه . لو سلمنا الشقق لهم فسيكون المشروع خطوة مهمة جدا لرفع مستوى هذه الطبقة التى تحالفت ضدها كل الظروف وكم من مساكن أقيمت باسمها ، ولكن بعد انتهائها تم تسليمها إلى فئات أخرى لا علاقة لها بالناس الذين أقيمت المساكن باسمهم .

سألته .. ولماذا لا تقومون بتسليم الشقق للناس الذين كانوا يقيمون على أرض المشروع قبل بنائه . أجاب بأن الرأى استقر على تسليم المشروع للمحافظة ، وهى التى تتولى توزيع المساكن على المستحقين .

قلت : لا بأس من الانتظار حتى يتم التوزيع على المستحقين، ثم نطلق الوصف المناسب على هذه المساكن ، وهل هى مساكن شعبية بالفعل؟ أم هى مساكن شلبية ؟ .

سألنى .. ومن هى شلبية ؟ .

قلت .. إمرأة من بلدنا كانت تبيع الفول والطعمية عند الجسر الذى يؤدى إلى قريتنا . ولما كانت خالة شلبية ست طيبة ومؤمنة بالله، فكانت تخصص من الطعام الذى تبيعه كمية للفقراء وأبناء السبيل. ولكن هذه الكمية من الطعام التى كانت خالة شلبية تخصصها كل يوم للفقراء وأبناء السبيل ، لم يذهب منها شىء فى أى وقت لهؤلاء الذين كان من المفروض أن تذهب إليهم، فقد كان الخفير النظامى عبد الصبور يحضر كل صباح لتناول فطوره ، وكانت خالة شلبية تضطر لإخراج إفطاره من نصيب الفقراء. وكان الولد البلطجى أبو ليلة الأقرع يطلب إفطاره من خالة شلبية ، وكانت تعطيه ما يطلبه من نصيب الفقراء والمحتاجين . وبالرغم من عدم وصول شىء من طعام خالة شلبية إلى الفقراء والمحتاجين ، فقد ظلت النية متوفرة لديها، وهى مأجورة على ذلك باعتبار .. أن الأعمال بالنيات ! .

الأوحد فى تونس !

لحسن الحظ أن العبد لله كان الصحفى العربى الوحيد الذى وضع قدميه على أرض تونس بعد جلوس بورقيبة على دكة الحكم ، وكان بورقيبة قد مهد لهذا الحدث التاريخى بعزل باى تونس وإعلان الجمهورية . والحق أقول إن بورقيبة كان أحق الناس بمنصب رئيس الجمهورية، فهو الوحيد من بين زعماء تونس الذى بدد شبابه كله فى المنفى وفى المراقبة والمطاردة والسجن، وكان قبل ذلك قد عاد إلى المنفى ومعه وثيقة استقلال تونس، ولكنه فوجىء بمعارضة شديدة من بعض الزعماء الذين اعتبروا الاستقلال الذى جاء به بورقيبة إنما هو استقلال منقوص ، وأنه مجرد لعبة فرنسية لتنفرد فرنسا بثورة الجزائر لتقضى عليها. ولكن بورقيبة دافع بشدة عن الاستقلال الذى جاء به وتعهد بأنه سيحقق الاستقلال التام ولكن بأسلوب الخطوة خطوة. وأكد أن تونس فى ظل هذا الاستقلال المنقوص ستكون مقرا وممرا للثورة الجزائرية . وكان صالح بن يوسف هو أخطر الزعماء المعارضين لبورقيبة وكان يتميز بثقافة واسعة وموقف مبدئى، كما كان يجيد الحديث فى القاعات المغلقة والصالونات المخملية، بعكس بورقيبة الذى كان يجيد الحديث مع رجل الشارع وكان يسيطر بشدة على قواعد الحزب وكوادره، وكان باستطاعته اشعال النار فى الشارع بإشارة وباستطاعته ايضا إطفاء النار بإشارة، وفجر بورقيبة قنبلة حين دعا لعقد مؤتمر سياسى حضرته عدة وفود عربية ودعا إليه صالح بن يوسف وجماعته لعرض وجهه نظره علنا على الجماهير والدخول مع بورقيبة فى مناقشة علنية ثم الاحتكام إلى الجماهير ، ولكن صالح بن يوسف رفض عرض بورقيبة وغادر تونس فى اليوم السابق على انعقاد المؤتمر ولجأ إلى القاهرة . وانعقد المؤتمر فى صفاقس ، وشرح بورقيبة وجهة نظره للجماهير، كما شرح وجهة نظر صالح بن يوسف واحتكم إلى الحزب فصوت الحزب إلى جانب بورقيبة .

وكان مؤتمر صفاقس هو الحد الفاصل فى حياة بورقيبة وفى حياة تونس، فقد حصل بورقيبة من المؤتمر على تفويض كامل يفعل فى تونس ويفعل بها ما يشاء، وقد نفذ بورقيبة رغبة مؤتمر صفاقس وحكم تونس على هواه ، واستكمالا للشكل رتب لنفسه جولة شاملة فى انحاء تونس ومن حدود ليبيا إلى حدود الجزائر، وكان من حسن حظ العبد لله مرافقة الحبيب بورقيبة فى هذه الجولة التى مسح فيها تونس شبرا شبرا وخاطب فيها كل فرد من أفراد

الشعب التونسى . كان بورقيبة الذى عاش فترة فى مصر أثناء كفاحه ضد الاستعمار الفرنسى قد تأثر تأثرا شديدا بالزعيم مصطفى النحاس . وقد لاحظت هذا التأثر فى حركاته وفى أسلوب خطابته وفى تعامله مع الجماهير خصوصا فى المؤتمرات الشعبية التى عقدها أثناء الجولة .

ولكن بعد استماعى إلى عدد من خطبه التى ألقاها على أسماع الجماهير اكتشفت أن تأثره بالنحاس كان من ناحية الشكل وليس من ناحية الموضوع ، وأن بورقيبة يشبه النحاس باشا فى الشكل ولكن هناك فرق. لقد كان النحاس فوق كونه زعيما جماهيريا ، زعيما وطنيا من أعلى طراز ، وكلنا نذكر أن النحاس باشا رفض قبول النقطة الرابعة الأمريكية ورفض ارسال فرقة من الجيش المصرى للاشتراك مع القوات الامريكية فى حربها ضد كوريا الشمالية، وبحسه الوطنى الرفيع عقد معاهدة ١٩٣٦ مع الانجليز ثم قام بإلغائها عام ١٩٥١ ودعا الشعب إلى الكفاح المسلح ضد قوات الاحتلال فى منطقة القناة .

ولكن الزعيم بورقيبة كان على عكس ذلك تماما، كان أمريكيا مخلصا حتى قبل أن يتفتت الاتحاد السوفييتى وتنفرد أمريكا بحكم العالم، وكان يهزأ بكل القيم الوطنية من أول الوحدة إلى العروبة إلى الحياد الايجابى . وبعد أزمة السويس وإعلان مبدأ ايزنهاور ورفض مصر لهذا المبدأ أعلن بورقيبة قبوله لمبدأ إيزنهاور حتى قبل أن ينتهى إيزنهاور من عرض برنامجه فى أجهزة الاعلام. ووصف فرنسا بأنها الوطن الأم ولكن تونس كبرت وتريد أن تستقل بشئونها مع الاحتفاظ بطاعة الأم والاستماع إلى نصائحها دائما .

ما أبعد الفارق بين بورقيبة وبين مصطفى النحاس، الشبه الوحيد بينهما كان فى الخطابة وطريقة إجراء الحوار مع الجماهير . فى أحد المؤتمرات الشعبية وبينما كنا نسير فى الشارع وبورقيبة محاط بالألوف من الناس ، توقف بورقيبة فجأة وجذب نحوه سيدة عجوزاً واحتضنها وقبلها وصاح بأعلى صوته مناديا على عامل المدينة وهو منصب يشبه رئيس المدينة، وجاء عامل المدينة فجذبه بورقيبة إلى جانبه ووقف يخاطب الجماهير قائلا .. هذه المرأة لها فضل على الزعيم «ديالكم» هى التى أخفت الزعيم «ديالكم» فى دارها عندما كنت مطاردا ومطلوبا وهى التى أطعمت الزعيم «ديالكم» عندما كنت جوعان ولا أجد ما أسد به رمقى ، وكانت شجاعة عندما خانت الشجاعة الرجال . ثم نظر إلى عامل المدينة قائلا .. هذه المرأة المناضلة العظيمة .. أنا أطلب إليك أن تعمر لها بيتا وأن تجرى عليها راتبا مناسبا حتى الممات .. مفهوم .. وانحنى العامل عدة مرات وظل منحنيا حتى غادر بورقيبة المكان وصار بعيدا عن المرأة .. وبالطبع كانت هذه الحركة هى إحدى الحركات البورقيبية الشهيرة فكان يتوقف فى كل شارع ويصدر عدة أوامر للمسئولين فى المدينة برفع المظالم ورد الحقوق ومراعاة العدل،

ولم يكن يتحقق أى شىء من هذه الأوامر على الإطلاق ولكنها كانت تترك أثرا عظيما فى الشارع التونسى، وفى أثناء تلك الجولة التى استغرقت شهرا لم يكف فى أى مرة اجتمع فيها بالجماهير عن سب جمال عبد الناصر واصفا إياه بأنه تلميذ صغير فى مدرسة الديكتاتورية . وأنه ليس من صنف المناضلين لأن أحدا لم يسمع به فى الشارع قبل وصوله إلى السلطة، وقال فى أحد الاجتماعات .. لقد أردت أن أنصحه ولكنه لم ينتصح ، ولذلك توقفت عن نصحه . إننى لن أخسر شيئاً ولكنه هو الخاسر .

ووصف حركة عدم الانحياز بأنها حركة لا معنى لها لأن سر الحياة فى الانحياز ، حركة عدم الانحياز التى كانت تضم نهرو وتيتو وعبد الناصر لم تكن تعجب بورقيبة لأن الانحياز فى رأيه هو سر الحياة وتولى هو شرح هذا المعنى قائلا .. هل تستطيع أن تستمتع بمباراة كرة قدم دون أن تكون منحازا لفريق ؟! وكان بورقيبة يتصور بأنه بهذه العبارات الانشائية الساذجة أحد عباقرة العالم فى دنيا السياسة . وفى آخر يوم فى جولتنا جلسنا بعد انتهاء الجولة فى أحد المقاهى الشعبية وكنا مجموعة من الصحفيين كلهم من تونس والعبد لله هو الغريب الوحيد . وكان معنا مسئول صغير فى الحزب الحر الدستورى التونسى وكان مستواه كمستوى أمين مكتب الاتحاد الاشتراكى فى مركز العياط ولكنه كان يجلس وسطنا كأنه المارشال مونتجمرى بعد حركة العلمين، وراح يشرح لنا الحكمة وراء كلمات بورقيبة . ثم ختم حديثه قائلا : لو أراد الله خيرا للأمة العربية فسيتحد العالم العربى كله تحت رئاسة الزعيم بورقيبة لأنه هو وحده الذى سيقود العرب إلى قمة المجد .

أذكر أننى علقت بكلمات ساخرة قبل أن نقوم من مجلسنا ونرجع عائدين إلى العاصمة تونس. وفى الصباح الباكر كان سفيرنا فى تونس على الخط الآخر فى التليفون يعاتبنى بشدة على الكلام الذى قلته فى القهوة ليلة الأمس . نفيت له أن أكون قد قلت ما سمعه وأن ما قلته فى القهوة لم يكن أكثر من مداعبة وسخرية فى مواجهة سب مباشر لحكومة بلدى ورئيسها ونظامها دون أن يكون هناك داع على الإطلاق .

قال لى السفير استعد وسأمر عليك بعد دقائق . وارتديت ملابسى وانتظرت السفير على باب الفندق وعندما وصل ركبت معه فى سيارته وبعد دقائق كنا فى قصر الرئاسة وفى حضرة الرئيس بورقيبة وقف السفير يشرح للرئيس إننى ما جئت لتونس إلا لكى أنشر قصة كفاحه وجهاده ونضاله على صفحات الصحف المصرية وإننى من أشد أنصار بورقيبة ومن أشد المتحمسين له . وقال له .. سترى سيادتك بعد عودته إلى القاهرة الصفحات الطوال التى سيكتبها عن نضال وكفاح سيادتكم .

وقال بورقيبة كأنه يخاطب الجماهير فى الشارع .. أنا زعيم باعتراف العالم كله ولا احتاج

إلى اعتراف من أى جهة كانت .. وطيب السفير خاطره بكلمات كثيرة حتى هدأ روعه .. فنظر إلى العبد لله ومد يده نحوى وصافحنى بشدة وقال .. سأضمك للحزب الدستورى لتكون على مقربة منى ولكى تتعلم فى مدرستى السياسية .. وعندما خرجنا من مكتب بورقيبة قال لى السفير .. عاوزك تبيض وشى بقى . ووعدته خيرا وانطلقت عائدا إلى القاهرة .

كنت قد كتبت سلسلة مقالات عن الرحلة بعنوان الرجل الأوحد فى تونس وقلت فى مقدمة السلسلة .. إن بورقيبة هو الرجل الذى لم يترك أحدا إلى جواره واقفا على قدميه والحريص على سد كل الثغرات التى حوله حتى لا تكون هناك فرصة لمرور أحد من الجيل الجديد حتى لا يكون خطرا عليه فى المستقبل . وهذا الوصف الذى صكه العبد لله وانتحله عبد الكريم قاسم لنفسه بعد ذلك بعدة سنوات . وبعد نشر السلسلة على صفحات جريدة الجمهورية صدر قرار بمنع دخول العبد لله إلى تونس وكان ذلك فى عام ١٩٥٦ ولا يزال هذا القرار معمولا به حتى هذه اللحظة .

رحم الله الحبيب بورقيبة الرجل الأوحد الذى حكم تونس لمدة ٣٢ عاما أصاب وأخطأ خلالها كثيرا ولكنه وفى بوعده فحقق استقلال تونس بأسلوب الخطوة خطوة ، وحقق مكاسب كثيرة للمرأة فى تونس وكان لا يؤمن بالوحدة ولا بالقومية ويؤمن بأن فرنسا هى الوطن الأم ولكن تونس كبرت وتريد أن تستقل بأمورها مع الطاعة والاستماع إلى النصيحة .

العين على المحافظين !

فى حمى البحث عن ملامح التغيير الوزارى القادم، كان العبد لله مهتما بحركة تغيير المحافظين ، والسبب أن العبد لله يؤمن بأن منصب المحافظ أصبح اكثر أهمية من منصب الوزير، لأنه الجهة المكلفة بوضع القرارات موضع التنفيذ . وقد اتضح أخيرا أن أحد المحافظين ضرب عرض الحائط بقرار مجلس الوزراء أعلى سلطة تنفيذية فى البلاد، بأن يكون قرار تخصيص الأرض الحكومية من سلطة مجلس الوزراء وليس من سلطة المحافظين . وذهب السيد المحافظ الحدق بعيدا ، فأصدر قرارات عديدة بتخصيص مساحات واسعة من أراضى الدولة للمحاسيب وأصحاب النصيب ، ومر الأمر فى هدوء وفى كتمان وعندما انكشف الأمر قرر المحافظ أنه لم يكن يعلم بأن هناك قرارا من مجلس الوزراء بهذا الشأن، واتهم كبار معاونيه بأنهم أخفوا عنه قرار مجلس الوزراء، ولأنه محافظ دوغرى وحمش فقد أصدر قراراً بوقف عدد كبير من الموظفين الكبار عن العمل وأحالهم إلى التحقيق . وأيا كانت النهاية التى ستنتهى بها هذه الحكاية، فالأكيد أن السادة الذين حصلوا على الأراضى الحكومية بالمخالفة لقرار مجلس الوزراء، قد ظفروا بالغنيمة وخرجوا بها فى أمان الله، وإذا كان لهذه الحكاية دلالة ، فهى تؤكد نظرية العبد لله وهى أن منصب المحافظ أكثر أهمية من منصب الوزير، وأكاد أقول أكثر أهمية من مجلس الوزراء كله ؟ ولكن يبقى فى يد الحكومة للحفاظ على هيبتها أن تقوم بإجراء تحقيق بإشراف النائب العمومى لمعرفة مصير هذه الأراضى التى ذهبت لأصحابها بتأشيرة من المحافظ (الجاهل) كما وصفه الأستاذ صلاح قبضايا فى أحد أعداد جريدة الأحرار منذ أيام ، والذى يجب أن يعرفه الناس لمن ذهبت هذه الأراضى؟ وما الثمن الذى دفع فيها ؟ وما المصير الذى انتهت إليه؟ هل استخدمت فى الأغراض التى بيعت من أجلها ؟ أم جرى تقسيمها وبيعها لبناء مساكن فاخرة ؟ وهنا مربط الفرس كما يقولون . إذا كانت الأرض قد بيعت بالثمن الحقيقى ، وإذا كانت قد استخدمت فى الأغراض التى بيعت من أجلها لخدمة الشعب وتحقيق أهداف الخطة المنشودة ، فيادار ما دخلك شر وليس على المحافظ حرج .. أما إذا كانت الأرض ذهبت بتراب الفلوس ، وجرى التربح فيها، فمعنى ذلك أن العملية فى النملية وأن المتسببين يجب أن يمثلوا أمام القضاء ليحكم عليهم بما جنت أيديهم، وليكونوا عبرة لغيرهم من حضرات المستحفظانات وكبار الموظفين .

وأرجو من الله ولا يكترُ علي الله أن يأتي اليوم الذى يكون فيه شغل وظائف المحافظين بالانتخاب . وحتى لو أخطأ الناخبون واختاروا أسوأ الناس فلن يلوموا إلا أنفسهم ، وستكون تجربة مرة وسيجبرون على تصحيح الوضع فى الانتخابات التالية ! ولا أنكر أن تعيين المحافظين أسفر عن ظهور كوادر عظيمة قدمت خدمات عظيمة وجليلة للشعب وللإدارة المحلية. نماذج رائعة من أمثال وجيه أباظة وشعراوى جمعة وحمدى عاشور فى الماضى ، وعبد الرحيم شحاته وعبد السلام المحجوب وعبد الحليم موسى وعمر عبد الآخر فى السنوات الأخيرة . وهناك غير هؤلاء بالطبع أنجزوا أعمالهم فى صمت وفى طهارة واستحقوا الحمد والشكر على ما أنجـــزوه ابتغاء وجه الله .. لا يريدون جزاء ولا شكــورا . ولا أريد أن أذكر أسماء . حتى لا أذكر أحدا لا يستحق أو أغفل ذكر أحد يستحق أن يكون على رأس القائمة .

ويا مصر .. أنت محروسة بالمشايخ من أهل الله . ومن أراد لك سوءا كبه الله على وجهه!

●●●

لكيلا نحلق فى الفضاء ونذهب بعيدا فى الأحلام ، لابد أن نعترف بأن الكورة المصرية فى ورطة. لأنها فى أزمة والزمالك يعانى من المشاكل، والاسماعيلى فى حالة أنعدام وزن والمصرى فى حالة توهان والمنصورة فى حالة ضيـاع . ولقد أتيح للعبد لله مشاهدة مباراتين هذا الأسبوع بين الزمالك والمصرى قمة الكورة المصرية، والمباراة الأخرى بين الترجى التونسى وزميله فريق النجم الساحلى .. قمة الكورة التونسية ، الفرق كبير ورهيب بين الكورة هنا والكورة هناك. المباراة التونسية كانت تشبه مباراة فى الدورى الألمانى أو الدورى الانجليزى . سرعة ولياقة عالية ومهارات فردية ممتازة . فى المقابل كانت مباراة الزمالك والمصرى هرولة وصربعة وكر وفر وشوط فى العلالى وترقيص فى الهوا واجهاد ترك بصماته على الجميع . والأكادة على رأى شندى فنان قريتنا أن تونس ومصر وجها لوجه فى البطولات الافريقية . ولابد من التحرك بسرعة لتعديل مسار الكرة المصرية بالنسبة للنوادى وللمنتخب أيضا .

وفى رأى العبد لله ليس هناك مخرج للكورة المصرية إلا بعودة الكابتن محمود الجوهرى إلى المنتخب على الأقل لمواجهة المرحلة القادمة وما أصعبها فى بطولة إفريقيا وفى تصفيات كأس العالم . ولابد من تدخل الكابتن صالح سليم لإصلاح ما أفسده الدهر فى الأهلى، ولابد من وضع حد للمهازل التى تجرى فى الزمالك . أما الاسماعيلى فحكايته حكاية كل الامكانات متوفرة، وكل الطلبات مجابة ، والمدرب برازيلى ومع ذلك .. البخت لو مال مين يعدله تانى ؟! أما المنصورة فهى عين وصابته، فريق سبح على السطح فترة ثم غطس فجأة وغرق فى الأعماق . والأسباب بعضها معلوم وبعضها مجهول، ولكن يمكن لاتحاد الكورة أن يتدخل بسلطاته التى كفلها له القانون لوضع الأمور فى نصابها . وعيب جدا أن يصل حال الكورة

إلى هذا الوضع الذى لا يليق . هزيمة منكرة فى بطولة القارات ، ثم خروج مبكر من بطولة الأمير فيصل بن فهد. وخروج مبكر للأهلى من بطولة النوادى الافريقية وبالرغم من ذلك يخيم الهدوء على الساحة الكروية ، فلا حس ولا خبر ولا تحرك من أى نوع لضبط الأمور فى نوادى الكرة وفى المنتخب لا شىء سوى تسريح الكابتن سمير زاهر وجلوس الدهشورى حرب مكانه .

وهو وضع لا يرضى أى أحد، لأن الكورة لم تعد رياضة فقط ، ولكنها رياضة وسياسة وتجارة ونيجيريا أصبح لها وضع خاص فى العالم بسبب منتخبها الذى هزم البرازيل وهزم الارجنتين بكامل نجومها . وبلدنا تستحق كورة أفضل ، وارحمونا يرحمكم الله

باى باى نتنياهو !

العبد لله يجد نفسه مضطرا للاعتذار للسادة القراء لأننى قلت فى مقال سابق على الصفحة الأخيرة بالمصور ، إن نتنياهو عائد إلى رئاسة الوزارة بعد الانتخابات القادمة ، ولكنى الآن وبعد استقالة موردخاى وتربعه على رئاسة حزب الوسط أجد أن اعتذارى واجب لجميع القراء بصفة عامة وللصديق المهندس على والى بصفة خاصة ، لأنه ناقشنى فى هذا الأمر ، وأكد لى فى ثقة مدير عام مخابرات الكون أن نتنياهو سيجبر على التصييف بدرى ، وأن دوره السياسى انتهى ، وأنه أخذ فرصته فلم يستطع استغلالها ، وأثبت أنه حمار سياسى لايجيد اللعبة ولايعرف قواعدها ، فالقوة ، والقوة وحدها ، تعجز دائما عن حل المشاكل ، وفى الزمن القديم عجز الاسكندر الأكبر عن إخضاع العالم بالقوة ، وانتهى نهاية مأساوية حيث لدغته نحلة أو حشرة وقتلته ، وفى الزمن الحاضر عجزت أمريكا عن هزيمة فيتنام بالقوة ، وانتهى الأمر بها إلى الهروب من أرض المعركة حيث ترك جنودها أحذيتهم ولاذوا بالفرار .

لكن الخواجا نتنياهو أراد أن يثبت للجميع أن كل الذين حاولوا استخدام القوة فى الماضى وفشلوا كانوا عجزة وقليلى الحيلة ، أما هو .. فاسم الله عليه، اسم الله عليه ، كفتوة من فتوات الحرافيش . نبوته هو دستوره وقبضة يده هى ميزان العدل ، وشعاره .. يا أرض إنهدى ما عليكى أدى ! ، لم يحترم نتنياهو أحدا أو جهة على الإطلاق ، أوربا طظ فيها ، وأمريكا طظ فيها ، ورئيسه فى دولة إسرائيل «خللى يوللى» .. والاتفاقيات يوقعها ولا ينفذها .. وممنوع اتخاذ قرارات انفرادية ، ولكن بالنسبة له مسموح ومشروع وقانونى للغاية ، وإذا أعلن ياسر عرفات قيام الدولة فسيهدم مشروع السلام من أساسه وسيجتاح بدباباته كل أرض فلسطين ، حتى الرئيس الأمريكى صاحب نعمته والذى لحم أكتافه وأردافه أيضا من سمنه وعسله ، جعله أضأل وأقل شأنا من رئيس قبيلة الشيروكى التى تحولت إلى نوع من أنواع المواصلات الآن ، لا كبير عنده إلا نفسه ، ولا زعيم إلا هو ، ولا قرار إلا قراره ، وفلوسى أنا حر فى فلوسى ، وبفلوسى أنا حر بفلوسى! وبالرغم من توالى الضربات على أم رأسه ، وبالرغم من موقف الجميع ضده حتى رئيس دولة إسرائيل نفسه ، الذى وصفه بالغرور والكذب ، وبالرغم من وقوف وزير خارجيته المعزول ضده ووصفه له بأنه رجل يجيد الخداع ولا يجيد شيئا آخر ، بالرغم من استنكار الجميع لمواقفه إلا أنه لم يرتدع ، ولم يتغير ولم يحاول

ذلك ، ولكن ضربة وزير الدفاع موردخاى جاءت فى الوقت المناسب ، قبل استقالته بثلاثة أيام حيث صرح كلينتون فى واشنطن بأن موردخاى هو الوزير الوحيد فى حكومة إسرائيل الحريص على السلام ، ولم يسكت نتنياهو فرد على كلينتون بتصريح هايف اتهم فيه الرئيس الأمريكى بالتدخل فى شئون إسرائيل الداخلية ، ثم هدد بأنه أكبر من جميع المؤامرات ، وأنه هو الوحيد وكلهم .. ركش !.

ولأنه كذاب وحقير ولأن الضربة أوجعته كثيرا ، فقد اتهم موردخاى بالخيانة ، ووصفه بالأرزقى ، وقال إنه طلب تصعيده بعد الانتخابات إلى منصب نائب رئيس الوزراء ، ثم أعلن عزله من منصبه ، ووقف موردخاى وخاطب نتنياهو علنا قائلا : أنت وقح وكذاب وعار على إسرائيل ولا تصلح نفرا فى قوات حرس الحدود لأنك غير أمين وغير محترم !!.

ضربة موردخاى هى المسمار قبل الأخير فى نعش نتنياهو ، أما المسمار الأخير فسيكون رأى المواطن الإسرائيلى العادى يوم الانتخابات ، لأن نتنياهو هو زعيم الصياع والأرزقية الذين عبروا البحار إلى إسرائيل ليحصلوا على بيت فى الضفة الغربية ، وعلى إعانة الدولة ، مقابل الحفاظ على حالة التوتر فى الأرض الفلسطينية ، وقتل ما تيسر من الفلسطينيين بين الحين والآخر ، إنهم صياع الشوارع الخلفية فى بروكلين بنيويورك ، ومقاطيع حى السبع بنات فى لندن . ونشالين الحى اللاتينى فى باريس ، والخواجا نتنياهو كان واحدا من هؤلاء فى صباه ، وكان كل أمله أن يجد وظيفة ثابتة ، ويسكن فى بيت له حمام مستقل ، ويكون له مرتب يكفيه طول الشهر ! .. ولكنه ولأن الله سبحانه وتعالى يرزق أحيانا من لا حيلة له ليتعجب أصحاب الحيل ، فقد صار نتنياهو رئيسا لوزراء إسرائيل ، وأصبح يعامل فى الغرب معاملة رؤساء الدول ، تعزف له الموسيقى فى المطارات ، ويتناول طعامه على موائد الملوك والأمراء ، ويقال إنه حتى الآن يخطرف فى نومه بكلام يكشف عن دهشته الشديدة للبلهنية التى يعيش فيها الآن ، وهو الذى كان يتمنى على الله ولايكتر على الله أن يضع فى جيبه علبة سجاير عشرين كاملة ! .

على العموم .. لكل شئ إذا ما تم نقصان . وأنت يا خواجا نتنياهو خيبتك وصلت للتمام ، وحان الوقت الآن للمغيب .. باى باى خواجا ، وعود حميد إلى حوارى بروكلين .. حيث الصياعة والتسول وخيبة الأمل راكبة جمل ! .

●●●

كلما ذهبت إلى شرم الشيخ ، وجدت نفسى أضحك بجنون لسبب لا يعرفه أحد ، أما السبب فيتعلق بمؤلف أغانى جهول جدا أصابه حزن شديد بعد حرب الأيام الستة ، وأراد أن يشترك فى مهرجان الأغانى الذى نظمته الإذاعة والتليفزيون والذى تنظمه دائما فى مثل هذه

المناسبات ، يعتبره بعض المؤلفين والملحنين مورد رزق لهم ، هناك طبعا مؤلفون عباقرة وملحنون ممتازون ، ولكن هناك طبقة أخرى تعتبر هذه المناسبات فرصة للرزق ، صاحبنا المؤلف إياه كان من هذه الطبقة ، كتب أغنية عن شرم الشيخ وأسرع بها إلى الإذاعة وكانت الأغنية تقول :

الشرم ده شرمنا وشرم أبونا وأمنا .

وطبعا لم يخرج من الإذاعة إلا على نقالة ومكث عدة أيام فى مستشفى بولاق العام ، المؤلف إياه لسوء الحظ مات إلى رحمة الله ، لو عاش حتى يومنا هذا ، لو شاهد شرم الشيخ الآن فربما كتب أغنية عبقرية عن شرم الشيخ الجديدة ، التى تثبت أن المصريين قادرون على صنع المعجزة إذا توفرت لهم الظروف الحسنة والإمكانات اللازمة ، ليت جميع المصريين يأتون إلى شرم الشيخ وإلى سيناء كلها ليدركوا مدى الخطيئة الكبرى التى ارتكبناها فى الماضى عندما أهملنا سيناء وسكانها وشواطئها الذهبية .

والسؤال الآن : لماذا لا تقوم فى سيناء مائة مدينة كمدينة شرم الشيخ ؟ التى هى فى واقع الأمر أجمل وأحلى مدينة على ظهر الأرض وربما على ظهر الكون !

أعياد ولكن فياسكو !

العبد لله يقترح إلغاء الاحتفالات بعيد المحافظات المصرية ، لأن الممارسات التى نراها فى هذه الاحتفالات لم تعد تتفق مع الأوضاع والظروف الجديدة ، فهذه الاحتفالات كان مقصودا بها تأكيد استقلالية هذه المحافظات فى بداية نشأة الحكم المحلى . ولأن الظروف كانت مختلفة فى تلك الأيام ، فقد اختارت كل محافظة يوما من أيام الكفاح الوطنى عيدا لها .

الجيزة مثلا اختارت معركة الشوبك ضد الانجليز ، والمنوفية اختارت يوم دنشواى ، والمنصورة اختارت يوم هزيمة الجيش الفرنسى وأسر الملك لويس التاسع وهكذا .

وكان من الواجب بعد أن دخلنا فى معركة التنمية والبناء والتوسع فى إقامة المشروعات الصناعية والتجارية أن نختار مناسبات مختلفة لإشاعة البهجة فى نفوس المواطنين . مثلا موسم جنى القطن فى بعض محافظات الوجه البحرى ، موسم جنى القصب فى بعض محافظات الوجه القبلى ، موسم حصاد الأرز فى دمياط ، موسم السمان والخريف فى بورسعيد ، وإن كانت بورسعيد لها وضع خاص ، ولا بأس من الاحتفال بالعدوان الثلاثى الذى انتهى بهزيمة الانجليز وانسحابهم كالقطط الجربانة وفشل العدوان فى تحقيق أهدافه، والتأكيد على عودة القناة إلى أهلها من المصريين !

المهم أن تختار المحافظات مناسبات أخرى يحتفل فيها الناس بالرقص والغناء ، الناس وليس رجال الإدارة المحلية ، من السيد المحافظ إلى السيد السكرتير العام إلى السيد السكرتير بس إلى السيد مدير النظافة ، وهذا المنظر الذى يتكرر كل عام يجعل الناس تتصور أن العيد هو عيد المحافظ وليس عيد المحافظة !

ذات يوم منذ ثلاثين عاماً حضرت عيد إحدى المقاطعات الألمانية ، وكانت المناسبة بدء عملية إنتاج النبيذ من محصول العنب . الشعب كله خرج يرقص فى حلقات تمتد بلا نهاية ، الأطفال والشباب والعجائز والمرضى والمعاقون ، عيد حقيقى أشاع الفرحة والبهجة فى نفوس الجميع . وفى اليوم الأخير ظهر العمدة واقتصر دوره على توزيع الجوائز لأفضل إنتاج عنب ، وأفضل أصناف نبيذ ، وجائزة خاصة لأفضل مزرعة . ولكن فى بلادنا الأمر يختلف . فى عيد الجيزة الأخير مثلا جرى افتتاح مكتبة البحر الأعظم ، مع أنه جرى بناؤها وافتتاحها فى عهد المحافظ عمر عبدالآخر .. يعنى منذ عشر سنوات . وأضيف سباق النيل الدولى إلى عيد الجيزة الحالى مع أن السباق يقام كل عام ومنذ عشرات السنين . ثم أقيم الماراثون الطويل ، وقال فلاسفة الإدارة المحلية إنه ماراثون تجديد البيعة للرئيس حسنى مبارك لفترة رابعة . ما علاقة

تجديد بيعة حسنى مبارك بالماراثون الطويل أو الماراثون القصير ؟، وهل يحتاج حسنى مبارك إلى ماراثون لكى نوافق على تجديد بيعته ؟ إن أعمال حسنى مبارك هى التى تدعو الشعب إلى التجديد . وهل محافظة الجيزة هى وكيلة التجديد دون جميع المحافظات الأخرى ؟، أم هى مسألة تلقيح جتت وعملية هنكرة من النوع الثقيل ؟ .

العبد لله يرى أن تبتعد الإدارة المحلية عن عملية التجديد للرئيس حسنى مبارك لأن الإدارة المحلية جزء من الحكومة ، ويجب حصر مسألة التجديد فى يد الشعب ، لأن الشعب هو الذى يريد حسنى مبارك رئيسا له وليس سعادة المحافظ أو سعادة السكرتير العام أو سعادة السكرتير فقط أو سعادة رئيس النظافة . ثم فى أيام زمان كانت كل المصالح الاقتصادية مؤممة وكانت هى التى تقوم بالانفاق على مثل هذه الاحتفالات . ولكن الوضع اختلف الآن وأصبح القطاع الخاص هو ركيزة الاقتصاد المصرى . فهل هى فردة جديدة ؟ أم ضرائب بدون قانون وهو الأمر المحظور بشدة فى الوقت الحاضر ؟! .

وواجبنا الآن أن نعيد النظر فى كثير من الممارسات السائدة وأن نبحث عن آليات جديدة تتفق مع العصر الذى نعيشه الآن . وعلينا أن نعترف بأن ما كان يصلح أيام الاتحاد الاشتراكى لم يعد صالحا الآن ، وأن أعياد المحافظات على امتداد مصر ليس بالضرورة تكون مناسبات قتال ومعارك حربية . ويكون أفضل لو انتشرت موسيقات الجيش والشرطة فى الميادين الكبرى وفى الحدائق العامة مع حشد فرق الفنون الشعبية بالمزمار والربابة والطبل البلدى لإشاعة السعادة فى أرجاء المحافظة ، بدلا من نشر إعلانات بالشئ الفلانى فى الصحف القومية والصحف المستقلة والصحف التى لا يقرؤها أحد . وعلى كل حال لايزال هناك وقت لإصلاح ما يجب إصلاحه وتصويب ما يجب تصويبه .

فى عيد محافظة الجيزة المجيد ، تحية من القلب للسيد عبدالسلام المحجوب محافظ الاسكندرية .

●●●

أخونا الدكتور حسين كامل بهاء الدين يستحق جائزة حمل الأثقال العربية بعد أن تضخمت عريضة اتهامه فحملت عشرة اتهامات على الأقل ، فهو السبب فى نشر الكراهية ضد طائفة المعلمين ، وهو الذى شجع القر ونشر الحسد على فرسان الدروس الخصوصية ، وهو الذى طارد وطرد فقهاء الجماعات الإرهابية المتطرفة من معاهد التعليم ، وهو الذى هبط ببرامج التعليم العام إلى الحضيض ، وهو السبب فى ضعف التعليم الجامعى وضحالة الخريجين ، وهو السبب فى البطالة المنتشرة فى الوقت الحاضر خصوصا بين شباب الخريجين ، وهو الذى صار التعليم الابتدائى بفضله نوعا من الترفيه وشغل أوقات الفراغ ،

وعريضة الاتهام التى ينشرها وتوزعها جبهة أعداء حسين بهاء الدين تنقصها عدة اتهامات يعرفها العبدلله وإن غابت عن الكثيرين ، فهو المسئول عن محنة سكان كوسوفا، وهو الذى كان يتولى قيادة قوات الصرب ضد مسلمى البوسنة ، وهو أحد السفاحين الذين اشتركوا فى مذبحة دير ياسين فى حرب فلسطين الأولى ، وهو السبب المباشر فى خروج قطار كفر الدوار ، وبسببه سقط أتوبيس الصعيد من فوق الكوبرى المعلق بميدان الجيزة .. وأكاد أقطع أن حسين كامل بهاء الدين هو المسئول عن هبوط الأوراق المالية فى البورصة ، وهو المسئول أيضا عن هزيمة الفريق الأوليمبى أمام اريتريا ، وهو الذى يقف وراء انسحاب الزمالك أمام الأهلى .

والعبد لله كان فى نيته أن يتقدم بقائمة الاتهامات التى فى حوزتى إلى المحكمة التى ستحاكم الدكتور حسين كامل بهاء الدين لولا أننى خشيت من أن يطول سجنه فتتضاعف المصروفات التى سأتولى انفاقها عليه فى سجنه من علب سجاير عشرين إلى عيش وحلاوة إلى ملابس شتوية وصيفية إلى شاى وسكر وعسل وطحينة وخلافه .

أخونا الدكتور حسين كامل بهاء الدين ، أعرف أنك مؤمن بالله وبقدرته ومؤمن أيضا بأن المكتوب ع الجبين لازم تراه العين ، ولكن أدى الله وأدى حكمته ، وعلى رأى المثل .. الحظ لو مال راح تعمل إيه بشطارتك !! .

وزير الداخلية .. براڤو !

اللواء حبيب العادلى رجل أمن منضبط ، يجيد العمل فى صمت وفى هدوء ، لا يحب الفشخرة ولا زفة الإعلام ، ولا حفلات التنطيط والتبليط ، كما أنه محظوظ وسكته سالكة ودعاء الوالدين يرعاه ، ولذلك لم تقع حادثة واحدة فى مصر منذ جلوسه على مقعد وزير الداخلية ، وهناك أسباب موضوعية لهذا الهدوء الذى نشهده هذه الأيام ، على رأسها السياسة التى اتبعها الوزير العادلى بفتح أبواب السجون ومنح الحرية للمئات والألوف الذين تابوا أو أبدوا ندمهم على ما فات ، وهى سياسة صح ألف فى المائة ، والخطوة الثانية التى تحسب للوزير العادلى هو ضبط النفس والتفكير ألف مرة قبل اعتقال المشتبه فيهم بالحق وبالباطل ، والخطوة الثالثة هو احترام الناس فى أقسام البوليس، واحترام آدمية المواطنين الذين جرى التحقيق معهم فى عمليات لها صلة بالإرهاب .

أما ضربة الحظ الكبيرة التى هبطت عليه من السماء، فهى سقوط عدد من قادة الإرهاب فى قبضة الشرعية ، وكان للمعلومات التى توصلت إليها أجهزة الأمن من خلال اعترافات هؤلاء القادة الفضل فى كشف الكثير من الأسرار والأوكار ، وهناك سبب آخر هو الخط الجديد لفكر الجماعات إياها ، فقد اتفقت قيادة الجماعات على تحريم ضرب السياح وقتل الأفراد ، ويبدو أن هناك اتجاها جديدا لنشاط هذه الجماعات ، وهو موقف يجب تشجيعه بشدة، لكى تتجه هذه الجماعات إلى نبذ العنف بجميع صوره وممارسة العمل السياسى وكما ينبغى أن يكون .

شئ آخر يذكر للوزير العادلى أنه أعاد النظر فى عملية توزيع المكافآت على ضباط الشرطة ، فشملت المكافآت عددا أكبر من الضباط الشباب ، وهى عملية تركت أثرا طيبا بين رجال الأمن عموما ، كما نجح الوزير فى إعادة الهدوء إلى أجهزة الوزارة المختلفة ، فاختفى الصراع بين رجال الأمن الجنائى والأمن السياسى ، وأصبحت الممارسة الأمنية تصب فى قناة واحدة بمساعدة الجميع ولمصلحة أمن مصر ، هذه هى الأسباب التى أدت إلى تغيير الأوضاع الأمنية إلى ما وصلت إليه الآن ، وهو جهد مشكور للوزير العادلى نسأل الله أن يستمر حتى نحقق المناخ المناسب لمزيد من التنمية ، ومزيد من الاستثمار ، من أجل رفع المستوى العام للمصريين ، وخلق فرص عمل جديدة للشباب لكى نصل إلى المجتمع الذى نحلم

به والذى يستحقه شعب مصر بكل تأكيد . ولكى نحقق هذا الحلم فهناك مجالات أخرى تستحق اهتمام وزير الداخلية ، وعلى رأسها استمرار المعاملة الحسنة فى أقسام الشرطة ، ووضع القواعد والأسس التى ينبغى أن تحكم العلاقة بين رجال الشرطة وأفراد الشعب، لأن الأساس فى أى نهضة هو احترام الناس وحفظ كرامتهم ، فلا يلزق مصرى على قفاه ولا يحبس مصرى بدون تهمة وبدون أمر من القاضى ، ولا يمكن التفكير فى أى نهضة أو أى صحوة قبل تحقيق هذا الشرط أيضا .. تحتاج مصلحة السجون إلى نفضة بعد أن ساءت أحوال السجون إلى درجة لا يمكن تجاهلها .. ومن العجيب أن السجون المصرية شهدت خلال الأربعين عاما الماضية نوعا جديدا من النزلاء ، كلهم كانوا يوما ما من رموز السلطة ، رجال من أصحاب النفوذ من مستوى نائب رئيس الجمهورية ونواب رئيس الوزراء ورؤساء جهاز المخابرات وجهاز المباحث العامة ووزراء حربية وداخلية وإعلام ومسئولين كبار فى التنظيمات السياسية ، وذات يوم كان العبد لله فى السجن مع اثنين من وزراء الحربية واثنين من وزراء الداخلية ونائب رئيس جمهورية ونائب رئيس وزراء ووزير إعلام وعضو مجلس رئاسة وغيرهم ، ومع ذلك لم يحدث أى تغيير فى نظام السجون المصرية ، ولا تزال اللوائح التى تنظم العمل بالسجون هى نفسها التى وضعتها الإدارة الانجليزية عندما أنشأت سلطات الاحتلال هذه السجون التى هى نسخة من السجون البريطانية بالرغم من اختلاف الظروف والمناخ .. وأكبر مشكلة تعانى منها السجون الآن هى عملية التكدس ، وهناك سجن مثل سجن القناطر الخيرية يتسع لحوالى ٨٠٠ سجين ، ولكن نزلاءه الآن يصلون إلى أكثر من ألفى مسجون ، والشئ نفسه ينطبق على كل السجون تقريبا .

وأمامى الآن وأنا أكتب هذه السطور عدة خطابات من نزلاء فى سجون مصر أمضوا أكثر من عشرين عاما ، وعندما حان وقت الإفراج عنهم ، رفضت جهات الأمن الإفراج عنهم بدعوى أنهم خطر على الأمن العام ، وأسأل السادة أباطرة الأمن العام . ماذا يتبقى من رجل أمضى عشرين عاما فى زنازين أشبه بالمقابر؟ وكيف يكون الإنسان خطرا على الأمن العام مع أن الأمن العام نفسه سمح لهذا الرجل الخطر بالخروج من السجن لزيارة أهله بدون حراسة ؟ ومن هو هذا الشخص الذى منحوه سلطة الإفراج عن سجين بعد عشرين عاما أو استمرار حبسه ؟

هل هو من رجال القضاء ؟ وكيف يكون من حق ضابط شرطة أن يحكم باستمرار حبس بنى آدم أمضى فى السجن عشرين عاما كاملة ؟ وهو حكم أقسى ألف مرة من الإعدام ، ما أحوجنا الآن إلى تفريغ السجون المصرية من بعض نزلائها ، أحداث تحت السن ، وشيوخ

أصيبوا بجنون الشيخوخة ، ونزلاء ارتكبوا جرائم بسيطة ، وكان يكفى معاقبتهم بأحكام بسيطة يؤدونها خارج الأسوار ، مثل كنس الشوارع أو الخدمة فى أقسام الشرطة وغيرها من الأعمال، ولو كان الأمر بيدى لقمت بتشكيل لجنة من بعض الرجال المشهود لهم بالكفاءة وحسن التدبير لفحص أحوال نزلاء السجون ، والعبد لله واثق من الوصول إلى نتائج باهرة بتحقيق العدالة والإفراج عن النزلاء الذين لا توجد أسباب لسجنهم ولا جدوى من ذلك . كان معنا فى سجن القناطر مسجون يطلقون عليه اسم الزعيم ، وكان يقضى النهار كله فى الحوش يسب المأمور والإدارة والحكومة والناس وكل شئ . كان قد أصيب بالجنون وكانت حالته واضحة لكل ذى عينين ، ولا أدرى ماذا جرى للنزيل المجنون ، لأننى تركته فى السجن ولم أعرف ماذا جرى له بعد ذلك ؟ .

أخونا اللواء العادلى وزير الداخلية .. خطابات النزلاء الذين أمضوا عشرين عاما خلف القضبان عندى إذا أردت الإطلاع عليها ، مع العلم بأنه غير مسموح بوضع بنى آدم فى السجن كل هذه المدة ، اللهم إلا فى سجون نتانياهو .. وبشرط أن يكون المسجون عربيا .

ونحن ننتظر منك الكثير .. صدقنى ، خصوصا بعد أن نجحت ووضعت الداخلية على الطريق الصحيح ، أو بمعنى أصح وضعت الداخلية على الطريق إلى الوضع الصحيح !

وأقول لك يا سيادة الوزير السجن ليس تأديبا وتهذيبا وإصلاحا إذا طالت المدة ، ولكنه يتحول إلى هدم وتدمير وتخريب ليس للمسجون فقط ولكن لأسرته ، والعالم كله يتغير الآن ، والنظريات التى كانت صالحة للقرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر لا تصلح بالتأكيد فى القرن القادم ، وأغرب شئ يا سيادة الوزير أن المواطن المسجون يحتاج إلى ضعف المبلغ الذى كان يكفيه خارج الأسوار ، وهناك وضع سيئ أريد أن أهمس لك به ، هو وجود جهاز مباحث داخل السجون نفسها ، والعبد لله كان شاهد عيان فى بداية حقبة السبعينات يا سيادة الوزير ، وكانت نتيجة وجود هذا الجهاز فى السجن هو مضاعفة الرشوة التى يدفعها النزلاء للحصول على طعام أطيب أو نزهة أطول .

السجون يا سيادة الوزير تحتاج إلى نظرة إصلاح وتجديد من الرجل المسئول عن الوزارة، ووجودك على رأسها الآن هو فرصة طيبة لكى نطالبك بإصلاح السجون مرة واحدة وإلى الأبد .

والعبد لله يعتقد أنك صالح جدا لأداء هذه المهمة ، ليس بالنسبة للسجون فقط ولكن بالنسبة لكل المصالح والإدارات التابعة للوزارة ، وليست هذه شهادة العبد لله فى حقك ، ولكنها شهادة عمنا حسن أبو باشا واللواء عبدالحليم موسى واللواء فؤاد علام واللواء محمد تعلب واللواء رضا عبدالعزيز واللواء عبدالوهاب الهلالى .

الله معك .. ونحن أيضا ؟!!

الطريق إلى البرلمان ؟

العبد لله سعيد بانتخابات مجلس الشعب التى تجرى حاليا فى مصر وهى ثالث انتخابات عليها القيمة تمت خلال العشرين عاما الأخيرة، أولها جرت فى أيام ممدوح سالم، والثانية جرت أيام حسن أبو باشا، وهذه الانتخابات الأخيرة جرت فى أيام حبيب العادلى. النتائج التى ظهرت فى الجولة الأولى بعضها أسعدنى جدا وبعضها أثار حزنى وشجنى، أنا سعيد جدا بنجاح البدرى فرغلى نائب بورسعيد الطيب كإنسان، المقاتل بشراسة كنائب بخاصة فى أول جولة يثبت أن الدنيا لاتزال بخير، وأن الناس لاتزال تحمل تقديرا كبيرا للسلوك المستقيم والعمل الطيب، ونجاح كمال الشاذلى بالرغم من خلافى معه إلا أنه كان يحمل معنى عميقا هو أن الفلوس وحدها لا تحقق النجاح فى الانتخابات، خصوصا أن المرشح المنافس فى دائرة الباجور كان يتحرك فى قوافل ذهبية كالقوافل التى كانت تقطع الطريق بين بغداد وصنعاء أيام عز الخليفة هارون الرشيد فى زمن الخلافة العباسية. ولقد أثبت الشعب المصرى خلال تاريخه الحديث أن الفلوس وحدها لا تكفى لمد جسور الثقة بين الناخبين وطالبى الحصانة، خصوصا أن هذه الانتخابات شهد لها الجميع بالنظافة والشرطة التزمت الحياد، وفى الباجور بالذات كانت مثالية كما شهد الزميل حمدى حمادة الصحفى بالوفد. هزنى أيضا نجاح فاروق متولى فى السويس وهو نائب قديم ومناضل قديم أيضا، وكان زميل زنزانة فى عام ١٩٧١، أما نجاح فاروق متولى فكان بسبب التحامه بأهله وناسه فى السويس، وحرصه الشديد على أن يعيش حياتهم ويسلك سلوكهم ويعانى مثلهم ،فرحت أيضا لنجاح الدكتور يوسف والى فى الفيوم، وهو لم ينجح لأنه نائب رئيس وزراء وليس لأنه الأمين العام للحزب الحاكم، ولكنه نجح لأنه رجل متواضع ويعيش بشكل عادى وربما أقل، وهو بالرغم من ثرائه ومنصبه السياسى يعيش فى مستوى موظف درجة خامسة ولم أجد من رجال السلطة من يدير ظهره للحياة ويغمض عينيه عن مفاتنها مثل الدكتور أسامة الباز والدكتور يوسف والى ، وأسعدنى أيضا صمود الشاب (محمد شردى) نجل صديقى مصطفى شردى يرحمه الله، ونجاحه فى دخول انتخابات الإعادة ضد أحد كبار رجال الأعمال وهو (المليونير قوطة) وأرجو أن ينجح فى اجتياز عقبة الإعادة فما حاجة مجلسنا النيابى إلى شباب صاعد وواعد مثل شردى؟ .

وأسعدنى أيضا تعثر النائب الغول فى سوهاج، مع أنه نائب عام مثل مدير عام وسكرتير

عام، ولا أعرف ماذا سيكون عليه حال الغول لو فقد حصانته ولم يجد غيرها؟ .

شعرت بالفرح لنجاح محمود عثمان فى الاسماعيلية، ومحمود هو ابن صديقى عثمان أحمد عثمان يرحمه الله وكان بينى وبينه حكايات وروايات وشعرت بالفرح لنجاح محمود رغم أن المحامية لمياء مبدى كانت مرشحة فى الدائرة نفسها ، ولمياء بالنسبة للعبد الله فى حكم هالة كريمتى لأنها ابنة خالتها، كما أن والدها الأستاذ محمد صبرى مبدى كان بمثابة أخ شقيق يرحمه الله، وقد أشرت عليها أن تدخل المعركة الانتخابية فى دائرة أخرى لأن أبناء عثمان أقدر على خدمة أهالى الدائرة من غيرهم، ومع أنها استحسنت اقتراحى ووعدتنى خيرا، إلا أننى فوجئت أثناء سفرى فى رحلة علاج أنها قررت خوض المعركة فى مسقط رأسها بالاسماعيلية، ومهما يكن الأمر فإن لمياء شابة والمستقبل أمامها عريض والجايات أكثر من الرايحات.

النبأ الذى كان أكثر إيلاما للعبد الله فى نتائج انتخابات المرحلة الأولى هو نبأ عدم توفيق النائب سامح عاشور، والمحامى سامح عاشور لا تستطيع تصنيفه إلا تحت يافطة النائب الوطنى، وطنى ليس نسبة للحزب الوطنى ولكن نسبة للوطن وغياب نائب مثل سامح عاشور عن المجلس النيابى القادم هو خسارة للحياة البرلمانية ، ولكن ينبغى أن أذكر حقيقة لا يستطيع أحد إنكارها، أن المرحلة الأولى التى تمت بالفعل كانت نظيفة بالتاكيد، لم يحدث فيها أى ضغط أو أى قهر، وقام فيها جهاز الشرطة بدور طنجة، لا ينحاز ولا يميل، ولو دارت الانتخابات فى المرحلتين القادمتين على النحو الذى دارت عليه فى المرحلة الأولى، فستكون النتيجة مجلسا نيابيا نظيفا ليس فيه نواب قروض أو نواب حشيش أو نواب صياع أو نواب سياح، كل همهم هو الطواف حول العالم فى رحلات برلمانية ، وإذا دارت المعركة الانتخابية إلى النهاية كما نتمنى فالعبد لله يتصور بأن المجلس القادم سيضم ما بين ستين وثمانين نائبا معارضا، فأرجو أن يفوز عدد من الرموز الحزبية مثل على سلامة فى الجيزة وزميله أحمد ناصر، وأرجو أن أرى فى صفوف المجلس نماذج مثل خالد محيى الدين وجلال رجب وأمينة شفيق، وأرجو أن يحالف التوفيق الدكتور حسام بدراوى مرشح دائرة قصر النيل والدكتور عبد الأحد جمال الدين.

ويؤمن العبد لله بأن من حق رجال الأعمال أن يكون لهم ممثلون داخل مجلس الشعب، وباعتبارى ناخبا جيزاويا قديما أتمنى أن ينجح محمد أبو العينين فى الجيزة وأن ينجح فى تمثيل الجيزة تحت قبة البرلمان، ومن عيب نواب الجيزة من طبقة الفئات أنهم كانوا فى الغالب من طبقة المسئولين والوزراء، وكانت أبرز عيوبهم أنهم يختفون بقدرة قادر بعد عملية الانتخابات لا أستثنى منهم أحدا إلا الدكتور أحمد جويلى وزير التموين ونائب الجيزة

السابق، وأرجو أن يتكـــرر ظهور محمد أبو العينين فى الجيزة بعد نجاحـــه بإذن واحد أحد.

ولكن أمنية العبد لله التى أتمنى أن تتحقق هى أن أرى عندنا نوابا لا يهتمون بمشاكل دوائرهم من كهرباء ورصف طرق وتوظيف بعض العاطلين، فهذه الواجبات تقع على عاتق المجالس المحلية أما النواب فينبغى أن يكون اهتمامهم بقضايا الوطن الكبرى، وإذا حدث هذا الذى أتمناه نكون قد بلغنا غاية المنى.. وإلا فقد عشنا بها زمنا رغدا.

وبعد.. فلعل أعظم ظاهرة فى هذه المعركة الانتخابية أنها مرت فى الجولة الأولى بدون سقوط قتلى، وأرجو أن يبقى الحال على ما هو عليه فى الجولات القادمة ولعل السبب فى هذه الظاهرة هو حياد الشرطة، فلا يثير غيظ الناس إلا انحياز الشرطة إلى جانب، ووقوفها إلى جانب من لا يستحق ثقة الناس. وعندما تقف الشرطة على الحياد فأبشر بانتخابات حرة نظيفة، تعبر عن نبض الشارع ورغبة الجماهير فى اختيار من يمثلهم تحت قبة المجلس.

السادة بتوع الفريكيكو ؟

العبد لله لا يجد مبررا لكل هذا الوقت الطويل الذى استغرقته حركة المحافظين التى لم تر النور بعد ، ولم أقتنع بالتصريح الذى أدلى به السيد رئيس الوزراء الدكتور عاطف عبيد وأعلن فيه أن تأخير حركة المحافظين يرجع إلى إعادة صياغة دور المحليات فى المرحلة المقبلة ، ذلك أن تجربة الحكم المحلى أو الإدارة المحلية ، كما يحلو للبعض أن يطلق عليها ، عمرها الآن أربعون عاما بالتمام والكمال ، ولا أعرف أى دور للمحليات فى كل وقت إلا تنظيم حياة الناس وتيسيرها لتصبح الحياة أجمل وأيسر ، ونجح خلال الأربعين عاما عدد من المحافظين على رأسهم وجيه أباظة فى البحيرة وفى طنطا ثم فى القاهرة أخيرا ، ونجح شعراوى جمعة أيضا فى السويس ، ونجح عبدالمنعم عمارة بعد ذلك فى الإسماعيلية ، وحقق عبدالسلام المحجوب نجاحا باهرا فى الاسكندرية ، هذه نماذج باهرة من النجاح فى مجال الإدارة المحلية ، وهناك محافظون كثيرون حققوا درجات مختلفة من النجاح مثل أحمد على فى الغربية ومحمود الشريف فى الشرقية وفاروق التلاوى فى الفيوم وعبدالرحيم شحاتة فى الجيزة ثم فى القاهرة وأيضا عمر عبدالآخر فى الجيزة ثم فى القاهرة ، وفخر الدين خالد فى المنصورة وصلاح مصباح فى أسوان ، وهناك محافظون مروا بمحافظاتهم ولم يتركوا أثرا ولم يضعوا بصمة وينطبق عليهم المثل القائل .. كأنك يا أبو زيد لارحت ولا جيت ! .

المحافظ إذن هو حجر الزاوية فى الحكم المحلى . إذا كان صالحا فالناس فى خير ومصالح الناس فى يد أمينة ، أما إذا كان المحافظ من بتوع الفريكيكو فقل على الدنيا العفاء ، ولذلك فعملية اختيار المحافظين هى الخطوة الأهم ، ومصر والحمد لله ولادة ، والعبد لله شخصيا يعرف ألف شخص على الأقل يصلح كل منهم محافظا يدخل التاريخ من أوسع الأبواب، فالمهم أن يكون الرجل مستعدا للخدمة وسعيدا بها ويريد تحقيق الخير لبلده وأهلها .

المسألة لا تحتاج إلى بنود ولا إلى مواد ولا إلى لوائح ، المسألة ببساطة : ماذا يريد السيد المحافظ بالضبط ؟ . والإجابة عن السؤال سترسم ملامح المستقبل لهذه المحافظة وسكانها . عندنا مثل هو سعد زايد محافظ القاهرة الذى أعاد إلى المواطنين ملايين الجنيهات بعملة أيام زمان ، وعندما خرج على المعاش لم يكن يملك ثمن بنزين سيارته . وعندنا مثل آخر هو يوسف صبرى أبو طالب ، الذى رفض وهو محافظ للقاهرة الموافقة على عرض تقدمت به شركة لشراء

أرض سوق باب اللوق بعدة عشرات من الملايين ، وهى ملك للسيدة الفاضلة حرمه ، وقال قولته المشهورة : لا أبيع ولا أشترى أثناء جلوسى على مقعد المحافظ ! .

وعندنا أمثلة أخرى عن المحافظ الذى لم يسمع عن قرار مجلس الوزراء بحظر بيع أراضى الدولة إلا عن طريق مـجلس الوزراء ، وهناك المحـافظ الذى وزع على مندوبى الصـحف فى محافظته كشفا بالأخبار التى يقومون بنشرها عن افتتاح مشروعات وتأسيس شركات والقيام بجولات أثناء سفره فى رحلة إلى الخارج لمدة أسبوعين ، متصورا سيادته أنه يحكم محافظة من مـحافظات بحر الغزال ، وتم نشـر الأخبـار بينمـا كـان جميع أهل المحـافظة يعلمـون أن سيادته فى رحلة خارج البلاد !.

ولكن .. وبالرغم من هذه النماذج المشوهة ، فما أكثر الرجال الذين يتطلعون لخدمة بلادهم وأهلهم، المهم هو العثور على هذه النوعية الممتازة من المواطنين ، وهى مهمة ليست صعبة لأن مصر ولادة وتزخر بالمئات والألوف من هذا الصنف الفاخر الذى يصلح للقيادة فى أى مجال ، ولكن مـهم جـدا الإسراع فـى إصدار حـركة المحـافظين ، لأن التـأخـير فـى هذا الأمر أصـاب المحافظات بالشلل ، وجعل معظمهـا فى حالة اللاسلم واللاحرب ، والمطلوب الآن الخروج من هذه الحالة بأقصى سرعة إذا كنا حريصين على عودة حركة الحياة إلى وضعها الطبيعى فى شتى المحافظات !

●●●

الأخ المستشار إياه والذى اتضح أنـه مستشار مزعوم لأن آخر درجة وصل إليها فى السلم الوظيفى هى درجة مستشار مساعد ، وهى درجة محترمة ولكن صاحبنا يحب الأبهة ويجيد التمسح فى الناس اللى فوق ، بدليل أنه كتب مقالا كبيرا عن أحد الوزراء الذين أصبحوا خارج التشكيل الوزارى الأخير فوصفه بالأسد الهصور ، ترى ماهو رأى السيد المستشار الآن بعد أن خرج الهصور من الوزارة ، هل لايزال «أسدا هصوراً» أم تحول الآن بعد خروجه من الوزارة إلى شئ مثل قطتى نميرة واسمها سميرة ؟، المهم أن السيد المستشار إياه أراد أن يشتم العبد لله ولكنه آثر السلامة ، فاكتفى بسب الشيخ أحمد سليمان السعدنى وهو قارئ ممتـاز يعـتبـر من رجـال الصف الأول فى مـدرسـة التـلاوة ، ولكن المسـائل فى الفن أذواق وأمزجة ، ومن الناس من لا يحب الاستماع إلى أم كلثوم ويفضل عليها سعاد مكاوى ، السيد المستشار إياه بتاع الأسد الهصور وصف صوت الشيخ السعدنى بأحط الأوصاف ، ونصح الناس بعدم الاستماع إليه ، وسأل الله أن يكون الشيخ السعدنى لا علاقة له بالعبد لله أو بالفنان صلاح السعدنى .

ويهمنى أن أقول للمستشار بتاع الأسد الهصور إن الشيخ السعدنى لجأت إليه الدولة

الألمانية في عهد هتلر لتسجيل القرآن الكريم على أسطوانات ، واستغلت هذه الاسطوانات في محطة إذاعة «كولون» العربية لجذب انتباه المستمعين العرب ، وقد لجأت الدولة الألمانية إلى الشيخ السعدني نتيجة نصيحة من بعض علماء الدين الإسلامي الذين كانوا يعيشون في ألمانيا ، وعلى رأسهم فضيلة مفتي فلسطين الشيخ أمين الحسيني ، وهم الذين رشحوا الشيخ السعدني لهذه المهمة ، ولكن جناب المستشار يتصور أنه كاتب ويتوهم أنه ساخر ، وهو لايجرب سخريته إلا في الموتى خصوصا الذين مر على موتهم سنوات طويلة ، أما الوزير الحالي خصوصا فهو أسد هصور ، ولكن لأن حظ المستشار أسود من قرون الخروب فلم يكد حبر مقاله يجف، حتى كان الأسد الهصور قد خرج من الوزارة وتحول إلى أرنب من أرانب عادل إمام ، فشمر المستشار وهات يا تشريح في جثة الشيخ السعدني .

عفوا عمنا الشيخ السعدني ، أرجو ألا تتململ في قبرك ، فهذا الشخص الذى افترى عليك بعد مرور ربع قرن على وفاتك ، هو من النوع الذى لايخاف ولا يختشي !

أبو الهنود سلمت يداك ؟

هو عذر أقبح من ذنب ، هذا البيان الذى أذاعته إسرائيل بعد المعركة التى نشبت بين الفرقة اليهودية الخاصة المدربة تدريبا عاليا على حرب الشوارع ، وبين الفدائى العربى أبو قلب ميت المدعو «أبو الهنود» ، وكانت نتيجة المعركة سقوط ثلاثة قتلى من عساكر الفرقة الخاصة ونجاة أبو الهنود من القتل ومن الأسر وفراره من قبضة الفرقة المدربة على أعلى مستوى ولجوئه إلى السلطة الفلسطينية .

أما العذر الذى هو أقبح من الذنب فهو الادعاء اليهودى بأن الجنود الإسرائيليين الثلاثة سقطوا قتلى برصاص زملائهم من الفرقة الخاصة ، ولو صح هذا الزعم فهو يكشف مدى الخيبة التى هى بالوبية التى أصابت جنود الفرقة الخاصة فأطلقوا النار على بعضهم البعض، وإذا كانت هذه الخيبة قد أصابت الفرقة الخاصة ، فماذا يكون الحال مع الفرقة العامة ؟ والفرقة الخاصة شأنها شأن فرق الصاعقة ، تدريب عنيف وممتاز على كل فنون القتال ، بالذخيرة الحية وبالسلاح الأبيض وبالچودو وبالكاراتيه وبالملاكمة وبالمصارعة ، وإذا كان هذا النوع من الجنود يحتاج إلى طاسة الخضة فى معركة مع شخص واحد هو أبو الهنود ، فماذا يكون عليه الحال إذا واجهوا فى معركة قادمة أبو الهنود وعم الهنود وخال الهنود وجد الهنود؟، إذا كان رجل واحد من طراز أبو الهنود قد بث الذعر فى قلوب جنود الفرقة الخاصة فلم يدركوا من شدة الذعر فى أى اتجاه يطلقون النار وفى أى جانب يقف العدو وفى أى جانب يوجد الصديق ؟ ، ومنذ فرار الجنود الإسرائيليين ليلا من جنوب لبنان تحت ضربات أعضاء حزب الله الأبطال ، ومعدن الجيش الإسرائيلى تظهر حقيقته يوما بعد يوم ، إلى أن وقعت معركة الفرقة الخاصة مع البطل أبو الهنود ، إنها بشرة خير بإذن الله ، وهى ترجمة أمينة لقول الشاعر ..

لكل شئ إذا ما تم نقصان ،
فلا يغر بطيب العيش إنسان ،
هى الحياة كما عاهدتها دول ،
من سره زمن ساءته أزمان ..

وقد وصلت إسرائيل إلى تمام عافيتها فى حرب ١٩٦٧ ، ثم بدأت فى النقصان خلال حرب الاستنزاف ، ثم خابت خيبة ينى فى حرب أكتوبر ، لقد ولى الوقت الذى كان الزمن مصدر السرور والحبور لإسرائيل ، وجاء الزمن الذى سيكون خميرة العكننة لإسرائيل وفرقها الخاصة ، وللعبد لله أمنية أرجو أن يحققها الرئيس ياسر عرفات ، فالبطل أبو الهنود

لايستحق السجن ، فهو لم يهاجم أحدا ، ولم يقطع الطريق على أحد . ولكن اليهود هم الذين حاصروه وهم الذين أطلقوا النار عليه، أما قتلاهم فقد شهدوا هم أنفسهم بأنهم قتلوا برصاص زملائهم ، فلماذا السجن ؟ ولماذا العقاب ؟ أما أنت يا أبو الهنود فأنت فى الحقيقة أبو الرعود وأبو الحدود وأبو الحشود وأبو الجنود ، نسأل الله أن يكثر من أمثالك ، وسلمت يداك ، وألف قبلة على جبينك يا بطل ! .

●●●

وهكذا جاء الدكتور نعمان جمعة عبر انتخابات حزب الوفد ليجلس على المقعد نفسه الذى جلس عليه سعد زغلول ومصطفى النحاس وفؤاد سراج الدين ، والدكتور نعمان جمعة يستحق الجلوس على مقعد رئيس الوفد، فهو سياسى بارز ويعرف قيمة نفسه ويعرف أيضا قيمة الآخرين ، كما أن به إنصافا وتؤدة وبإمكانه أن يدخل التاريخ من أوسع الأبواب لو استطاع أن يضع الوفد على الطريق الصحيح ، فليس من المعقول أن يظل حزب الوفد حتى الآن مصرا على إنكار ثورة ٢٣ يوليو ، متشبثا بأنها حركة الجيش وأحيانا يصفها بالانقلاب ، منكرا أى إنجاز للثورة ، فالسد العالى منع الطمى وتسبب فى تخريب الأرض الزراعية وحال بين السردين والشواطئ المصرية ، وتأميم القناة كان بمثابة طلقة فى الظلام لأنها كانت ستعود لمصر بعد عام واحد من التأميم ، ومنح حق تقرير المصير لشعب السودان ، سمح للسودان بالانفصال عن مصر ، وصفقة الأسلحة التشيكية لم تجلب على مصر إلا الحصار والدمار والحرب ، والاشتراك فى حرب اليمن كانت السبب فى خراب مصر واستنزاف الخزينة المصرية ودفن الألوف من شباب مصر فى تراب اليمن ، وعيب أن يكون هذا هو موقف الوفد من ثورة ٢٣ يوليو ، خصوصا وهو أعظم أحزاب مصر فى فترة ما قبل الثورة ، وكل ما أنجزته الثورة كان من أحلام الوفد القديم ، كان النحاس باشا يسعى بكل قواه لتحجيم هيمنة سراى عابدين والحد من نفوذ السفارة البريطانية ، وحاول مصطفى النحاس وضع نهاية للاحتلال البريطانى وانتهى فى أكتوبر عام ١٩٥١ إلى إلغاء المعاهدة المصرية - البريطانية وإعلان الحرب الشعبية على جنود الاحتلال فى منطقة القناة ، وكان النحاس يحلم بتنمية مصر لصالح شعبها ، وقد نجح عبدالناصر فى تحقيق هذه الأحلام ، أى أن الثورة المصرية كانت امتدادا لحكم الوفد الذى لم يهنأ بحكم مصر إلا فترات قليلة متباعدة بينما تربعت أحزاب الأقلية على دكة الحكم .

صحيح أنه فى ظل ثورة ٢٣ يوليو كانت هناك معتقلات وسجن حربى ومحاكم عسكرية ومطاردة للمعارضين ، وكل هذا صحيح ولا يستطيع أحد أن ينكره .

مبروك للدكتور نعمان جمعة رئاسة حزب الوفد، ومبروك لحزب الوفد رئيسه الجديد نعمان جمعة ، خليفة سعد زغلول ومصطفى النحاس وفؤاد سراج الدين .

ورطة كوفى عنان !

أغرب ما سمعت هذا الأسبوع هو الخبر الذى أذاعته جميع وكالات الأنباء عن اختطاف ١١ جنديا بريطانيا ضمن القوات البريطانية التى تعمل فى سيراليون لتدريب الجيش فى الدولة الافريقية على قتال قوات الثوار التى يقودها الجنرال سنكوح ، ولم أفهم كيف يتم خطف ١١ جنديا حضروا إلى سيراليون لتدريب جيشها ، مع أن هؤلاء الجنود بالطبع مسلحون بأحدث أسلحة العصر ، كما أنهم ليسوا فى مهمة تدريب فقط ولكنهم فى مهمة تدريب وتأمين للنظام القائم فى سيراليون ، فكيف بالله عليكم يتم اختطاف مثل هؤلاء الجنود ؟ هل هم أطفال ؟ ، هل هم جماعة من السياح جاءوا إلى سيراليون لاصطياد الأفيال فضلوا طريقهم فى الغابة ؟ ووقعوا لسوء الحظ فى طريق طرزان فاختطفهم بمساعدة شيتا ، ثم ربطهم فى حبل وجرهم خلفه إلى مكمنه فى قلب الغابة ليشوى بعضهم على جمر النار ويسلق البعض الآخر فى البرميل لزوم الشوربة قبل وجبة العشاء .

هل يصدق أحدكم هذا الخبر الذى أذاعته وكالات الأنباء العالمية وكل القنوات الفضائية ؟، الأكيد أن الخبر مفبرك وبالرغم من ذلك ورطوا سكرتير عام الأمم المتحدة كوفى عنان ، فأصدر بيانا ناشد فيه ثوار سيراليون إطلاق سراح الجنود المختطفين ، ولا ينقص الآن إلا استئجار منادٍ يقوم بالطواف على كل المدن السيراليونية يزعق بالصوت الحيانى «ياولاد الحلال .. ١١ عسكرى تايه واللى يردهم سالمين له الأجر والثواب من الله» .

وأعتقد وأمرى لله أن المسألة فيها ملعوب ، ووراء إذاعة هذا الخبر مؤامرة يتم نسج خيوطها الآن فى الخفاء ، ويبدو لى أن أساليب الاستعمار لم يطرأ عليها أى تغيير بالرغم من العولمة وشبكة الانترنت والكومبيوتر ، وكلنا نعرف أن الإنجليز زعموا قبل غزو مصر أن الجيش المصرى يقوم بترميم وتجديد الطوابى على امتداد شاطئ الاسكندرية تمهيدا لقصف الأسطول البريطانى الراسى فى البحر ! ثم زعموا أن مصريا يعرض عدد من الحمير للإيجار قام بالاعتداء على أحد المالطيين الذين يتمتعون بحمل الجنسية البريطانية ، وعلى الفور وبناء على هذا الزعم اجتاحوا مدينة الاسكندرية ثم قاموا بغزو مصر كلها بعد ذلك .

هذه التماحيك لاتزال هى العلامة المسجلة على ملاعيب الاستعمار .. خصوصا البريطانى لأنها دولة عتيقة وتحترم التقاليد والعادات القديمة .. ولذلك يتوقع العبد لله أن تكشف الأيام

القادمة عن النيات التى تختفى وراء خبر اختطاف الجنود البريطانيين الأحد عشر الذين خطفتهم النداهة فى أحراش سيراليون ، ولكنى كنت أتمنى ألا يزج الإفريقى الطيب كوفى عنان بنفسه وبالأمم المتحدة فى هذا الملعوب المريب ، وهى الغلطة الثانية لأمين عام الأمم المتحدة ، وكانت الغلطة الأولى حين أبدى إعجابه الشديد بالمجحوم نتنياهو ووصفه بأنه شاب ولديه أفكار عظيمة ، صحيح أنه لم يفصح عن هذه الأفكار العظيمة ، ولكنى أسأله الآن : هل إبادة الشعب الفلسطينى واحتلال أرضه وتدنيس مقدساته ضمن الأفكار العظيمة ؟ أم ماذا ؟ يبدو أنه ماذا ! .

●●●

هذه شكوى من العبد لله مرفوعة إلى السيد صفوت الشريف وزير الإعلام ، فى بداية هذا الأسبوع شاهدت برنامجا دينيا على شاشة القناة الفضائية اشترك فيه عدد من الممثلين وعدد آخر من الدعاة والوعاظ على رأسهم المرحوم الشيخ إسماعيل العدوى ، ولكن الأمر الذى جعلنى أهتز غضبا هو ظهور شخص متهم بالنصب والاحتيال فى البرنامج وقضى وقتا طويلا يعظ الناس ويهدى الضالين ويثبت إيمان الحائرين !! .

ولم أفهم كيف حدث هذا مع أن الشخص إياه سبق القبض عليه منذ فترة واتهمته النيابة بالنصب والاحتيال ، وثبت من تحقيقات النيابة أن هذا الشخص غير مؤهل لمهنة الوعظ ، كما تضمنت التهم التى وجهتها إليه النيابة أنه كان يسب الخلفاء الراشدين وينسب إليهم أقبح الرذائل ، كما أتهمته النيابة بالاحتيال على أرمل وابتزاز أموال كبيرة منها بحجة بناء دار رعاية للأيتام فى قريته ، ثم ثبت من التحقيق أنه أقام بالمبلغ طابقا آخر فوق منزله لزوم قضاء فصل الصيف فيه ، وخلال وجود الشيخ المزعوم فى الحبس الاحتياطى خاضت جميع أجهزة الإعلام فى موضوع القضية وتفاصيلها ، والعبد لله لا يفترى على النصاب ولا يبالغ ، وكل الاتهامات التى ذكرتها لها أصل فى الأوراق ، ولا أدرى كيف انتهت القضية ولكن الشئ المؤكد أنه بعد الإفراج عنه منع من إلقاء خطبة الجمعة فى المسجد الذى كان يمارس فيه هذه المهمة، ولقد تصورت أن أمر هذا المحتال قد انتهى ، ولكنى فوجئت أوائل هذا الأسبوع بالنصاب يجلس متربعا على شاشة القناة الفضائية ، وهات ياوعظ فى مخاليق ربنا ، وهات يا شرح فى صفة قادر ومقتدر .

ماذا يقول الناس الذين تابعوا قضية النصاب إياه وعرفوا تفاصيلها ؟ وهل كانت السلطات تمزح عندما ألقت القبض عليه ؟ ، وهل كانت النيابة تمزح عندما أمرت بحبسه احتياطيا وجددت حبسه عدة مرات ؟ ، وهل كانت وزارة الأوقاف متجنية وظالمة عندما منعت النصاب من إلقاء خطبة الجمعة فى المسجد الكائن بالجيزة والذى كان يمارس فيه هذا العمل ؟ .

أعرف أن المسئولين عن القناة الفضائية سيقولون إن البرنامج قديم ... وهذا صحيح ولكن لماذا لم يسارع هؤلاء المسئولون بمسح هذا الشريط بعد إلقاء القبض على النصاب ومنعه من إلقاء خطبة الجمعة ؟ .

والسؤال الآن .. هل السماح بإذاعة هذا البرنامج كان من باب السهو ؟ أو كان نتيجة اتفاقات جانبية تمت تحت الترابيزة وبعيدا عن أنظار المسئولين ؟ .

وأيا كان السبب الذى سمح بإذاعة هذا البرنامج ، فالأمر يحتاج إلى تحقيق وإلى تفسير أما إذا كان هناك إصرار على إذاعة هذه الحلقات التى اشترك فيها هذا النصاب ، فليكن عنوانها «الشيطان يعظ» !! .

بينوشيه .. الجريمة والعقاب !

الچنرال بينوشيه صاحب الأوسمة التى تزن أكثر من طن ، بالرغم من أنه لم يدخل معركة واحدة ضد أى جيش ، والمعركة الوحيدة التى دخلها وانتصر فيها كانت ضد وطنه وشعبه ، فى الانقلاب الذى دبره ضد حكومة الرجل الديمقراطى المنتخب من الشعب (الليندى) والمعركة كانت لحساب المخابرات الأمريكية ولصالح أم الدنيا على وزن أم المعارك ستنا وتاج راسنا الولايات المتحدة الأمريكية . وقد حقق فيها الچنرال نصرا ساحقا على أعدائه . أسقط النظام الديمقراطى ، وقتل من أفراد شعبه ٣ آلاف مواطن مدنى بين طالب وعامل ومحام ومهندس والله وحده يعلم كيف قتلوا وماهى الأداة التى استخدمها القتلة فى إزهاق أرواحهم ؟ ، كم أن أحدا لا يعرف أين دفنوا ، وهل تم دفنهم فى قبور جماعية ؟ ، أم أن الچنرال قذف بجثثه فى أعماق المحيط لتحقيق الأمن الغذائى للأسماك ! .

الجريمة ظاهرة وواضحة وعلى عينك يا تاجر ، ومع أنى كنت واثقا منذ اليوم الأو لاحتجازه فى لندن بأنه لن يلقى أى عقاب ولن يدخل السجن ولو لساعات ، وكيف يحاك الچنرال والجريمة التى ارتكبها كانت لحساب الولايات المتحدة ؟ صاحبة الكرة الأرضية وما عليها .. أستغفر الله ! ، وفى الريف مثلا .. من يرتكب جريمة لحساب العمدة لا يلحق به أى ضرر ، فما بالك بالمجرم الذى يرتكب جريمة لحساب عمدة الدنيا كلها ؟ ، هل كانت الإدارة الامريكية ستسمح بتوقيع العقاب على الچنرال ؟ ، لقد قامت مسز تاتشر أشهر وأقوى رئيس وزراء بريطانى فى الأربعين سنة الأخيرة بزيارة الچنرال فى مكان تحديد إقامته ، وقالت عند خروجها من عنده .. هذا الرجل كان حليفى فى حرب فوكلاند ، وقدم لنا مساعدات قيمة ولا يمكن أن أنسى موقفه من بريطانيا فى تلك الأيام ، يعنى بينوشيه ليس زعيما عاديا وليس رئيس دولة مثل دولة مدغشقر فى افريقيا أو دولة تشيكيا فى أوربا أو دولة بورما فى آسيا ولكنه حليف قوى ، فى الحرب يسد ، فى السلم يا ميت حلاوة عليه ، وهو قطب له «كرامتين» كرامة مع أمريكا وكرامة مع بريطانيا ، مع أمريكا .. أنقذها من حرج شديد فهى زعيمة العالم الحر وكعبة العالم الديمقراطى وقضيتها الأولى هى الديمقراطية وقد أرادت شيلى أن تثبت لأمريكا أنها تمشى على دربها فأجرت انتخابات حرة ونزيهة ونظيفة ، وإذا بالشعب الشيلى يختار زعيما اشتراكيا هو الليندى وهى فى نظر أمريكا جريمة لاتغتفر ، ولكن ماذا تقول

أمريكا وكيف تعترض وقد طبقوا أسلوبها فى الديمقراطية ، واتبعوا تعاليمها ، ونفذوا إرشاداتها ، وربما لم تشعر أمريكا بهذا الكم من الحرج كما شعرت به يومئذ ، فهى لا ترضى عن الليندى ولا ترضى به فيكف تحاربه إذن وكيف تشن عليه حربا إعلامية بلا هوادة ؟، لقد جاء الرجل بالديمقراطية وبالديمقراطية حكم ، ولم تستمر حيرة أمريكا طويلا ، فقد تولى الجنرال بينوشيه تغيير الوضع بالطريقة التى يجيدها ، قاد طابورا من الدبابات فى شوارع العاصمة ، وأطلق عدة أسراب من الطائرات حلقت فوق قصر رئيس الجمهورية المنتخب ودكت قصره بمئات من القنابل المدمرة ، وسقط الرجل قتيلا تحت أنقاض قصره ، وأصبح الجنرال هو الحاكم الفرد لشيلى بقوة المدافع وليس بقوة الناخبين .

ولكن أمريكا لادخل لها بما حدث وهى بريئة من دم الشعب الشيلى براءة الذئب من دم ابن يعقوب . فما حدث فى شيلى هو مسألة داخلية ، وأمريكا - استغفر الله - لا تتدخل فى الشئون الداخلية للدول ولكنها تدع الأمور تجرى فى أعنتها ولاتبيتن إلا خالية البال .

وحكم الجنرال ١٧ عاما طويلة فلما سقط الاتحاد السوفييتى استراح الجنرال وترك السلطة وأصبح عضوا محترما فى مجلس الشيوخ ، فالموقف الدولى لم يعد يحتاج إلى خدماته، ولكنه ظل يرتدى بدلة المارشال وصدره يتزين بطن أوسمة وطن نياشين ، بالإضافة إلى الحصانة وعهد مكتوب وموقع من الدولة بأن المذكور أعلاه هو مواطن محترم لم يرتكب جريمة ولم تمتد يده إلى مال حرام ، ومن حقه أن يعيش إلى آخر يوم فى عمره كريما وسليما فلا يتعرض له أحد ولا يعترض طريقه أحد ، ولا يُسأل أو يستجوب أو يتهم ، ولم يحصل على التعهد أحد من قبله ولكن حصل عليه من بعده واحد فقط هو الخواجة يلتسين بتاع الاتحاد السوفييتى أو بمعنى أصح قاتل الاتحاد السوفييتى .

هذا هو الجنرال وهذا هو كشف الهيئة تبعه ، فهل كان أحد من الناس يتصور أنه سيحاكم فعلا ويجرى ترحيله إلى سجن الاستئناف؟ ، السذج وحدهم هم الذين تصوروا أن الجنرال قد سقط أخيرا فى الفخ وأنه سيشرب من الكأس نفسها التى تجرعها ضحاياه، مع أن ماذكرناه وما حصرناه من أفضال للسيد الجنرال هو نصف جهود الرجل لأن أفضاله على بريطانيا تزيد قليلا على أفضاله للولايات المتحدة ، لأن يد الجنرال الكريمة امتدت لبريطانيا فى وقت محنة ، عندما نزلت قوات كولونيلات الأرجنتين على جزر فوكلاند باعتبارها جزءا من التراب الأرجنتينى ولكن المرأة الحديدية تاتشر رئيس وزراء بريطانيا حشدت الجيوش وأعلنت التعبئة فى الأساطيل البحرية والجوية وقالت قولتها الشهيرة : « تقطع يدى ولا تقطع فوكلاند» ، وعندما وصلت طلائع جيشها إلى الشاطئ الآخر من المحيط كانت قد قطعت أكثر من (٥٠٠٠) ميل بلا توقف وبلا راحة ، ولذلك وصلت منهكة وتعبانة وتعانى من صداع حاد ،

وكانت هدفا سهلا لطائرات الأرچنتين ، وفى لحظة من اللحظات تصورت تاتشر أنها أخطأت الحساب وأنها أخطأت التصرف وفى تلك اللحظة بالذات امتدت يد الچنرال إلى جيش مدام تاتشر بالدعم والمساندة والمساعدة وهو بهذا العمل ليس صديقا فقط لبريطانيا أو حليفا لها ولكنه رفيق سلاح ورفقة السلاح هى أوثق وأقوى رفقة فى دنيا البشر .

ويقولون فى الأمثال .. «يابخت من كان النقيب خاله» ، والنقباء كثيرون، فشيخ الخفراء نقيب وشيخ البلد نقيب والعمدة نقيب والمدير نقيب والمدير العام نقيب عام ويابخت من كان أحد هؤلاء خاله ، فما بالك بمن كان خاله هو عم الدنيا الولايات المتحدة وعمة الدنيا بريطانيا العظمى العجوز الحيزبون .

ولكن وبالرغم من ذلك فالعبد لله يرى أن ما حدث للچنرال بينوشيه يكفى وزيادة ، فهذا الفرعون الذى قتل الألوف وعذب الألوف ودفن الألوف أحياء والذى تصور فى لحظة من اللحظات أنه هو الذى يحيى ويميت ، هذا الرجل عاش فى الحبس الإجبارى سبعة عشر شهرا طويلا ، والعقوبات أنواع والمجرمون أيضا ، فإذا كان سيد عجلة بلطجى حى زينهم لايردعه إلا سجن مدى الحياة ، فالچنرال بينوشيه أبو وردة على الخدين وأبو شريط أحمر على الساقين يكفيه تمريغ أنفه فى الرغام وإحساسه بأنه لايستطيع أن يبرح هذا المكان إلا بإذن ، وأعتقد أن هذا يكفى وأنه إنذار إلى كل جبار عنيد ، ولكن هل يستفيد الجبابرة والطغاة ؟ .. هذا هو السؤال .

انتبهوا أيها السادة !

ما هذا الذى يحدث الآن على الطرق السريعة فى بر مصر ؟، سيارة مسرعة ضربت بنتا فى عمر الورد أمام قرية «نما» ، فخرج أهالى القرية بربطة المعلم ، ولما اكتشفوا أن السائق القاتل هرب ، قطعوا الطريق الزراعى واستوقفوا جميع أنواع السيارات وأشعلوا النار فى بعضها وحطموا البعض الآخر واعتدوا على ركابها الذين لم يرتكبوا أى جريمة . وبعد أيام قليلة تكررت الحادثة أمام قرية «أولاد سيف» بالقرب من بلبيس ، ضربت سيارة مسرعة عدة بنات من سكان القرية ، فقتلت فتاتين وجرحت الأخريات ، وتكرر السيناريو نفسه .. وخرج سكان القرية بربطة المعلم فلما اكتشفوا هروب السائق القاتل، وهروب السائقين الآخرين الذين كانوا يتسابقون معه على الطريق الزراعى قاموا بقطع الطريق واشعلوا النار فى بعض السيارات وحطموا بعضها . ما الذى جعل الناس تفقد شعورها إلى الدرجة التى جعلتهم يقومون بتنفيذ القانون بأنفسهم وتوقيع العقاب على الجناة بأيديهم ؟ ، وماهى الأسباب الحقيقية وراء هذه الأعمال ؟ وماهى الدروس المستفادة منها ؟ وماهى الوسائل الكفيلة بوقف هذه السلسلة من أعمال العنف على الطرق الزراعية فى بر مصر ؟ .

الحقيقة أيها السادة أن ما يحدث فى الوقت الحاضر على الطرق الزراعية فى بر مصر خطير ويستحق أن ندرسه بعناية وباهتمام . لأن ما يحدث على الطرق المصرية لا يحدث فى أى مكان على ظهر الأرض . فالأصل فى الطرق أنها صنعت للمشاة، لأن المشاة وجدوا على هذه الأرض قبل اختراع السيارات بملايين السنين . والأصل فى الطرق السريعة أن السيارات التى تقطعها لا تقابل شيئا فى طريقها ، ويتحقق هذا بالأنفاق وبالكبارى العلوية . وفى الطرق الشبيهة بأوربا يستطيع السائق أن ينطلق وهو مغمض العينين لأنه لن يقابل شيئاً يعترض طريقه على الاطلاق . وفى ألمانيا فى عهد هتلر كان الإعدام عقوبة من يضبط سائرا على قدميه فى (الأوتوبان) وهى عقوبة مناسبة لأن الحادثة التى كان سيتسبب فيها ستقضى على عدد كبير من الأرواح .

ولكن فى بلدنا مطلوب من المشاة العابرين للطريق أو السائرين عليه أن يفتحوا أعينهم على الآخر ، وأن ينتظروا حتى يتوقف أسطول السيارات ، فإذا حدث له مكروه .. فهذا وعد

ومكتوب ، ولكل أجل كتاب . وعقوبة السائق فى كل الأحوال .. هى عقوبة القتل الخطأ ، مع أن أغلبهم لم يتعلم السواقة بما فيه الكفاية ، وبعضهم تخلى فجأة عن سواقة العربات الكارو وتفرغ لسواقة الاوتومبيل ، ولكن فى الحوادث لا شئ يهم على رأى إحسان عبدالقدوس .. مع أنه فى جميع بلاد الله تعتبر حوادث القتل بالسيارة جريمة قتل من الدرجة الأولى إذا كان بدون رخصة قيادة أو إذا كان السائق مخمورا ، أو حتى إذا كان السائق أرعن لا يلتزم بآداب وسلوك الطريق . وهناك قصور حكومى بالصهينة عن إنشاء أنفاق أمام القرى التى توجد على الطريق . أنفاق تتسع للماشية وللمشاة ، مع أن الدولة وفرت كل أنوا ع الطرق من «كبارى» وأنفاق فى القاهرة ، لدرجة أنها اختصرت المسافة من مصر الجديدة إلى الجيزة فى عشر دقائق لاتزيد ؛ وجاحد من ينكر إنجازات الحكومة فى هذا المجال ، ولكن بقدر ما توسعت الحكومة فى الإنشاءات المدنية داخل المدن ، بقدر ما قصرت فى أنحاء الريف. صحيح أنها شقت طرقا جديدة كانت بمثابة الأحلام بالنسبة للفلاحين . ولكنها على طريقة ست البيت التى أفسدت الطبخة علشان شوية ملح ، أشاحت وجهها عن إنشاء الأنفاق والكبارى العلوية أمام القرى على طول الطرق الرئيسية ، حتى أن طريق مصر الاسكندرية الزراعى ، صار يعج بقوافل الجاموس والبقر ، ساعة الصباح الباكر وفى وقت الغروب . ولكن الأمر الخطير فى هذا الموضوع هو اتفاق الناس فجأة بأن يقوموا قومة رجل واحد ليقاتلوا طواحين الهواء ، وهات يا حرق فى الأوتوبيسات وتحطيم فى السيارات واعتداء على الركاب الأبرياء الذين لم يكن لهم ناقة ولا جمل فيما حدث ، هذه المسألة بالذات تحتاج إلى دراسة من خبراء الاجتماع ومن رجال السياسة .. وحتى لا نفاجأ بسلسلة من (الحوادث المؤسفة) وهو الاسم الحركى الذى أطلقه اللواء ممدوح سالم على مثل هذه الحوادث فى بداية عهد الرئيس السادات .

والعبد لله يلفت نظر حكومة الدكتور عاطف عبيد إلى ضرورة دراسة هذه الظاهرة قبل استفحالها ، وذلك بتكليف وزارة المجتمعات العمرانية الجديدة بإنشاء ما يجب إنشاؤه من انفاق «وكبارى» علوية للمحافظة على أرواح المواطنين ، وضرورة توقيع العقوبات الرادعة على السائقين الذين يتصورون أنهم ملكوا الطريق وما عليه . وبعض هؤلاء السائقين الذين لا ضمير لهم يتسابقون على الطرق السريعة كلعبة ظريفة يتسلون بها ، حتى لو أدى السباق إلى سقوط قتيل أو أكثر على الطريق . ولابد من فرض رقابة على الطرق السريعة بدوريات راكبة لتنظيم السير وضبط المخالفين من السواقين، وهى مسائل بديهية وإجراءات معمول بها حتى فى بلاد افريقيا السوداء .

ورحمة الله على أرواح الضحايا الذين سقطوا على الطريق ، والله يغفر لنا جميعاً .. إنه على كل شئ قدير .

وأقول لكم أخيرا .. انتبهوا أيها السادة ، فالأمر خطير ويحتاج إلى إجراء سريع !

الدجاجة وشعار جدى !

هل هو حلم أم علم؟.. هل هذا الرجل الجالس فى قفصه الزجاجى أمام قضاته المدعو أوجلان.. هل هو نفسه الثائر المقاتل قائد شعبه البطل أوجلان؟.. الذى أشعل العشرات من أفراد شعبه النار فى أنفسهم حزنا عليه واحتجاجا على اختطافه؟.. هل يمكن أن ينهار بطل بهذا الحجم؟ ويتحول بين يوم وليلة إلى دجاجة وديعة، يطلب الصفح والغفران، ويحمل لآخرين المسئولية ويؤكد براءته من كل التهم التى نسبوها إليه.

فاليونان هى التى حرضته وأمدته بالصواريخ ، واليونان هى التى وقفت فى طريقه وعرقلت ساعيه الطيبة للصلح مع تركيا! حتى حادث مصرع رئيس وزراء السويد الأسبق، لم يتردد وجلان فى اتهام زوجته السابقة وبعض قيادات حزبه الذين انشقوا عليه.. حتى سوريا تهمها أوجلان بأنها وفرت له المأوى ومعسكرات التدريب وأجبرته على الاستمرار فى الثورة ضد تركيا، أما هو.. فكان مغلوبا على أمره مسيرا لا مخيرا، مجرد دجاجة لا تهش ولا تنش ولو كان الود وده والأمر بيده، لهرب من الجميع واندفع بحماس ليحتضن حكومة تركيا ويمطرها بالقبلات! هل يمكن ان ينهار بطل بهذا الحجم الى هذا الحد؟ وهل يمكن ان يتحول أسد هصور إلى فرخة بلدى تحت أى ظرف ولأى سبب من الأسباب؟ .

إن ما نراه الآن بأعيننا فى داخل المحكمة التركية هو واقع، ولكنه أغرب من الخيال.. بعض الذين يعرفون حقيقة ما يجرى فى الكواليس التركية يؤكدون أن قسوة الأجهزة التركية بلا حدود. وأن السجون التركية هى أبشع ما عرف البشر من أصناف السجون، وأن كل ما قيل ويقال عن ممارسات الشرطة فى أنحاء العالم كوم، وما تمارسه الشرطة التركية وحدها كوم أخر.

وعلى فرض أن هذا الكلام صحيح.. فهل تكفى هذه الممارسات لتحويل أسد هصور خلال هذا الوقت القصير إلى دجاجة؟ ـ ثم إن البطل عبدالله أوجلان لا يبدو عليه أثر لأى عملية تعذيب، فلا وجهه منفوخ ولا رأسه مبطوح ولا جلده منزوع ولا يده مشلولة ولا ساقه مبتورة، فما الذى جرى بالتحديد؟.

هل كان عبدالله أوجلان زعيما من ورق، أرتدى جلد الأسد فى منفاه وبعيدا، عن يد السلطة التركية؟ هناك قادة من هذا النوع، إذا خلا بأرض طلب الطعن وحده والنزالا ـ فإذا أطبق القفص عليه، ارتد إلى طبيعته الحقيقية فتحول إلى فأر وربما إلى صرصار! .

وخلال العمر الطويل الذى عشناه رأينا أبطالا واجهوا مواقف أصعب مائة مرة من الموقف الذى يواجهه أوجلان الآن ولكنهم لم يضعفوا ولم ينهاروا - عقب سقوط ثورة آية الله كاشانى فى طهران، وسقوط عدد من قياداتها فى قبضة السافاك.. وما أدراك ما السافاك؟.. وبعد عدة أسابيع من التعذيب الذى لا يقوى على احتماله بشر .. حملوهم على الاكتاف وربطوهم على أعمدة النور، ربطوهم بإحكام وبشدة حتى لا يقعوا على الأرض - فقد كانت أرجلهم لا تقوى على حملهم من وحشية ما نالهم من تعذيب - وبالرغم من ذلك لم يفتح أحدهم فمه بكلمة استرحام - وواجهوا رصاص فرقة الإعدام فى هدوء وفى شجاعة منقطعة النظير.

طبعا - العبدلله لا يعيب على أوجلان ولا ينتقده - ولا أعرف ماذا كنت أفعل بالضبط لو كنت مكانه؟.. ربما فقعت بالصوت الحياتى ليصل صراخى إلى كل مواطن تركى وربما إلى كل مواطن بلقانى ، ولو ساعدنى المولى الكريم فربما وصل صراخى إلى جبال بوليفيا وإلى وديان جمهورية الدومينكان! .

ولكن أوجلان ليس مجرد إنسان بسيط وغلبان.. إنه بطل وقائد وثائر وصاحب قضية ورجل ولا كل الرجال - فما الذى حدث للبطل فى الأسابيع الأخيرة؟ وهل توصل الطب إلى إجراء عملية لتحويل الأبطال إلى فراخ ؟ - هذا هو السؤال!.

●●●

ماذا تخبىء الأيام القادمة لنا نحن البشر؟ - وهل هو قرن قادم جديد وسعيد، وعالم آخر يختلف عن العالم الذى عشناه وذقنا حلاوته ومراراته؟ أم هى الآخرة وجهنم الحمراء والنهاية المحتومة لكوكب الأرض ولصنف البنى آدم؟ .

والله يرحمه ويحسن إليه، جدى الشيخ خليل عاش عمره الذى امتد إلى ١٢٠ عاما يرفع شعارا لا يحيد عنه، الشعار يعبر عن رأيه فى الحياة والأحياء (الدنيا تؤلف ولا تؤلفان) ومعناه ببساطة أن نهاية الحياة تحدث قبل نهاية الألف الثانية - طبعا المرحوم جدى الشيخ خليل كان لا يدرك أن الحياة عمرها مائة مليار عام - كما يقول بعض الخبراء - وبعضهم يؤكد - كما نشر أخيرا - أن الحياة عمرها ١٨ مليار عام، وإن كان بعض العلماء قد اعترضوا عليهم وحددوا عمر الحياة بحوالى ١٢ مليار عام ليس إلا - وأيا كان الرأى الصحيح فالألف سنة التى مرت على مولد السيد المسيح، والألف الأخرى التى توشك على الانتهاء.. ليست هى كل عمر الدنيا. وبالرغم من إدراك العبدلله لهذه الحقيقة.. إلا أننى بدأت النظر من جديد فى شعار المرحوم جدى. والسبب هى التطورات الأخيرة التى حدثت على مستوى العالم، على رأس هذه التطورات فشل محادثات السلام فى يوغوسلافيا ، مما يعنى استمرار تورط الدول الكبرى فى مستنقع البلقان.

وأى خطأ فى الحساب على مسرح البلقان قد يؤدى إلى حرب عالمية، وإذا نشبت مثل هذه الحرب سيكون جدى الشيخ خليل هو أعظم متنبىء فى التاريخ ، هناك سبب آخر لتشاؤم العبدله ، هو استمرار القصف المتبادل فى كشمير، والخوف أن يتطور القصف بالمدافع إلى قصف بالقنابل النووية، وإذا حدث هذا - لا قدر الله - فستكون القارعة وما أدراك ما القارعة - لأن الأمر لن يقتصر على الهند وباكستان فإذا انتصرت الهند على باكستان فالصين لن تقف مكتوفة اليدين، وإذا انتصرت باكستان على الهند لن تقف الولايات المتحدة متفرجة - وستكون ليلة سودة على البشرية، وقد يرحل جميع البشر قبل بزوغ شمس العام ألفين وواحد، ويصبح جدى الشيخ خليل هو الوحيد - الذى اكتشف أسرار الكون قبل أى أحد آخر- ولكن - هل صحيح أن العبدله يؤمن بنبوءة جده الشيخ خليل؟ - الواقع اننى غير مؤمن بها ولكنى فقط متشائم واعتقد ان العالم بالرغم من كل شىء سيشهد عصرا جديدا جميلا.. أجمل من العصر الذى عشناه ، عصر جديد لن يشهد رجالا من أمثال بينوشيه أو نتانياهو أو باتسيتا أو بوكاسا. عصر تحتضنه التيارات الديمقراطية ، وها هى بشائره تشرق على العالم الآن - عهد جديد فى إندونيسيا، ونظم جديدة فى امريكا الجنوبية وهدوء نسبى فى الجزائر. وانتخابات حرة وفوز ساحق للسود فى جنوب إفريقيا، ووصول مشكلة يوغوسلافيا إلى ردهات الأمم المتحدة، ورفع الحصار عن ليبيا - وعقبال العراق وتحرير الجولان والانسحاب من القدس الشرقية ، ولقد تنبأ الشيخ أحمد يس بانهيار دولة إسرائيل وسقوطها فى عام ٢٠٢٧ على وجه التحديد، والعبدله يوافقه على ذلك - ولو تحقق ما نتمناه سيكون القرن الحالى هو أعظم قرن تشهده البشرية. قولوا إن شاء الله!..

يا مهلبية .. يا!!

للمرة العاشرة على الأقل أريد أن أقول للسيد صفوت الشريف وزير الإعلام إن هدفنا الوحيد هو تطوير العمل الإعلامى لكى يصبح فى المقدمة، وليكون لائقا بمصر الدولة ومصر الشعب، لأنه عيب جداً أن يتقهقر إعلامنا بينما يتقدم الآخرون.. وسأضرب لسيادة الوزير صفوت الشريف مثلا ببرنامج (صباح الخير يا مصر) وهو برنامج معلب ويشبه الأطعمة المحفوظة ، نشرة أخبار فى البداية، نشرة مرت على السيد المدير والسيد الوكيل والسيد المراقب والسيد رئيس الوردية، ثم فقرة زراعية، والنشيد الخالد (عاوزينها تصبح خضرة) ثم فقرة المرور فى القاهرة حيث (الكثافات) المرورية ثم الفقرة الطبية إلى آخر فقرات البرنامج التى أصبحت مثل النكت القديمة التى لا تجد من يضحك لها.

وأقول لسيادة الوزير وللسادة الذين معه، الفقرات كلها حلوة وممتازة ولكنها ليست فى مكانها الصحيح، خصوصا وبرنامج صباح الخير يا مصر يذاع على القناة الفضائية، والفقرة الزراعية تصبح مفيدة جدا لو أذيعت فى قناة طنطا أو قناة الصعيد، ولكن ما ذنب المشاهدين فى لندن وروما لمشاهدة برنامج عن زراعة العنب؟، أو معرفة أحسن الطرق لزراعة الكوسة؟ ثم... برنامج المرور فى القاهرة، برنامج مفيد ومطلوب ولكن فى الإذاعة ، ومكانه الوحيد إذاعة القاهرة الكبرى، وفائدته الوحيدة أن يصل إلى سائقى السيارات فى الصباح الباكر، ليعرفوا حالة المرور والنقط التى تعانى من (الكثافات) والنقط الأخرى التى تنعم بالسيولة، أما إذاعته عن طريق التليفزيون فليس له أى معنى، خصوصا إذا علمنا أنه يذاع عبر القناة الفضائية، وماذا يهم المشاهد فى روما أو باريس؟ إذا كانت هناك كثافات فى محور شارع الازهر، وسيولة مرور تحت نفق شبرا، إن إذاعة مثل هذا البرنامج سيكون فى متناول ست البيت وأرباب المعاشات وبعض الأطفال الذين لم يصلوا بعد إلى سن الدراسة، والذين لن يغادروا بيوتهم فى هذه الساعة إلا بسبب حادثة أو كارثة أو وقوع زلزال من نوع زلزال تركيا.

ثم هذه الفقرة التى تستضيف الدكتور ماهر مهران الذى كان وزيراً للسكان ثم تحول بعد ذلك إلى وزارة أصحاب المساكن، الفقرة ممتازة ولكنها تصلح لبرنامج المرأة، أما إذاعتها الصبح بدرى فهو عمل غير لائق، لأن الحديث فى الحلقة يدور ويلف فى محيط الحمل والوحم والحبل السرى والمشيمة، والكلام بالتفاصيل حول هذه الأشياء قد يصيب المشاهد بالقرف! .

الفقرة الوحيدة التى تناسب برنامج صباح الخير يا مصر هى الفقرة الرياضية.. و.. لأن الحلو مايكملش فقد ظهرت الفتيات فى البرنامج فى زى غريب يجعلك تتصور أنه برنامج من وضع حكومة طالبان، وتعطيك انطباعا بأن المشرفين على هذا البرنامج هم من أعضاء «جماعة الناجون من النار»، مع أن هذا البرنامج يذاع مثله فى جميع تليفزيونات العالم، فى دول أوربا يذاع البرنامج بواسطة فتيات زلط ملط، وفى بلاد أخرى يظهرن فى ملابس

رياضية نظيفة ولائقة، ولكن فى تليفزيون بلدنا فقط تظهر فتيات الرياضة فى ملابس أشبه بالأشولة أو الجونيات باللهجة العراقية!.

إن البرنامج كله فى حاجة إلى إعادة نظر، وأرجو ألا يغتر المسئولون عن التليفزيون بقصائد المديح التى ينظمها بعض المتعاملين مع البرنامج لأن أغلبها غير صادق وغير حقيقى، والغريب أن قصائد المديح تأتى أحيانا من رجال محترمين مثل الدكتور ميلاد حنا الذى صرح ذات صباح ومن خلال فقرات البرنامج قائلا: «برنامج صباح الخير يا مصر أفضل عشرات المرات من البرنامج الذى حمل الاسم نفسه فى تليفزيون لندن وتليفزيون نيويورك»، وهو كلام غير دقيق بالمرة، وخطوة مباركة التى أقدم عليها صفوت الشريف بتقديم وجوه جديدة من بين المذيعين والمذيعات، ولكنى أقول للسيد الوزير.. إن تغيير الوجوه الجديدة لا يعنى التغيير فى الملامح، ولكن يجب أن يشمل التغيير سلوك هذه النماذج من الأجيال الجديدة، ولكننى فوجئت بالمذيع الجديد يرتدى البدلة والكرافتة ويتحدث بالطريقة نفسها التى يتحدث بها الآخرون، كنت أتصور أننى سأرى مذيعا جديدا يرتدى القميص والبنطلون مع بلوفر صوف مثلا، وان تكون اسئلته للضيوف أكثر حدة أو أكثر تحدياً، أن تكون أسئلة المذيعة الشابة أقصر وأذكى، ولكن الذى حدث بالفعل أن الفرق الوحيد كان فى السن، البنت أصغر سنا والولد أكثر شبابا ولكن الأسلوب واحد، والسؤال يندرج تحت يافطة (اللت والعجن) وهناك حاجة أيضا إلى تغيير شامل فى برامج القناة الفضائية، وسأضرب للوزير نموذجا لبرنامج واحد اسمه (إبداع) وربما اسمه (لحظة إبداع) ذات مساء فى الصيف الماضى انتظرت البرنامج لكى أرى كيف يفكر فلاسفة التليفزيون وعباقرته، وجاءت اللحظة وياداهية دقى، مندوب اعلانات لا يجيد كتابة سطرين اثنين فى أى مجال من مجالات الكتابة، كان مندوب الإعلانات إياه هو المبدع الذى اختاره التليفزيون ليقدمه لجمهور المشاهدين على القناة الفضائية، والكارثة الكبرى أن السيد مندوب الإعلانات راح يتكلم ويثرثر حول لحظات الإبداع، وكيف أنه يحب سماع الموسيقى لحظة هبوط الوحى عليه، ويفضل الجلوس فى حديقة غناء حيث تغريد الطيور وتفتيح الزهور، وفى النهاية سألته الست المذيعة النشيطة، هل ننتظر منك عملا إبداعيا فى المستقبل القريب؟ وضحك مندوب الإعلانات النشيط وأجاب فى تواضع، إن شاء الله، فيه فكرة قدامى ولسه أنا باجرى وراها، وربما تصور الأستاذ إياه أن الأفكار من صنف الحرامية وأن على المبدع أن يجرى وراها لتسليمها إلى الشرطة! .

وأقول لسيادة الوزير، هذا البرنامج خطير جدا على الأمن القومى، لأن مصر فيها خمسة آلاف مبدع على الأقل، من بينهم شبان ظهروا حديثا ويحتاج كل منهم إلى من يشجعه ويأخذ بيده، فإذا شاهد برنامجا من هذا النوع، شعر المبدع الشاب بالإحباط وبأنه مهما أبدع ومهما اجتهد فستكون الأولوية والأفضلية للسيد مندوب الإعلانات ، وأسأل من باب الجهل بالأشياء.. كم يدفع مندوب الإعلانات من تحت الترابيزة؟، لكى يظهر فى برنامج إبداع؟ رأسه برأس نجيب محفوظ وأنيس منصور وأحمد رجب وعاصم حنفى وغيرهم من المبدعين! وهل ما أفكر فيه صحيح؟ أم أن الجهل والعمى الحيسى وعدم التقدير وعدم الفهم هو الذى جعل حضرات المسئولين عن برنامج (إبداع) لا يعرفون الفرق بين المبدع ومندوب الإعلانات.

إذا كانت هذه هى الحقيقة، وإذا كانْ كله عند بتوع التليفزيون صابون، فالطم على خدك بشقافة وقول معايا وبالصوت الحيانى.. يا مهلبية يا.. يا برامج يا!!..

حواديت شركة بوينج

شركة بوينج الأمريكية شركة عملاقة بإنتاجها وبرأسمالها وبحجم العمالة فيها، ويكفى أن تعلم أن أكثر من ٦٠ فى المائة من حجم الأسطول التجارى الجوى الذى يحلق فى فضاء الكرة الأرضية هو من إنتاج الشركة العملاقة، لكن ... «ياميت ندامة على اللى حب ولا طلشى» تصرفات بوينج تجعلها عملاقة من نوع اتحاد شركات الحاج فتحى الريان والحاج السعد، إنها مسئولة عن إنتاج الطائرات فقط، ولكن سقوط الطائرات أو تفجيرها فى الجو فليس لها علاقة به، فلابد أن يكون وراء هذه الحوادث مؤامرة أو عمل تخريبى أو عمل إرهابى أو أى عمل حد عامله ورابطه على رأس قرموط يسبح فى مياه ترعة المريوطية، آخر تفانين الشركة العملاقة هو موقفها من سقوط الطائرة المصرية فى مياه المحيط الأطلنطى، وآخر تفانين الشركة الأمريكية العملاقة هو الزعم بأن الطائرة سقطت بسبب مشاجرة حامية نشبت بين الطيار ومساعده داخل (قمرة) القيادة، وهناك شواهد كثيرة تؤكد هذا الظن، فما أكثر نشوب المشاجرات بين سائق الأوتوبيس والكمسارى فى شوارع القاهرة، وهى مشاجرات تؤدى غالبا إلى سقوط الأوتوبيس فى نهر النيل أحيانا وفى ترعة الاسماعيلية أحيانا، وزعمت الشركة العملاقة أيضا أنه ربما لم تنشب خناقة بين الطيار ومساعده، ولكن الأكيد أن مشاجرة ما نشبت داخل قمرة القيادة، وربما اقتحم أحد الركاب حجرة القيادة وانهال ضربا بأحد الكراسى على نافوخ الكابتن الطيار، وربما كان السبب هو غضب الراكب من الطيار لأنه أمر بمنع التدخين ساعة الإقلاع، وربما بسبب أنه لم ينطق بالكلمات المناسبة لتحية الزبائن الجالسين فى الخلف فيقول لهم مرحباً بهم .. «مسا التماسى ياورد قاعد على الكراسى» وتهمس الشركة عن طريق وكلائها أن لديها تقريراً دفعت للحصول عليه دم قلبها يثبت أن مثل هذه المشاجرات منتشرة فى أغلب قهاوى مصر، وأن قهوة واحدة شهدت فى عام ١٩٩٨ «٣٠٠ خناقة» بما يقترب من خناقة واحدة كل يوم تقريباً، وبالرغم من تكذيب التسجيلات فى الصندوق الأسود لمزاعم شركة بوينج، إلا أنها مازالت تردد مزاعمها وأكاذيبها، تماما كما ظل الحاج السعد يردد حتى بعد انكشاف أمره أن شركته العملاقة وحدها هى التى يتوقف على نشاطها أمن مصر الغذائى والسياسى والاجتماعى، وإذا كانت مزاعم الحاج السعد مدبرة، لأن انكشاف أمره سيؤدى به إلى العودة مرة أخرى إلى عالم الصياعة والضياع، فما هو عذر

شركة بوينج العملاقة التى تبيع طائرات كل عام بالشئ الفلانى، وتكسب كل عام كبشة مليارات؟، الحقيقة أن ما يدعو شركة بوينج إلى الكذب هو السبب نفسه الذى يدعو الحاج السعد، فالمنافسة فى سوق الطيران رهيبة وخطيرة ومتوحشة أيضا، وربما هى أكثر وحشية من المنافسة التى كانت قائمة بين الحاج الريان والحاج سامى على حسن فى سوق الاتجار بالعملة، وهناك منافسة قاسية داخل أمريكا نفسها من شركات تنتج طائرات مختلفة، ولكن المنافس الرئيسى هو الشركة الأوربية التى تنتج طائرات (إيرباص) وحوادث طائراتها أقل بكثير من حوادث طائرات البوينج، وهى تلقى الاضطهاد فى أمريكا بالذات وقد تمثل هذا الاضطهاد فى منع طائرة الكونكورد من الهبوط فى مطارات الولايات المتحدة بحجة أن صوتها يصيب الناس بالإزعاج . مع أن الطائرة أنتجت خصيصا للسفر إلى الولايات المتحدة عبر الأطلنطى، لسرعتها ولأنها تختصر المسافة إلى نصف المدة التى تستغرقها الطائرات النفاثة العادية، مما اضطر الشركة الأوربية إلى وقف إنتاج هذا النوع من الطائرات، خصوصا بعد إحجام شركات الطيران عن شراء هذا الطراز بالذات!، ولكن لحسن الحظ فإن أعضاء هيئة الخبراء التى تتولى التحقيق فى مأساة الطائرة المصرية ليسوا موظفين فى شركة البوينج، كما أنهم بالتأكيد ليسوا مرتشين من الصنف المؤمن بالحكمة الخالدة .. «يا بخت من نفع واستنفع!»، ولذلك اضطر كبير المحققين إلى أن يصرخ فى وجه المسئولين عن شركة بوينج ناصحا إياهم بالكف عن هذا الهراء الذى يكررونه ويعيدونه بالرغم من الأدلة الواضحة التى ظهرت من خلال الصندوق الأسود .

والعبد لله ينصح اللواء الريان رئيس شركة مصر للطيران إذا ثبت أن مأساة الطائرة كانت بسبب خلل فنى من صنع الشركة، وإذا ثبتت هذه الحقيقة فالواجب يقتضينا أن نعامل شركة الطيران المنتجة معاملة شركات السجائر. صحيح أن المدخن يقبل على التدخين بمزاجه، وراكب الطائرة يركبها براحته، ولكن المحاكم الأمريكية حكمت لبعض المدخنين الذين أصيبوا بالسرطان بمبالغ على سبيل التعويض تجاوز بعضها المليار دولار .

أقول هذا القول وأنا مقتنع تمام الاقتناع بأن الطائرة المصرية هوت فى المحيط بسبب عمل تخريبى نذل وحقير وستكشف لنا الأيام أن وراء سقوط الطائرة عمل نذل وجبان ووسخ» .. ولكن ... وبالرغم من أننى متأكد من هذا الأمر، إلا أننى أقول بأننا مسئولون أيضا، مسئولون بتراخينا وإهمالنا وعدم انضباطنا وعدم أخذ الحيطة والحذر، بالرغم من معرفتنا بأن عدونا كلب وخنزير ولا يتورع عن القيام بأى عمل.

رضوان الله على شهدائنا، وغفر الله لنا جميعاً ! .

المركزية والشاويش عطية !

يقولون إن المخابرات المركزية الأمريكية تسمع دبة النملة فى أحراش بوليفيا، وتعرف ماذا أكل الصرصار فى مستنقعات الهند، ولكن يبدو أن الحقيقة تخالف هذا الزعم وأنها مخابرات غلبانة ونظرها على قدها ، والدليل على ذلك هو موقف الإدارة الأمريكية المنحاز لإسرائيل فى مسألة القدس، ألا تعلم المخابرات الأمريكية أن القدس المحتلة هى بقعة مقدسة لدى المسلمين؟، ليس المسلمين العرب فقط، ولكن عند جميع المسلمين فى شتى بقاع الأرض.. والمسلمون عددهم اليوم مليار مسلم ومنهم واحد فقط أجبر المخابرات المركزية على أن تلطم الخدود وتشق الجيوب كما كان يفعل النسوان فى أيام الجاهلية. هذا المسلم اسمه ابن لادن والمسلمون يختلفون حوله الى ثلاث جبهات، جبهة تتبنى وجهة النظر الأمريكية ، وجبهة على الحياد، وجبهة ثالثة تؤيده وتدعو له بالتوفيق، ولكن الضغوط الأمريكية التى تهدف الى إجبار الفلسطينيين على التنازل عن القدس لمصلحة اسرائيل لو كتب لها النجاح، سيجعل مائة مليون مسلم ارهابيا بالمفهوم الأمريكى، فشر ابن لادن، لن ينعم المسلمون بالنوم والقدس يرفرف عليها علم دولة اسرائيل، وتستطيع الإدارة الأمريكية أن تبقى بعيدا عن هذه المشكلة وأن تدع اسرائيل تعالجها بنفسها لكى تكون المعركة محصورة بين المسلمين واسرائيل ، وقد تصورت أن الرئيس كلينتون يعرف هذه الحقيقة وأنه سيغسل يده من مسألة القدس، الا أن ما انكشف من خفايا كامب ديفيد يؤكد أن كلينتون كان أكثر حماسا من باراك فى اقناع عرفات بالتنازل عن القدس، ليس هذا فقط، ولكن الرئيس أكد موقفه هذا فى حديثه التليفزيونى الذى أذيع فى اسرائيل، حين أعلن على الملأ أنه يفكر فى نقل السفارة الأمريكية الى القدس قبل نهاية هذا العام، ثم أعقبته السيدة الأولى هيلارى المرشحة فى انتخابات الكونجرس عن دائرة نيويورك اليهودية حين أعلنت فى تصريح لها بأنها من أنصار نقل السفارة الأمريكية الى القدس قبل نهاية العام.

عجايب.. على رأى جدى الشيخ خليل .. إيه الحكاية؟! .

هل تتصور الادارة الأمريكية أن القدس هى مخيم من مخيمات الهنود الحمر تسكنها قبائل الزعيم (الثور الجالس) وأنها مسألة هينة، يتولى الجيش الأمريكى إبادة سكان المخيم ويتولى بعد ذلك طرد (الثور الجالس) وأتباعه الى مستنقعات كندا ؟.

لقد حشرت الإدارة الأمريكية نفسها فى مشكلة ستكون لها آثار بعيدة فى السنوات القادمة، على رأس هذه الأثار احراج حلفاء أمريكا فى المنطقة العربية وعلى امتداد العالم الاسلامى، وسيدفع هذا الموقف الأمريكى جميع الذين يقفون موقف الحياد بين العرب والمسلمين الى تأييد من تصفهم الادارة الأمريكية بالارهابيين، لأنه فى حالة فصل القدس وتسليمها للدولة اليهودية سيتمنى كل مسلم أن تسنح له ولو فرصة واحدة ليتحول فيها الى إرهابى لينتقم من هؤلاء الذين حرموا المسلمين من الصلاة فى المسجد الأقصى، إن هذا الموقف الأمريكى فى كامب ديفيد نفخ الروح فى جثة اليمين الاسرائيلى، الى الدرجة التى تمكن فيها شخص مجهول يدعى قصاب من هزيمة شمعون بيريز مرشح حزب العمل لمنصب رئيس اسرائيل، كما عاد الجنرال شارون وانهمك فى نصب كمائنه لحكومة باراك تمهيدا للقفز على منصب رئيس الوزراء وهو الأمى سياسيا ، لكى يلقى على العرب دروسه الرفيعة وتعاليمه الغالية كما فعل أول أمس، حين أعلن أن القدس الموحدة هى العاصمة الأبدية لإسرائيل وأن على العرب أن يلقنوا أبناءهم هذه الحقيقة فى المدارس!، أن نجاح الليكودى المتطرف قصاب برئاسة اسرائيل تعنى أن اسرائيل تستعد وتتأهب لمرحلة جديدة من الصرا ع الدامى مع العرب، وليس أمام العرب الآن إلا تصفية الخلافات ولم الشمل وتوثيق العلاقات مع ايران ومع روسيا ومع باكستان باعتبارها صاحبة مصلحة فى موضوع القدس، وعلى لجنة القدس برئاسة الملك محمد السادس أن تجتمع فوراً بعد أن كشفت أمريكا عن نياتها بشأن القدس، وعلى المؤتمر الاسلامى أن يدعو إلى عقد قمة عاجلة لبحث موضوع القدس .

ولكن أخطر ما كشفت عنه قمة كامب ديفيد هو الموقف الحقيقى للادارة الأمريكية، والمفروض أن أمريكا هى الوسيط المحايد وهى الشريك الكامل فى عملية السلام، ثم جاء مؤتمر كامب ديفيد لينفى هذه الحقيقة وليزيح اللثام عن الوجه الأمريكى الحقيقى، فإذا بأمريكا هى الشريك الكامل لاسرائيل والخصم للفلسطينيين والعرب والمسلمين أيضا، يا له من خطر شنيع ترتكبه الادارة الأمريكية بنقل سفارتها الى القدس العربية المحتلة، وبعد ذلك يزعمون أن المخابرات المركزية تسمع دبة النملة فى بوليفيا وتعرف ماذا أكل الصرصار فى مستنقعات الهند، العبد لله يعتقد بعد الموقف الأمريكى من قضية القدس أن المسئول عن شبكة المخابرات المركزية هو الشاويش عطية .

●●●

أول أغسطس هو ذكرى غزو العراق للكويت، وهو خطأ فادح ارتكبه حزب البعث العراقى ضد دولة عربية مسالمة لم تتأخر فى أى وقت عن المشاركة فى المعارك العربية الكبرى، ويحار العقل أمام أسئلة كثيرة حول هذه المناسبة، لماذا وقع الغزو؟ وماهو الهدف بالضبط؟، وهل كان

حزب البعث العراقى يجهزّ جيش العراق بكل أنواع الأسلحة من أجل غزو الكويت؟ وهل الكويت هى العدو الحقيقى لأمة العرب؟ التى هى فى شعارات حزب البعث العراقى أمة واحدة ذات رسالة خالدة .

إنه خطأ فادح بدون شك، ولكن مرت عشر سنوات على ارتكابه والشعب العراقى محاصر ومعزول عن أمته وعن العالم كله ، وأعتقد أن عشر سنوات هى مدة أطول من اللازم، خصوصا أن الذى يتحمل العقوبة ويدفع الثمن هو الشعب العراقى الذى لم يكن له ذنب فيما حدث، وأعتقد أن من واجبنا كعرب أن نرفع المعاناة الآن عن أطفال العراق ونساء العراق وشيوخ العراق، ويكفى ماعانوه خلال عشر سنوات كاملة، منى يفهم العرب أن القدس فى طريقها الى الضياع بينما نحن نشترك فى عزل العراق ومقاطعته، وياشعب العراق.. قلبى معك والشعب العربى معك والله معك.. معك أنت وليس مع حزب البعث العراقى.

عفوا .. حضرة المحافظ !

كانت تهم الخيانة والعمالة تصدر فى الماضى من بعض صياع السياسة ودراويش اليسار، وكانوا يتسرعون بالقاء هذه التهم ضد من يخالفهم الرأى أو يسخر من دعاواهم، ولكن هذه التهم فقدت معناها بسبب سوء استعمالها، ولكن لأن كل شىء اصابه التغيير فى هذا الزمان، فقد انقلب الحال، فأصبح الذين يوجهون مثل هذه الاتهامات مسئولين كبارا، المفروض أن كلامهم يوزن بميزان الذهب وليس بميزان الدبش والزلط، وأصل الحكاية ان جريدة «الأخبار» الغراء نشرت فى عددها الصادر يوم الأحد الماضى بتاريخ ٢٠٠٠/٦/٢٥ وعلى الصفحة الثانية تحقيقا صحفيا استغرق الصفحة كلها عن مشروع فوسفات ابو طرطور.. وتضمن التحقيق الصحفى آراء عدد من أعضاء مجلس الشورى وبعض العلماء وبعض رجال الأعمال، وكل منهم أدلى برأيه فى المشروع وقد تقدمهم جميعا السيد المهندس الدكتور مصطفى الرفاعى وزير الصناعة.. وقد حرص العبد لله على قراءة آراء العلماء ومنهم الدكتور رجائى زغلول الاستاذ بهيئة الطاقة الذرية، وجاء على لسانه أن المشروع ناجح جدا ويمكن بعد تشغيله استرداد ما أنفقته الدولة خلال عشر سنوات فقط اذا تم الاكتفاء باستخراج المواد الصناعية النادرة من الفوسفات، ويكفى أن تعلم - هكذا قال الدكتور - أن ٣٠٠ ألف طن من ركاز الفوسفات يمكن أن نفصل منها ١٢ طنا من اليورانيوم تصلح كوقود نووى لمفاعل قوته ٥٠ ميجا ينتج الكهرباء لمدة عام، أما الدكتور أحمد أمين مدير معهد التبين للدراسات المعدنية فقد كشف عن حقيقة نيات روسيا التى أنشأت المشروع والتى كانت تهدف الى الحصول على ٨٥ فى المائة من الانتاج مقابل تقديم المعدات بسبب وجود المواد النادرة فى الفوسفات المصرى ، ويكفى وجود اليورانيوم أو مادة (اللانثنايت) التى يباع الكيلو الواحد منها بألف وخمسمائة دولار، لفت نظر العبد لله ماجاء على لسان السيد محمد رجب زعيم الأغلبية بمجلس الشورى قال: لن أحكم على المشروع بشكله النهائى الا بعد الانتهاء من دراسة دولية محايدة تؤكد أن المشروع يسير على الطريق الصحيح، ، ولكنى أنوه - السيد محمد رجب هو الذى ينوه - أن اسرائيل تضغط فى الساحة الدولية لكى يفشل المشروع بسبب ماعرف عن وجود اليورانيوم فى فوسفات ابو طرطور!.

وكل هذه الآراء لها حجيتها ولها احترامها، ولا حجر على رأى ولا اعتراض على اجتهاد، ولكن ساءنى جدا ماجاء على لسان مسئول هو السيد اللواء سلمى سليم محافظ الوادى الجديد، فماذا قال سيادة المحافظ، انتقد بشدة كل الذين طالبوا بوقف نزيف الخسائر التى

تكبدتها الدولة فى ابو طرطور، وهذا حقه بكل تأكيد لا أناقشه فيه ولا اعتراض عليه، ولكنه فجأة انتابه حماس شديد وأعلن أن أى (وطنى) يهاب أن يطالب بفك صامولة واحدة فى المشروع رغم ما تعرض له من خسائر، وأضاف .. مصر لديها العلماء ورجال الأعمال الوطنيون القادرون على تنظيم المشروع واستعداله، ولابد من مواصلة المشروع وإيجاد بديل لاستكمال التمويل اللازم للتوجه الجديد، وسنواجه المشكلات بعلم وجدية (وبوطنية) لأن هناك (جهات أجنبية) لا تريد للمشروع أن يكبر أو يستكمل، وأسأل السيد المحافظ سلمى سليم.. ماهى هذه الجهات الأجنبية التى لاتريد للمشروع أن يكبر أو يستكمل؟ والاجابة عن هذا السؤال تهم العبد لله كثيرا، لأن العبد الله كان أحد الذين تصدوا لهذا المشروع الفاشل الذى كلف خزانة مصر غاليا. وقمت بحملة عاصفة ضد المشروع وضد الذين انفقوا او بددوا المليارات على المشروع، وعلى خط سكة حديد لا يحقق سوى ٢٠٠ جنيه ايرادا شهريا، ولما كان العبد لله هو رأس الحربة ضد مشروع ابو طرطور ، فالعبد لله حسب نظرية سيادتك من عملاء الجهات الأجنبية إياها، واعترف لك ياسعادة المحافظ اننى على علاقة بالموساد وبالمخابرات البريطانية وبـ"C.I.A" الأمريكية، فأؤكد لك ياسيدى المحافظ الوطنى، أننى لم أسمع من أى جهة أجنبية أنهم يتربصون بمشروع أبو طرطور، واذا كان هناك تربص من هذه الجهات، فهو بالتأكيد محاولة من جانبها لكى نمضى قدما فى المشروع إياه، ننفق عليه من خزانة الدولة حتى يتحول المشروع الى جرح يظل ينزف الى مالا نهاية، واقول لك ياسيدى المحافظ، العبد لله يعلم أنك رجل وطنى ومشهود لك بالانضباط ورجاحة العقل، ولكننى أؤكد لك ياسيادة المحافظ أننى وكل الذين عارضوا مشروع ابو طرطور لا يقلون وطنية عن سيادتك، وهذه الوطنية هى التى دعتنا الى معارضة هذا المشروع الغبى الذى كان السبب فى إهدار ٦ مليارات جنيه ونصف المليار حار ونار فى جتت الذين بددوها وهبروا جانبا منها علمه عند ربى.

ويبقى بعد ذلك أن سيادتك محافظ فى محافظة نائية ومشكلاتها كثيرة، واسأل الله ان يوفقك فى تنمية المحافظة وحل مشكلاتها، ولكن ليس عن طريق محاولة احياء مشروع ابو طرطور ، ثم انك ياسيدى ليس مفتى الديار الوطنية وليس من مسئولياتك توزيع تهم الخيانة والعمالة على الآخرين، وهى تهم فقدت معناها لسوء الاستعمال ! .

●●●

الحكم الذى صدر ضد نواب القروض بالسجن مع الأشغال الشاقة لمدة عشر سنوات، هو وسام على صدر نظام حسنى مبارك وهو شاهد على أنه لا يوجد أحد فى مصر فوق القانون، والدليل على ذلك أن أحد النواب المحكومين كان وزيرا كما أنه كان من الضباط الأحرار ، وأرجو أن يكون هذا الحكم درسا مفيدا للسادة المحترمين من أعضاء مجلسى الشعب والشورى، لأن هذا الحكم يعنى أنه لا عاصم اليوم من أمر ربى الا لمن سلك طريقى الاستقامة والطهارة، وأن الحصانة لا تمنع وقوع البلاوى ، وعشمى أن يكون هذا الحكم هو الشعار الذى يرفعه الجميع فوق الرءوس، وأن نهتف جميعا من تحته: من هنا نبدأ.

والجنسية .. إرهابى !

صحيح.. بطلوا ده واسمعوا ده.. بعد أن صدعوا أدمغتنا بالانترنت والسماوات المفتوحة وثورة المعلومات فجأة ألغوا مرحلة من مراحل سباق داكار ـ القاهرة لأن مجموعة من الإرهابيين العرب رصدتهم الأقمار الصناعية وأجهزة طائرات التجسس وأكدت المعلومات الوثيقة التى جاءت عبر آخر صيحة فى أجهزة التجسس، أن الإرهابيين يتجولون فى شمال النيجر بحرية بالغة ويستخدمون فى تنقلهم سيارات حديثة وقوية، وأن الهدف من العملية الإرهابية التى جاءوا إلى النيجر من أجلها هو خطف أو قتل الأبطال المشتركين فى سباق داكار ـ القاهرة ـ وطبعا لأن أجهزة التجسس الحديث لا تكذب، وأنباء الأقمار الصناعية لا تخر الميه، فقد اتخذت جميع الإجراءات لحماية نجوم سباق داكار ـ القاهرة وتقرر إلغاء مرحلة النيجر من السباق وحطت الطائرات الضخمة على أرض مطار النيجر حملت سيارات المتسابقين وسيارات الحكام وامتعتهم وفنادقهم المتنقلة ، وحطت الطائرات بكل شىء على أرض مطار ليبيا حيث تقرر استئناف السباق فى مرحلته الأخيرة من حدود ليبيا إلى مدينة القاهرة.

والحق أقول إن الإنجاز الطيب الرائع الذى قامت به بعض الدول الكبرى فى إفشال المخطط الإرهابى نال إعجاب الكثيرين، فهذا العمل هو مثل طيب للنظام العالمى الجديد وأجهزته الفعالة، ومن يدرى؟ لولا طائرات التجسس ولولا الأقمار الصناعية لنجح الإرهابيون فى تنفيذ مؤامرتهم الدنيئة ولخسر العالم عشرات من أبطال سباق السيارات الدولى، ولكن الله سلم، وبعد أيام قليلة استأنف المتسابقون سباقهم ووصلوا جميعا إلى خط النهاية بجوار الأهرام.

وفى القاهرة أقاموا الأفراح والليالى الملاح ووزعوا الجوائز والشيكات ووضعوا الدرجات وانفض المولد على خير، ولكن لم تكد تمضى أيام قليلة حتى أعلن بأن أخبار اجهزة التجسس اتضح أنها فشنك وأن الأقمار الصناعية اصابتها الشيخوخة وأن الإرهابيين الذين رصدتهم هذه الأجهزة فى شمال النيجر وحذرت من ممارساتهم وأفعالهم الإجرامية ما هم فى الحقيقة إلا مجموعة من السياح العرب يقومون بالصيد فى شمال النيجر وهى منطقة مشهورة بوجود الكثير من الحيوانات البرية.

غريبة.. ليس فى المسألة إرهاب ولا إرهابيين ولكن ما سجلته الأقمار الصناعية وأجهزة التجسس لم يكن إلا نوعا من أنواع الرياضات، ربما أقدم رياضة عرفها تاريخ الإنسان، ولكن السؤال الذى يطرح نفسه بقوة هو كيف اخطأت هذه الأجهزة الحديثة التى تكلفت المليارات؟، وهل هناك احتمال أن تقع فى خطأ آخر قاتل فتنذر الإدارة الأمريكية بأن الصواريخ الروسية انطلقت وفى طريقها الآن إلى الأراضى الأمريكية، أو تفعل العكس فتنذر الأجهزة الروسية بأن أمريكا فتحت أبواب جهنم وأطلقت جميع أسلحتها النووية وهدفها إبادة روسيا وشطبها من على الخريطة؟ وهو سؤال وجيه ولكن العبدلله يستبعد وقوع مثل هذا الخطأ القاتل، أما الخطأ الذى وقعت فيه الأجهزة فى عملية النيجر، فهو خطأ وارد ومنطقى ومعقول، فهؤلاء العلماء الذين صنعوا هذه الأجهزة عندهم حساسية شديدة من العرب ووجود أى عربى فى أى مكان معناه وجود إرهابى فى الجوار، وقصة الطيار الأمريكى الذى هبط بطائرته اضطراريا ولم يكن هناك أى داع لهذا العمل إلا وجود بعض الركاب العرب على ظهر الطائرة.

طيب.. ركاب عرب وفهمنا.. هل قاموا بتهديد احد؟! هل صوبوا فوهة المسدس إلى رأس الطيار؟ .. لا لم يحدث شيء من هذا ولكن كونهم مجرد عرب هو دليل كاف على أنهم إرهابيون وأجهزة التجسس معذورة بكل تأكيد فهم ليسوا عربا فقط، ولكنهم يرتدون الزى العربى أيضا علامة التحدى وعدم المبالاة وليس ببعيد أن يأتى يوم تكتب فيه فى خانة الجنسية صفة إرهابى بدل عربى وتصبح اسماء الدول فى الواقع وفى نظر الغرب الجمهورية الإرهابية المتحدة، الجمهورية الإرهابية، الإرهابية على وزن الجماهيرية فالغرب المسلح من رأسه إلى ساسه على رأى ستى هدية يشعر بالذعر من أى عربى لدرجة ان زعيمة العالم الغربى تعيش حالة من الرعب الدائم وتعتبر كل عربى هو قنبلة موقوتة على وشك الانفجار.. وابلغ دليل على الرعب القاتل الذى تعيش فيه هو ما حدث منذ أيام عندما ألقت القبض على مواطن عربى من شمال إفريقيا قادم من كندا ووضعوه فى السجن تمهيدا لمحاكمته، وقالت فى بيان رسمى إنه سيقدم للمحاكمة بتهمة الإرهاب وكشريك لعربى أخر ألقى القبض عليه فى فترة أعياد الميلاد وكان على وشك القيام بعملية إرهابية داخل الولايات المتحدة، ولكن الشيء المضحك حقا أن البيان الأمريكى اعترف بكل صدق أنه لم يثبت ان هذا العربى الذى ألقى القبض عليه عند الحدود الكندية على علاقة من أى نوع بالعربى الآخر الذى ألقوا القبض عليه فى فترة أعياد الميلاد.. الله.. طيب مادام ثبت لديكم أنه لا علاقة له بالمتهم الأول فلماذا القبض والاعتقال والمحاكمة؟، ولكن الحذر واجب طبعا فهناك تهمة مشتركة بينهما وهى ان كليهما عربى، والعربى للعربى كالبنيان المرصوص، كما أنه فى

فترة العولة والخصخصة وآليات السوق تبرز الجنسية العربية كتهمة مستقلة لا تحتاج إلى أدلة أو براهين فأنت عربي.. إذن فأنت إرهابي.. وعلى جميع الجهات الرسمية والشعبية أن تعامله بما يليق.

وا عروبتاه.. ولكن لا سميع ولا مجيب!

●●●

أثبت الولد العجوز عادل إمام أن الدهن فى العتاقى، وليس معنى الدهن فى العتاقى أن أكل البدارة سيىء الطعم أو أن الكتاكيت الشمورت مرة المذاق، ولكن معناه ان عادل إمام موجود بقوة لأن وجوده ضرورى وفى الفن الخبرة لها دور وعادل إمام خبرته بلا حدود ورؤيته السياسية مطلوبة خصوصا فى عالمنا الجديد، وأنت لا تستطيع أن تضحك الناس عدة سنين طويلة بهز الكرش أو تلعيب الحواجب، ولكن أضمن لك أن تظل مضحكا على طول الخط إذا تصديت بالكوميديا لكل متاعب الناس وسلطت الأضواء على كل الأسباب التى تكون حياتهم بالسواد، لأن الكوميديا الحقيقية تنبع من مأساة حقيقية وهذا الشرط ينطبق على مسرحية عادل إمام الأخيرة بودى جارد.. والعبدلله أشفق على عادل إمام عندما قرأت فى الصحف أخبار اعتزامه القيام بدور البودى جارد، وتذكرت على الفور الدور نفسه فى الفيلم الأمريكى الذى يحمل الاسم نفسه، فكيف سيقوم عادل إمام بأداء دور البودى جارد كما جاء فى الفيلم الامريكى وهو نفسه محتاج إلى بودى جارد، ولكنى بعد مشاهدة المسرحية اكتشفت أنهم عالجوا الموضوع بطريقة مصرية ممتازة فهو ليس بودى جارد طولا وعرضا وعضلات ووسامة وخبرة بلا حدود فى ضرب المسدسات والكلاشنكوفات، ولكنه بودى جارد غلاسة وقلة دم وقلة اصل ورزالة بلا حدود، ثم بودى جارد عادل إمام تصدت لحرامية البنوك وهى قضية الساعة الآن فى مصر هؤلاء الذين انتحلوا صفة المستثمرين ومارسوا الاستثمار بفلوس غيرهم وليتهم استثمروها بالشكل السليم ولكنهم استثمروها بشكل يحقق مصلحتهم الخاصة أما مصالح الوطن ومصالح الشعب ومصالح الفقراء ومصالح اصحاب الدخل المحدود إلى آخر هذه الاكليشيهات التى سئمناها ومللناها فهى لا تعنى شيئا عند السادة المستثمرين الجدد، وقد نجح عادل إمام فى معالجة هذه القضية وجاءت مسرحيته بمثابة صرخة احتجاج فى وجه كل الحرامية.

والبنت رغدة قامت بدور حرم الاستثمارى الحرامى بشكل يدعى للإعجاب فهى تختلف مع الحرامى وتتمرد عليه وقد تذهب فى تمردها إلى حد الخيانة، ولكن عندما تصل المسألة إلى حد ضياع المستثمر وضياع الثروة فهى تقف بحزم إلى جانبه ولمع إلى جانب عادل إمام ورغدة الممثل الممتاز عزت أبوعوف فى دور المستثمر الحرامى، كما لمع أيضا سعيد عبدالغنى فى دور الصديق الصدوق للمستثمر الحرامى، كما أعجبتنى المرأة الحيزبون الظريفة التى لا أعرف اسمها ولم أرها قبل ذلك فى أى عمل فنى، أما الولد رامى بن عادل إمام فقد برهن على أحقيته وجدارته واستطاع ان يكتب شهادة ميلاده كمخرج واعد وفنان..

هذا اللاجىء الصيانى !

يبدو أن تغييرا كاملا وعميقا سيشمل أشياء كثيرة فى القرن الجديد، ففى القرن الماضى كنا نعرف اللاجىء السياسى، وهو الرجل المشتغل بالسياسة الذى يلقى عنتا واضطهادا فى بلاده، فيضطر إلى الهجرة ويلجأ إلى بلد آخر ويطلب حق اللجوء السياسى ولكن ها هو القرن الجديد يقدم لنا صنفا جديدا من اللاجئين، ومن حسن الحظ أن يكون طليعة هذا الصنف من اللاجئين مصريا من صلب مصرى وأقصد به الطيار الذى طلب اللجوء إلى بريطانيا وعندما سألت السيدة الفاضلة حرمه عن سبب لجوئه، أجابت بأنه كان دائم الشكوى من الصيانة فى شركة مصر للطيران .. هو إذن يستحق لقب.. لاجىء صيانى، وهى صفة يبدو أنها ستنافس اللاجىء السياسى فى قادم الأعوام، وبالقطع سيكون هناك لاجىء إدارى يعنى موظف زعلان من إدارته، ولاجىء علاوتى، يعنى موظف لم يحصل على علاوته، وأتساءل فى دهشة الأخ الطيار إياه زعلان ومحتج من الصيانة، طيب لماذا لم تتقدم بشكواك إلى وزارة النقل، فإذا لم تنصفك فيمكنك التقدم بشكواك إلى مجلس الوزراء ، فإذا لم يستمع أحد إلى شكواك فيمكنك رفع دعوى حسبة ضد شركة مصر للطيران باعتبارك صاحب مصلحة، ولكن يبدو أن أحلام الأخ الطيار أبعد من مسألة تحسين الصيانة، ويبدو أن الخطوة القادمة بعد اللاجىء الصيانى يجرى التفكير فى إنشاء حزب الصيانة على وزن حزب العدالة، وبالتأكيد ستوافق عليه لجنة الأحزاب وتسمح له بإصدار جريدة يومية اسمها «المصونة».

وإذا كان ما أقوله ضرباً من الهزل، فهل يدلنى أحدكم على الهدف من وراء لجوء الأخ الطيار إلى بريطانيا.

وما هى الجهة المستهدفة من وراء هذه الحركات القرعة؟ من أول الشائعات التى ترددت فى اجهزة الإعلام عن سبب سقوط الطائرة المصرية فوق سواحل امريكا، إلى الصورة التى نشرت فى الصحف الأجنبية، صورة فتاة ألمانية عارية كما ولدتها أمها ترقص على متن طائرة مصرية.

وأخيرا حكاية اللاجىء الصيانى.

وأكرر السؤال مرة أخرى ، ما هى الجهة المستهدفة من وراء هذا «العك» الأزلى؟ هل هى مصر؟! أم هى شركة مصر للطيران؟ .

إذا كانت مصر هى المستهدفة فلا بأس، فمصر فى رباط إلى يوم القيامة. والشجر المثمر

هو الشجر الذى يقذفه الأولاد بالطوب.. أما إذا كان المستهدف هو شركة مصر للطيران، فالعبد لله يعتقد أن وراء هذه الحملة المشبوهة جماعة من المستثمرين إياهم الخالق الناطق كالمستثمرين أبطال مشروع الحديد فى أسوان الذين كشفهم الرئيس حسنى مبارك فى كلمته القصيرة الرائعة أمام جموع المفكرين الذين اجتمع بهم فى معرض الكتاب، هؤلاء المستثمرون الذين كانوا يخططون لاقتراض ٨٠٠ مليون جنيه من أحد البنوك المصرية للمساهمة فى المشروع ثم السداد من دخل المشروع وهى نظرية اقتصادية قديمة اسمها «من دقنه وافتله» ، فالثابت والأكيد أن هناك محاولات كثيرة بدأت منذ فترة طويلة لتصفية الشركة الوطنية وتوزيع التركة على عدد من شركات القطاع الخاص التى تنتحل وظيفة الطيران، ويقول البعض إن هذه الشركات صادقة فى دعواها وإن الهدف من السيطرة على خطوط الطيران هو الحصول على ما خف حمله وغلى ثمنه وهات يا طيران!.

ولدينا نماذج على مثل هذه الشركات.

فقد نشأت شركة طيران أهلية منذ أكثر من عشر سنوات وسيَّرت خطوطا غير منتظمة بين عدد من الدول الأوربية والعربية والقاهرة، وكان هدفها فى الواقع تهريب الماس من بعض البلدان الافريقية.

وهناك شركة اخرى كان مجال نشاطها الطيران التجارى وقد سقطت لها طائرة فى احدى العواصم الافريقية وكشف الحادث عن مأساة لأن الطائرة كانت تنقل حمولة كبيرة من الأسماك من منطقة البحيرات العظمى فى فترة الحرب الأهلية بين رواندا وبوروندى أو على الأصح بين الهوتو والتوتسى، وفى الوقت نفسه الذى انتشرت فيه آلاف الجثث على سطح البحيرات والأنهار هناك مما دفع بأغلب الدول إلى تحريم استعمال هذه الأسماك للاستخدام الآدمى، وحمولة الطائرة التى سقطت كانت من هذه الأسماك الممنوعة دوليا، والطائرة نفسها كانت فى طريقها من افريقيا إلى بلجيكا ليس من أجل بيع السمك فى اسواق أوربا ولكن للقيام بعملية نصب على المسئولين عن السوق المصرى، فوصولها قادمة من بلجيكا يجعل السمك أوربيا وليس افريقيا ولا يجوز الحظر عليه أو منعه من الاستهلاك الآدمى.

مثل هذه الشركات طبعا ستكون السبب فى تعريض سمعة مصر للاهتزاز ووضع سمعة الطيران المصرى فى الحضيض، لأن الطيران «بيزنس» من النوع الثقيل جدا، ولو قارناه بالملاكمة، مثلا فالطيران كبزنس رأسه برأس تايسون وهوليفيلد وهولمز ولويس بطل العالم الحالى، ولا يجوز السماح لشركات من وزن الذبابة أو وزن الريشة بالملاكمة مع أبطال الوزن الثقيل، ولكن إذا لم تكن هناك شركات عملاقة بحق وحقيق.. شركات يحسب رأس مالها بالمليارات.. فأفضل لمصر أن تحتفظ بشركتها الوطنية مع السماح لبعض الشركات الجادة بالعمل إلى جانبها فى مجال الشارتر أو بعض الخطوط الفرعية هنا أو هناك.

والعبد لله كان يتناقش مع الصحفى المصرى الدولى عمرو عبدالسميع مدير مكتب الأهرام فى لندن حول هذا الموضوع بالذات، وسألته السؤال نفسه، من المستهدف من وراء هذه الخرابيط التى تقع بين الحين والآخر؟ هل هى مصر؟! أم شركة مصر للطيران؟!.

وأجابنى عمرو.. يبدو أنهما الاثنان معا.. ولو صحت نظرية عمرو فهى مسألة مريبة وغريبة وينبغى أن نواجهها بكل حزم.. ولكن المؤسف حقا ان بعض هذه الخرابيط مصدرها بعض المصريين الذين شربوا من مائها وأكلوا من زرعها وتنفسوا من هوائها.. ويا مصر.. من أراد بك سوءاً كبه الله على وجهه.. آمين يا رب العالمين.

●●●

العبدلله من المؤمنين بالعروبة والقومية والوحدة من الخليج إلى المحيط، ولكن بعض الأقزام يحاولون إخراجنا من جلدنا، وهؤلاء الأقزام ينتهزون مناسبات هايفة وصغيرة لإجبارنا على الكفر بعروبتنا ووحدتنا وقوميتنا.

والمناسبة الأخيرة كانت مباراة مصر وتونس، ولاعب كرة عربى شاب لايزال جالساً أمام عدسات إحدى القنوات الفضائية العربية وقال فى لغة الواثق والخبير إن نتيجة المباراة محسومة وأن الفريق المصرى سيصبح لقمة سائغة فى فم الفريق التونسى، هل شاهدتم المباراة؟ ، الحقيقة كما شاهدناها لم يكن هناك أى مباراة لا من الجانب المصرى ولا من الجانب التونسى.. وتفنن التوانسة فى النوم على الأرض ولولا العيب لنزل اللعيبة التوانسة ببطاطين شغل المحلة، كما نزلوا «ضرب » فى اللعيبة المصريين بمناسبة وبغير مناسبة، والهدف الذى أحرزوه كان نتيجة لضربة جزاء تختلف فيها الآراء.

أين هى اللقمة السائغة التى ذكرها اللاعب التونسى المعتزل إياه ؟ يا ناس حرام عليكم لا تجعلونا نكفر بالعروبة وبالقومية وبالوحدة، أغرب شىء أن الأخ إياه قال بعد المباراة، لقد انكشفت مصر على حقيقتها، ما هى حقيقة مصر يا شاطر.. التى انكشفت لسيادتك؟

ماذا أقول للكابتن إياه؟ روح إلهى يشفى الكلاب ويضرك!..

السفينة والكابتن سلامة !

الخبر بسيط وعجيب وغريب فى الوقت نفسه ، سفينة عبرت قناة السويس ، وعندما طالبوها بدفع الرسوم ادعت الفقر وزعمت أنها فقيرة وغلبانة وصاحبة عيال ، وكانت النتيجة أنهم حجزوها فى ميناء بورسعيد لحين ميسرة وتسديد الرسوم المطلوبة ، ومرت عدة أشهر والسفينة مركونة فى الميناء ، ولاحظ أحد العباقرة - وما أكثرهم فى الموانئ - أن الميناء لم يعد يحتمل استضافة هذه السفينة الشحاتة ، فأمر بركنها فى الغاطس بعيدا عن حرم الميناء نفسه ، ويبدو أن السيد العبقرى إياه كان يعمل مدرسا فى الزمن القديم ، وبدلا من «تذنيب» الطالب المخطئ ووجهه للحائط عند حجرة الناظر ، كان يصر على تنفيذ العقوبة فى الحوش ، وبالفعل تحركت السفينة من حرم الميناء إلى الغاطس وبقيت هناك عدة أشهر ، ولكن ذات صباح فى الأسبوع الماضى لاحظ بعض العاملين فى الميناء اختفاء السفينة من الغاطس ، وهنا ضربوا أخماسا فى أسداس وحدث هرج ومرج على رأى مترجم روايات أرسين لوبين ، وفكر بعضهم فى استدعاء أحد الدجالين لمعرفة مصير السفينة عن طريق فتح المندل ، وهل غرقت فى قاع البحر ؟ أم اختطفها الجن وذهب بها إلى وادى شنكح ؟ ولم يفصح الخبر المنشور فى الجرائد اليومية عن المصير الذى انتهت إليه السفينة ! .

هذا الخبر البسيط هو أغرب وأعجب خبر على امتداد القرن العشرين ، وأعتقد أنه لم يحدث مثله فى أى مكان ولا فى أى زمان ، وأتساءل الآن .. هل توجد حراسة من أى نوع فى منطقة الميناء وحتى الغاطس ؟ أم أن المراقبة موجودة على رصيف الميناء فقط ، وأنها محصورة فى مراقبة عمليات التهريب البسيطة من جانب البمبوطية والباعة السريحة وصغار الموظفين للحيلولة دون تهريب خرطوشة سجاير أو زجاجة ويسكى أو أى شئ من هذه الأشياء التى تهدد مصالح الدولة العليا! .

الذى حدث بالفعل كما أتخيله ، أن العيال المسئولين عن السفينة عيال أولاد حرام ونصابين على المستوى الدولى ، لاحظوا يوما بعد يوم أن الجو سداح مداح والخطوة بينى وبين حبيبى براح ، وأنه لا مراقبة ولا رقابة ولا حد واخد باله من أى حاجة فشمعوا الفتلة وهات يا فكيك هربا من دفع الرسوم والغرامة والتى تصل إلى ثلث مليون دولار .

والسؤال الآن .. هل بلغت الغفلة هذا الحد ؟ وهل وصل الإهمال إلى هذه الدرجة ؟ ، وهل التسيب صار شعار بعض الأجهزة وبعض الإدارات الحكومية ؟ ولكن السؤال الأهم .. هل هرب النصابون بسفينتهم فى أمان الله دون مساعدة من أحد ؟ وإذا كان هناك أى مساعدة

من أى نوع .. فما هى قيمة الفلوس التى دفعت للسادة الذين ساعدوا فى تسهيل المهمة ؟ ألف دولار ، خمسة آلاف دولار ، عشرة آلاف دولار ، ثم هل حدث تحقيق فى هذا الأمر ؟ أم أن هذا الذى جرى كان بأمر السماء وبإذنها وماهو مكتوب على الجبين لازم تراه العين ! .

الحق أقول إن ما حدث فى ميناء بورسعيد يصلح ليكون فصلا فى رواية لمحمد هنيدى ، باعتبار أن مثل هذه «الفصولات» يمكن حدوثها فى هذا المجال فقط ، خصوصا أن حادثا أبسط من الحادث الأخير وقع منذ عام وبعض عام ، عندما وضعت سفينة تركية تحت الحراسة أثناء عبورها قناة السويس ، والسماح لها بالإبحار بعد دفع الغرامة ، ولكن عارفين إيه هيه الحراسة ؟ وضعوا شاويش على ما أظن على ظهر السفينة وسمحوا لها بعبور القناة والتوقف فى غاطس بورسعيد ، ولكن السفينة ساقت الهبالة على الشيطنة وواصلت رحلتها إلى أوربا ، ثم قامت بانزال الشاويش والمحضر عند أول ميناء ، وسلاموا عليكوا عليكم السلام ، وأتفضل شاى لا أنا عندى قضية، على رأى عمر الجيزاوى يرحمه الله .

كان يجب أن نتعلم الدرس من حادث السفينة التركية ، ولكننا لم نتعلم شيئا ولم نستفد شيئا ، وأصبح الجميع يستغلون سذاجتنا ويهربون منا بعد أن يسقونا حاجة أصغرا ، وأحيانا حاجة أحمرا ! .

ماذا أقول ؟ لا شئ .. فكل شئ واضح وظاهر وعلى عينك يا تاجر ، وأغلب الظن أن مثل هذه الحوادث ستتكرر حتى بعد حادث السفينة الرومانية التى فرت من أيدينا فى الأسبوع الماضى ، وأنها مجرد حلقة من حلقات السادة الهابرين الهاربين وآخرهم الست علية العيوطى التى هربت بالهبرة كدبرة ، وانضمت إلى أسطول الهاربين من أمثال توفيق عبدالحى والمرأة الفولاذية وعشرات آخرين ، بينما نحن نائمون فى العسل نحلم أحلاما سعيدة ، أسأل الله أن يديم علينا الصحة والعافية والعمر الطويل !.

●●●

أخيرا .. بشرونا بنبأ العبقرى الذى اختاره اتحاد الدهشورى حرب لإنقاذ الكرة المصرية ، والعبقرى إياه هو الكابتن أنور سلامة ، وقد وقع الاختيار عليه بعد استبعاد عباقرة آخرين على رأسهم الكابتن طولان أبو نضارة طلياني ، والكابتن فاروق السيد ، ومع الأسف لا علم لى باسمه الثلاثى ، واسمحوا للعبد لله أن يقول لكم بمنتهى الصراحة إن تعيين أنور سلامة مكان محمود الجوهرى هو نكتة ظريفة ، وأنه أشبه بتعيين الشيخ محمد مدرس اللغة العربية فى مدرسة حسن نصار بالجيزة استاذا بجامعة القاهرة ، ومعروف للجميع أن أنور سلامة ليس له سابقة فضل فى الكرة ، لم يلمع لاعبا ولم يلمع مدربا ، وأن شأنه كشأن على برعى وسعد برعى وعبده برعى إلى آخر الكباتن من عائلة برعى الشهيرة ، وهو عمل أشبه بإقصاء المارشال روميل وتعيين الشاويش حمدان على رأس جيوش المحور قبل معركة العلمين ، وهل

أنور سلامة هو الذى سيجيب الديب من ديله ؟ ويحافظ على كأس افريقيا ويعد الفريق للصعود إلى كأس افريقيا ويعد الفريق للصعود إلى كأس العالم ؟، وهل كنتم جادين عندما أطحتم بالجوهرى ووعدتم الجماهير بالاستعانة بمدرب عالمى ؟ وهل كنتم تقصدون بكلمة عالمى نسبة إلى العالم ؟ أم نسبة لشهادة العالمية التى حصل عليها أنور سلامة من كلية الكرة بجامعة الأزهر ؟، وهل كان الهدف من حل اتحاد الكرة وعزل الكابتن الجوهرى هو امتصاص غضب الجماهير ، أما الكرة والمنتخب الوطنى فهى أمور متروك مستقبلها لمشيئة السماء العالية يا نهر البنفسج، على رأى العم زكريا الحجاوى .

ولقد قلنا قبل ذلك إن المدرب الوحيد فى مصر الذى يصلح لسد الفراغ الذى أحدثه عزل الجوهرى هو المدرب محسن صالح ، وسبق أن جربناه من قبل وأثبت أنه جدير بالقيام بهذه المهمة ، ولو استمر فى مكانه منذ ذلك الوقت لكان لدينا الآن منتخب وطنى نباهى به الأمم فى تصفيات كأس العالم ، ولكن سوء حظه وحظ الكرة المصرية جعله يقع فى تناقض مع الكابتن حسام حسن المعين كابتن للمنتخب المصرى بفرمان من الباب العالى العثمانلى ، وهو فرمان لا يمكن نقضه أو تجاوزه بأى حال من الأحوال ، وكانت النتيجة أنهم أطاحوا به من المنتخب مع أن النتائج التى حققها كانت تشهد له وتشفع له فى البقاء على رأس المنتخب .

وأسأل اللواء حرب الدهشورى واتحاده الكوميدى الذى يبدو أنه سينافس ليس هنيدى ولا علاء ولى الدين ، ولكن يبدو أن فى نيته منافسة عادل إمام نفسه ، أسأل اللواء حرب هل أنور سلامة هو آخر كلمة عندكم ؟ وهل بأنور سلامة تطمع بالاحتفاظ بكأس افريقيا والوصول إلى ملاعب كأس العالم ؟، إذا كانت هذه هى كلمتكم الأخيرة ، وإذا كان أنور سلامة هو المنقذ فى رأيكم للوصول بالمنتخب إلى العالمية وبالكرة إلى بر الأمان ، فأنتم فى الحقيقة لاتصلحون للجلوس على مقاعدكم فى اتحاد الجبلاية ، ولا تستحقون حتى الجلوس على مقعد فى الاستاد للفرجة والمشاهدة ، أنور سلامة ياراجل .. لتدريب فريق إيه ؟ جمهورية شبين ، اتحاد بنى سويف ، أوليمبى بلبيس .. إيه .. المنتخب الوطنى ؟! تف من بقك يا راجل وقول كلام تانى .

و .. يا عينى على اللى حب ولا طالشى !.

شيخ حارة مصر !

فى مثل هذه الأيام منذ ٢٩ عاما رحل عن دنيانا الزعيم البطل جمال عبد الناصر ، مات فى الثانية والخمسين من عمره، فى الوقت الذى عاش فيه المعلم قطب ٨٢ عاما مع أنه كان ينام على الرصيف فى مواجهة كازينو الحمام بالجيزة، وكان يكتفى فى طعامه بما يجود به الكرماء عاش عبد الناصر لمصر ومات من أجلها ، وخلال حياته التى مرت كالحلم كان أشهى طعام لديـــه هو الجبنة البيضاء ، وأفخر رحلاته الترفيهية إلى برج العرب، وأحلى ســـهراته فى السينما الملحقة بمنزله، وبعد موته بسنوات طويلة شن بعض الأراذل من المصريين حملة شــعواء ضد البطل فاتهمه أحدهم بأنه حرامى ، واتهمه أحدهم بالإتجار فى العملة الصعبة ! .

العجيب أن هؤلاء السادة الأشاوس عاشوا فى عهد عبد الناصر يمشون على العجين ما يلخبطوهش ، وبعضهم أرسل للرجل برقيات التأييد وعرائض النفاق والمديح، وبعض الذين هاجموا البطل كتبوا ونشروا عقب وفاته مباشرة قصائد المدح فى مناقبه ، سألت أحدهم مرة : لماذا مدحت عبد الناصر فى حياته؟، ولماذا هاجمته بعد ذلك؟ أجابنى الأشوس إياه : لأننى كنت خائفا وهو حى، ومن حق الخائف أن يحمى نفسه من باب «التقية» !.

سألت أحد الأطباء النفسانيين فأجاب : لابد من دراسة كل حالة على حدة، لأن الناس تختلف والأسباب أيضا ، ولم أتفق مع الأستاذ الطبيب فى الرأى، ربما لأننى أعرف السبب الحقيقى فى مثل هذا التصرف، فهؤلاء السادة الأشاوس الذين قبضوا بأيديهم على سكاكينهم وهات ياتشريح فى جثة عبد الناصر بعد أن مات وشبع موت فى قبره، إنما يفعلون ذلك جميعا لسبب واحد .. هو قلة الأصل ! .

●●●

شباب هذه الأيام قد لا يعرف شيئا عن نظام شيخ الحارة الذى كان معمولا به فى مصر حتى نهاية الخمسينات ، وشيخ الحارة كان واحدا من الرعية ، ولكنه يتمتع بسمعة طيبة بين الناس ويحظى أيضا بالاحترام فى دوائر الشرطة، وكانت المدن المصرية مقسمة إلى حارات ، وكل حارة لها شيخ، الجيزة مثلا كان لها أربع حارات، وكانت حارة رابعة هى أشهر الحارات، وهى الحارة التى أنجبت خالدة الذكر المرحومة «سكسكة» أشهر فتوات الجيزة فترة طويلة من الزمان، ولا يزال الأحياء من ضباط الشرطة العظام يتذكرون المرحومة «سكسكة» ويذكرون ما قامت به من أعمال أغرب من الخيال، اللواء الوزير السابق حسن أبو باشا عرف المرحومة «سكسكة» عندما عمل فى قسم الجيزة فى بداية عمله بالشرطة برتبة ملازم ، واللواء هجرسى كان بينه وبين «سكسكة» حوادث وحكايات عندما كان مأمورا لقسم الجيزة، وأيضا اللواء جمال شكرى الذى عمل مأموراً للجيزة فى الخمسينات ، وإذا كانت حارة رابعة هى أشهر

حارات الجيزة، فإن أشهر شيخ حارات الجيزة كان الحاج عوف شيخ حارة أول، ولقد تشرفت بمعرفة الحاج عوف فى آخر أيام حياته ، واكتشفت أنه يعرف كل أسرار الجيزة وأدركت لحظتها أنه ليس كل إنسان يصلح للمنصب، ولكن يصلح له من كان مثل الحاج عوف يعرف أسرار المنازل وأسرار الناس! وكنت أظن أن هذا الطراز من الناس قد أصبح نادر الوجود الآن ، غير أننى اكتشفت أن هناك من بين أصدقائى من يصلح لهذا المنصب ، ليس شيخا للحارة على مستوى النظام القديم ، ولكن شيخ حارة لمصر كلها ومن مرسى مطروح إلى أسوان ! الأول هو اللواء الوزير السابق عبد الحليم موسى، وهو زعيم شعبى بكل معنى الكلمة، ويصلح رئيسا لحزب شعبى جماهيرى من مستوى رفيع ، أسأله أحيانا عن شخص فى المنصورة أو دمنهور أو دمياط أو أسيوط. ويأتينى الجواب على الفور ، من أبوه؟ ومن أمه؟ ومن خالته؟ ومن زوج عمته؟ ومتى وكيف مات جده، وعن أى عمر يرحمه الله ؟! ، وعندما ترك منصبه كمحافظ أسيوط وجاء إلى القاهرة ليتولى منصب وزير الداخلية، ترك وراءه على الأقل عدة ألوف من أهالى المحافظة يمكنك أن تصفهم بأنهم أصدقاء شخصيون ، رجال سياسة وموظفون وعمد وأعيان وخفر وفلاحون وناس على باب الكريم، ذات مرة أمعن النظر فى صورة قديمة التقطت للعبد لله فى حفل أقيم فى أسيوط عام ١٩٧٠ ، وكان يحضر الحفل المرحوم شعراوى جمعة وعدد من لواءات الشرطة منهم اللواء رأفت البسطويسى واللواء مصطفى الكسار واللواء حسن طلعت ، وبعد فترة سألنى قائلا : أنت تعرف الجدع ده ؟ وتصورت أنه يقصد أحد اللواءات ، ولكنى اكتشفت أنه يقصد شخصا كان يقف خلف الصفوف يرتدى جلبابا صوفيا وكوفية ويحمل بندقية على كتفه ، كنت قد نسيت الرجل ولكنى عدت فتذكرته ، فقد كان من ضمن الذين حصلوا على مكافآت مالية فى هذا الحفل بسبب أدائهم المتميز فى خدمة الأمن ، وانطلق اللواء عبد الحليم موسى يقول .. إنه خفير نظامى فى مركز درنكة بأسيوط وهو ابن الرجل الشهير المعروف باسم «الخط» وإذا كان والده كان سببا فى إصابة جهاز الأمن بصداع خطير ودائم، فإن ابن الخط خفير نظامى ممتاز هو شجاع ومقاتل شديد المراس وأدى للأمن خدمات كثيرة ، سألت اللواء عبد الحليم موسى .. هل تعرفه؟ ، قال بالطبع .. وقابلته فى المحافظة عدة مرات ومنحته مكافآت مالية وشهادات تقدير، وأحمل له تقديرا كبيرا واحتراما شديدا كرجل يحترم كلمته ويؤدى وظيفته بإخلاص شديد ! .

شيخ حارة مصر الثانى هو المستشار عبد الحميد يونس ، إنه يعرف أصل وفصل ٨٠ فى المائة على الأقل من أهل مصر. كتب أخيرا فصلا مدهشا عن شخص ينتحل صفة «المستشار» مع أنه لم يصل خلال حياته الوظيفية إلا لدرجة مساعد مستشار، ولقد نشأ فى مدينة ريفية ووالده كان يعمل بقالا فى المدينة، وكان له قريب يشغل منصبا كبيرا فى الحكومة ، وخلال الحرب العالمية الأخيرة زار قريبه ليتوسط من أجل حصول والده البقال على كمية المواد التموينية المخصصة للمدينة ، ولما كان طلب (المستشار) غير عادل، لأن تحقيقه يعنى حرمان كل البقالين فى المدينة إياها من حصص التموين، ولذلك رفض الباشا المسئول الاستجابة لطلب المستشار إياه ، وكان لا يزال طالبا فى ذلك الوقت، وعلى الفور قام الطالب الذى أصبح (مستشارا) فيما بعد بشن حملة شعواء على الوزير قريبه ، وجاءت الحملة على صورة مقالات

كان ينشرها في جريدة «الكتلة» لسان حال حزب الكتلة الذى كان يرأسه مكرم عبيد باشا وكان «الباشا» مكرم عبيد يقدم هذه المقالات بعبارة من سطر واحد (وشهد شاهد من أهلها) باعتبار أن كاتب المقال من عائلة الوزير الوفدى الذى كان من أشرف السياسيين الذين عرفتهم مصر . وأتحرق شوقا الآن لمقابلة شيخ حارة مصر الثانى المستشار عبد الحميد يونس لأسأله عن هذا الشخص الذى ينتحل صفة مستشار مع أنه لم يكن مستشارا فى أى وقت ، والذى أدت به قلة الأصل إلى شن حملة ظالمة ضد الوزير لأنه رفض منح أخيه البقال كل كميات التموين المخصصة للمدينة الريفية .

ولا أدرى لماذا تذكرت الرئيس الراحل عبد الناصر بعد أن قرأت مقال المستشار عبد الحميد يونس، ربما هى قلة الأصل التى تربط بين (المستشار) إياه وهؤلاء الذين شنوا حملات عنترية ضد عبد الناصر بعد موته ، ولكن التاريخ لا يرحم هؤلاء الناس ولا يحترمهم ، لأنهم غالبا جبناء وعديمو الأصل .

ليت المستشار عبد الحميد يونس - بمناسبة ذكرى رحيل عبد الناصر - يقدم لنا كتابا يكشف فيه عن أصل وفصل هؤلاء الجبناء الذين هاجموا عبد الناصر بعد أن مات وشبع موتا فى قبره، لعل مثل هذا الكتاب يكون عبرة لهؤلاء الذين نصبوا أنفسهم فتوات على مقابر البساتين والخفير والنخال والإمام الشافعى ! .

حكاية أبو طرطور !

هل تذكرون أبو طرطور ؟ وأبو طرطور الذى أقصده ليس هو العسكرى العثمانلى الذى كان يغطى رأسه بطرطور طويل، وكان ابن البلد المصرى يصيح فى وجهه محتجا ومتحديا .. أنت فاهم إنى راح أخاف من طرطورك؟ ، ولا أقصد به الأراجوز الذى كان يطوف بحوارى العاصمة منذ نصف قرن يتأبط عصاه الطويلة الغليظة يضرب بها الست نجية وأفراد عائلتها جميعا ويتركهم صرعى بلا حراك . ولكن أبو طرطور الذى أقصده هو مشروع الفوسفات الذى أطلق عليه البعض وصف المشروع القومى ثم اتضح فى النهاية أنه لا قومى ولا وطنى، ولكن هذا الاكتشاف جاء متأخراً وبعد أن بددنا على المشروع ثلاثة آلاف مليون جنيه، استوردنا بالجزء الأكبر منها آلات ومعدات وسيارات للمشروع وأنفقنا الباقى على إنشاء خط سكة حديد لنقل إنتاج مناجم الفوسفات من أبو طرطور إلى موانىء التصدير على البحر .

وبالرغم من أن الهدف من إنشاء خط السكة الحديد كان لنقل كميات الفوسفات من المنجم إلى البحر، إلا أن العباقرة الذين أسسوا المشروع، أنشأوا عدة محطات للركاب على طول الخط ، محطات للركاب فى صحراء طولها شهر وعرضها شهر، ألوف الكيلو مترات ليس بها أثر لجن أو لأنس .. حتى الوحوش الضارية ليست لها وجود فى هذه البيد التى دونها بيد، وعندما ترك الوزير المتحمس للمشروع منصبه الوزارى وحل محله وزير آخر قام بتشكيل لجنة قومية أيضا، درست المشروع وقتلته بحثا ثم قررت فى النهاية وقف العمل فى المشروع لأن عينة الفوسفات المستخرجة من المنجم ليست من النوعية الممتازة ، وأنها ليست أجود من التراب العادى، وأن ثمنها فى الأسواق يقل كثيرا عن تكاليف إنتاجه .

وجاء فى تقرير اللجنة أن وقف العمل فى المشروع هو وقف للنزيف المستمر الذى بلغ ثلاثة مليارات جنيه، الذى يعلم الله وحده الأوجه التى صرفت فيها، والعمولات التى حصل عليها البعض من ورائها ، واكتشفت اللجنة أيضا أن الأصل فى المشروع كان نتيجة اتفاقية بين الاتحاد السوفييتى أيام عزه والحكومة المصرية، يقوم الاتحاد السوفييتى بمقتضاها بإنشاء المشروع وتأمين نفقاته ، ثم شراء إنتاجه كله تخليصا للدين، وبعد ذلك يعود المشروع كله للحكومة المصرية .

بهذه الاتفاقية السوفييتية كان المشروع استثماريا بحق وحقيق ، ولكن بعد سقوط الاتحاد السوفييتى كان يجب التوقف على الفور، ولكن الوزير الأسبق قرر المضى فى المشروع والإنفاق عليه من الخزانة المصرية .

بعد اكتشاف هذه الحقائق قررت وزارة الصناعة وقف العمل فى المشروع ، وعلى الله العوض ومنه العوض، واعتقدنا أن صفحة أبو طرطور قد طويت إلى الأبد، غير أننا فوجئنا فى الشهور الأخيرة بتصريحات كثيرة تخرج من وزارة الصناعة فى عهد وزيرها الجديد دكتور

مصطفى الرفاعى كلها تدور وتلف حول إحياء مشروع أبو طرطور .. تانى !؟ ..اخر هذه التصريحات نشرته «أخبار اليوم» يوم السبت الماضى تحت عنوان «دراسة جدوى متكاملة لإعادة الحياة إلى مشروع أبو طرطور» ، وهل يمكن إعادة الحياة إلى ميت؟ هل عاد زمن المعجزات ؟ ، وكيف تعود الحياة إلى ميت أعلن الأطباء وفاته ؟ ، وجاء فى تفاصيل الخبر المنشور على صفحات «أخبار اليوم» عن دعوة الشركات ورجال الأعمال للمساهمة فى إعادة الحياة لهذا المشروع القومى – خد بالك من حكاية القومى دى – والذى يتكلف حوالى ستة آلاف مليون جنيه .. عجايب .. على رأى جدى الشيخ خليل ، احنا ناقصين خسائر !؟ ، وحتى على فرض أن المبالغ التى سيجرى إنفاقها هى أموال القطاع الخاص وأموال المستثمرين العرب والأجانب ، فهى أيضا يجب الحرص عليها كالمال العام تماما ، وتضمن الخبر المنشور على صفحات «أخبار اليوم» أيضا تصريحا لوزير الصناعة الحالى ، بأنه تم تشكيل لجنة من الخبراء فى جميع المجالات لدراسته وتقييم المشروع تمهيدا لطرحه للمشاركة من القطاع الخاص والشركات العالمية التى تقدمت للمشاركة بعد تحليل عينات من الفوسفات وثبتت جودته .

يا مثبت العقل ياربنا ، لجنة جديدة من الخبراء، طيب واللجنة التى تشكلت من قبل وحكمت بأن الفوسفات المستخرج من ابو طرطور من النوعية الرديئة ، هل كانت مشكلة من غير الخبراء، وربما كانوا خبراء فى الكورة وفى الفنون المسرحية وفى الأدب الشعبى ، هل المسألة هزار أم هى جد ؟ ثم .. أليس الوزير الذى حكمت لجنة من الخبراء فى عهده بأن نوعية الفوسفات سيئة وأن المشروع على بعضه خاسر .. خاسر .. خاسر .. ياولدى ، على رأى عبد الحليم حافظ ، ألم يكن من وزراء حكومة الحزب الوطنى؟ . أم كان وزيرا فى حكومة حزب الأحرار ؟ .

والعبد لله يريد أن يسمع جوابا شافيا من وزير الصناعة الحالى ، خصوصا والوزير مصطفى الرفاعى مهندس قدير وكان إلى عهد قريب يدير شركة من أكبر شركات البترول فى مصر ، وهناك سؤال ينتظر جوابا من الوزير الرفاعى .. هل اللجنة التى أصدرت قرارها السابق بإعدام مشروع أبو طرطور ، هل كانت لجنة من المهندسين ؟ ، أم كانت لجنة من الأطباء البيطريين ؟ وما هو العقاب الذى ينتظرهم بعد أن ضيعوا على مصر فرصة الاستفادة بخيرات أبو طرطور ؟ الذى كان سيحل مشكلات كثيرة فى بر مصر ، وإذا كان أعضاء اللجنة القديمة كلهم مهندسون وخبراء ومتخصصون أيضا ، فلماذا تشكل لجنة جديدة ؟ ولماذ نكلف بعض الهيئات بوضع دراسة جدوى جديدة؟ هل نحن غاوين خسائر؟ هل فلوسنا كثيرة ونبحث عن أوجه لإنفاقها ؟ مرة على المدرب جيلى الفرنساوى ومساعده والمترجم الذى يلازمه والمحامية الفرنساوية الحلوة التى جاءت معه إلى مصر وتولت تحرير العقد ولهفت ٢٥ ألف دولار حار ونار فى جوفها ، ومرة على إعادة الحياة إلى مشروع أبو طرطور الذى مات وشبع موتا وهل يعود الموتى إلى الحياة ؟ ، ومتى حدث هذا ؟ وأين حدث؟ وفى أى عصر ؟!!

دبرنى ياسيادة الوزير ، دبرنى يرحمك الله ! .

برادة .. ونجيب محفوظ !

من هو الذى حاول اغتيال البطل أحمد برادة ؟ . وما الجهة التى تقف وراء اغتياله ؟ لقد شاهدت سيدة فاضلة على شاشة قناة الجزيرة الفضائية ، وأغلب الظن أنها والدة البطل برادة تقول بمنتهى الهدوء وفى غاية الثقة إن البطل برادة محبوب من جميع الناس ، وأن محاولة اغتياله تشبه محاولة اغتيال نجيب محفوظ !!

ما علاقة البطل الرياضى أحمد برادة بالعبقرى الخالد نجيب محفوظ ؟ ولماذا خلط الأوراق فى هذا الحادث بالذات؟ وما الذى كانت تقصده السيدة الوالدة على وجه التحديد ؟

هل تقصد اتهام جماعات الإرهاب بأنها تقف وراء محاولة اغتيال أحمد برادة؟ وإذا كان هذا هو القصد فأى التنظيمات الإرهابية التى قامت بمحاولة القتل؟ هل هو تنظيم الناجون من النفس؟ أم جماعة المستديرة المجنونة؟ إن أحمد برادة عزيز علينا جميعا ، ولكن الإرهاب لا علاقة له بمحاولة اغتياله . ولا أحد له مصلحة فى اغتيال أحمد برادة إلا بطل العالم فى الاسكواش والذى يهدد أحمد برادة الصاعد عرشه الذى يجلس عليه ! إن الارهابيين كانوا وراء اغتيال نجيب محفوظ، لأن بعض اصحاب العقول الصلعاء كانوا يتصورون أن رواية «أولاد حارتنا» كانت كفرا خالصا يستحق كاتبها الموت. فما الذى فعله البطل أحمد برادة ليكون هدفا مجهولا وراء حادث الاعتداء على أحمد برادة . وعلى عاتق أجهزة الأمن العثور على الفاعل وبأقصى سرعة، أما حشر الارهاب فى الموضوع فهو أمر مضحك للغاية ، لأن الارهاب فى حالة كمون فى الوقت الحاضر ، حتى حادث الاعتداء على الرئيس حسنى مبارك فى بور سعيد كان حادثا فرديا ولم يكن له علاقة بالإرهاب . ولكن هل يدافع العبد لله عن الإرهاب ؟ .

بالطبع لا ، ولكننى أدافع عن الأصول ، وإلا اختلطت الأشياء ، وعقد البعض مقارنة بين العبد لله ومحمد على كلاى فى الملاكمة ، وربما انشغل البعض بتحديد الفروق بين أحمد عدوية ومحمد عبد الوهاب ، وهى حالة تؤدى حتما إلى فوضى فى المفاهيم وخلل فى القيم ، لأنه إذا جرى تشبيه ما جرى لأحمد برادة بما جرى لنجيب محفوظ ، يصبح واردا تشبيه العبد لله بمحمد على كلاى ، وتشبيه أفعال الحاج فتحى الريان بانجازات طلعت باشا حرب، وخطورة هذا الأمر أنه إذا فقد شعب من الشعوب القياس المضبوط فإنه بالتأكيد ستضطرب خطواته وسيفقد اتجاهه وسيضيع من قدمه الطريق، على رأى الشاعر كامل الشناوى .

ولأننا نحب أحمد برادة جميعا ، لذلك يجب أن نبعده عن أى مقارنات من هذا النوع ، والعبد لله يرجو أن يوفق الأمن المصرى فى الكشف عن هذا المعتوه الذى حاول قتل بطل

رياضى ليس بينه وبين الناس إلا كل خير، وهى مهمة وطنية بكل تأكيد ، لأن مجرد الاشارة بأن الحادث الذى تعرض له الكابتن أحمد برادة هو عمل إرهابى ، سيكون سببا فى مشاكل كثيرة ما أغنانا عنها، خصوصا أنها مسألة لا أساس لها فى واقع الأمر ؟ .

●●●

الشجاعة والكرم من صفات العرب القدماء ، فهل ورث عرب اليوم هذه الصفات ؟ أم أن عرب اليوم لا صلة لهم بعرب الأمس ، وأصل المسألة أن جماعة من اليابانيين كلهم شباب وكلهم متحمسون ، استفزهم صلف اسرائيل وعدوانها المتكرر على العرب فاستقلوا طائرة وهبطوا فى مطار تل أبيب ، وعندما اصبحوا داخل المطار، فتحوا حقائبهم وأخرجوا منها مدافع رشاشة ومسحوا صالة المطار بطلقات الرصاص، وقتلوا عددا من الإسرائيليين قبل أن يستسلموا لرجال الأمن ، وبرغم ارتفاع عدد القتلى والجرحى ، صدر ضدهم حكم بالسجن ، وبعد فترة من الزمن وفى إحدى المرات التى تبادلت فيها اسرائيل بعض السجناء ببعض الجثث مع جيرانها العرب، قامت الحكومة الإسرائيلية بتسليم السجناء اليابانيين ببعض جثث الإسرائيليين ، وكان الفدائيون اليابانيون من نصيب لبنان . ولا أذكر بالضبط ما حدث لهؤلاء اليابانيين فى بيروت ، وإن كنت أعتقد أنهم حشروا فى أحد السجون، لماذا ؟ لا أعرف وكل ما أعرفه أنهم لم يهبطوا فى مطار بيروت ، ولم يفتحوا مدافعهم الرشاشة فى صدور رجال الأمن والمواطنين اللبنانيين ، ولكنهم فعلوا ذلك كله فى مطار اسرائيل ومع مواطنين إسرائيليين .

المهم أنه تقرر الإفراج عنهم من السجون اللبنانية فى الاسبوع الماضى، ولكن الأمر الغريب أنهم أفرجوا عنهم إلى المطار ومن المطار إلى الأردن ، وفى مطار عمان رفضت السلطات الأردنية دخولهم أراضيها ، وقامت بوضعهم على طائرة رسمية روسية نقلتهم إلى موسكو، ومن موسكو حشروا فى طائرة أخرى حطت بهم فى طوكيو ، وفى مطار طوكيو أخذوهم إلى السجن اليابانى تمهيدا لمحاكمتهم باعتبارهم أعضاء فى تنظيم إرهابى يابانى شهير، وإذا كان من حق الحكومة اليابانية سجنهم ومحاكمتهم فهل هو أيضا حق الحكومات العربية، وإذا كان هؤلاء اليابانيون قد ارتكبوا جرائم إرهابية فقد كانت جرائم لمصلحة العرب وليست ضدهم ، فهل يكون السجن والتسليم جزاء من يساعد العرب أو يقدم معروفا لهم ، أم أن العرب هم من جنس الغز، وآخر خدمة الغز علقة كما هو معروف . وهل فقد العرب النخوة والمروءة ورد الجميل ، وهل تساوى عند العرب من يخدمهم ومن يعتدى عليهم ؟

ومن قبل قامت السلطات السودانية فى أيام سيطرة الترابى بتسليم كارلوس ، الذى ارتكب كل «جرائمه» من أجل قضية عربية وفى سبيلها سلمته سلطات الترابى للمخابرات الفرنسية ، لتحشره فى السجن إلى أن يقضى الله أمراً كان مفعولا ، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ، إنها قاعدة إسلامية عربية ولكنها صارت فى هذا الزمان – وهل جزاء الإحسان إلا الاساءة ، لقد عرفت الآن – لماذا لم تقتل اسرائيل هؤلاء اليابانيين ؟ ولماذا سلمتهم ، لقد كانت تعرف مصيرهم المحتوم على يد العرب .

بينما هى ستبقى أمام العالم واحة العدل والعفو عند المقدرة فأمجاد يا عرب أمجاد! .

السودان إلى أين ؟!

كنت أود أن انشر على حضراتكم نص الخطاب الذى أرسله للعبد لله كبير المصارف العربية ابن حارتنا العبقرى محمود عبد العزيز رئيس البنك الأهلى ورئيس اتحاد البنوك العربية، ولكن التطورات التى حدثت على الساحة العربية هذا الأسبوع اضطرتنى إلى تأجيل نشره للأسبوع القادم .

أما التطورات التى أقصدها فهى التى حدثت فى السودان، بإعلان الأحكام العرفية وإبطال العمل ببعض مواد الدستور فى محاولة من رئيس الدولة للقضاء على ازدواجية القرار فى قمة السلطة .

والحق أقول إن ما حدث كان متوقعا منذ فترة ، وأزعم الآن أن هذه الإزدواجية فى السلطة عاشت أكثر مما يجب ، فنحن العرب لا نجيد اللعب كفريق، ولكننا نعشق اللعب الفردى ، ونحب تسجيل الأهداف بأنفسنا .

وأذكر أننى شاهدت برنامجا تليفزيونيا على شاشة إحدى القنوات الفضائية العربية ، سأل المذيع الرئيس البشير سؤالا مباشرا .. من الذي يحكم السودان؟ ... ورد البشير قائلا .. نحن الذين نحكم السودان .

وقال المذيع معلقا، ولكننا وجهنا السؤال نفسه إلى الدكتور الترابى فأجاب بأنه هو الذى يحكم السودان .

وغضب الرئيس البشير قائلا .. الترابى يقول على كيفه ، ولكن نحن الذين نحكم السودان.

لقد كشف هذا الحوار الخاطف، أن فى النفس أشياء وأشياء، رغم ما كان يبدو على السطح من حب ومودة وسمن على عسل،. وأخيرا حانت اللحظة وانفجر بركان الغضب، الترابى شرع فى تقليص سلطات رئيس الدولة ، فسارع البشير بحل المجلس النيابى ، وهو القرار الذى يعنى إقصاء الترابى عن السلطة وانفراد البشير بحكم السودان .

ولكن السؤال الذى يفرض نفسه الآن .. لمن الغلبة اليوم؟ ومن الذى سيتمكن من فرض إرادته ويجلس على قمة هرم السلطة فى الخرطوم ؟ هل هو البشير ؟ أم هو الترابى؟.

الحق أقول إن الترابى ليس لقمة سائغة والوصف نفسه نستطيع أن نطلقه على البشير، فالترابى استطاع أن يكون على قمة السلطة فى عهود سابقة، واستطاع أن يجذب النميرى من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين، وأنصاره من السودانيين لا حصر لهم ، بالإضافة إلى أنه سياسى قديم ويجيد المواجهة ويجيد المراوغة . أما الرئيس البشير فقد نجح فى تمهيد الأرض قبل الدخول فى المعركة ، وتمكن بجدارة من وضع حد للخلافات مع الدول المجاورة ، كما عقد عدة اجتماعات مع كبار زعماء المعارضة ، وصارت علاقاته وثيقة بمصر وليبيا فى الفترة الأخيرة ، كما أنه رجل يجيد التنظيم وقائد مدرب على القيادة، ولذلك فالعبد لله يخشى على

السودان من نتائج صراع السلطة بين الرجلين، لأن صراع السلطة هو أشرس وأعنف صراع على ظهر الأرض . والسودان بدأ يشفى من أمراضه ، ودخل فى دور النقاهة ، وينتظر الكثيرون له أن يتمكن قريبا من الوقوف على قدميه ، ومعركة شرسة من هذا النوع بين البشير والترابى ستترك آثارها على جسد السودان مهما كانت نتيجتها ، وأخشى أن ينتهز الخواجا «جارانج» الفرصة فينشط أثناء انشغال الدولة السودانية فى هذا الصراع .

أما بالنسبة للعبد لله فأعتقد أن الغلبة ستكون فى النهاية للبشير، فهو يحكم قبضته على الجيش كما أنه يتمتع بشعبية واسعة بين طبقات الشعب السودانى ، هؤلاء الذين نعموا بالأمن بعد فترة طويلة من الفوضى وعدم الانضباط فى أواخر أيام حكومة النميرى، واستمرت فى عهد حكومة الصادق المهدى، وهؤلاء الذين توفرت لديهم فى عهد البشير كل المواد الغذائية، بعد أن كان اللحم والخضراوات والخبز والفاكهة من الصيد الحرام فى العصور السابقة لحكم البشير. وكان بنزين السيارات هو الحلم البعيد المنال فى فترات سابقة وصار متوفرا الآن فى عهد البشير ، ويستطيع البشير أن يحسم المعركة لصالحه فورا إذا نجح فى خفض الأسعار التى يشكو منها الناس ، وأضافة زيادات ينتظرها الجميع على رواتب الموظفين .

وكل ما أرجوه الآن، أن يكون الخلاف بين القطبين هو بمثابة سحابة صيف، أو حسم الأمر لصالح الشرعية وللحرية ولسيادة القانون، فالحكومات تزول والقادة إلى زوال ، ولكن يبقى السودان ويبقى شعب السودان إلى يوم الدين ! .



الامبراطورية والجنرال سنكوح

سنكوح وأبو طرطور !

سمعت التعليق نفسه فى أكثر من مناسبة وفى أماكن مختلفة مصحوبا بدهشة كبيرة .. كيف تدور الحرب بين بلدين متجاورتين يتضور أهلهما جوعا ويموت الأطفال على الجانبين فى سن الرضاع ؟.

كيف يزحف الجنود من الناحيتين بينما صور بعضهم تظهر بوضوح أن العيون زائغة والخدود غائرة والجلد ينبئ بأن صاحبه يعانى من جفاف ؟.

ومع أن التعليق نفسه تكرر فى أكثر من مناسبة وأكثر من مكان ، إلا أن العبد لله لم يجد سببا للدهشة ، فما يجرى بين أثيوبيا واريتريا هو شئ طبيعى للغاية ، لأنه لا يثير الخناق والشجار بين الناس إلا الفقر ووقف الحال ، هذا هو الوضع الطبيعى سواء بين الأفراد أو بين الدول .

وهل شاهد أحدكم خناقة بين سكان عمارة فى المهندسين أو فى جاردن سيتى ؟ لا يتشاجر إلا سكان بولاق الدكرور وطابق الديابة . الناس تتشاجر من يأسها وبؤسها أما الناس المرتاحة فلا يعرف الشجار طريقه إليهم ، والدليل على ذلك أننا لم نسمع عن معركة نشبت بين سويسرا وفرنسا أو بين هولندا وألمانيا . صحيح أن الحرب نشبت بضراوة بين ألمانيا وجيرانها فى أوربا . ولكنها كانت حرب طمع وليست حرب جوع . والطمع كان من جانب الدول الأوربية التى استولت على قارتى آسيا وافريقيا وحرمت ألمانيا بعد هزيمتها فى الحرب العالمية الأولى ، وعندما تستأثر جهة بكل شئ وتحرم الأخرى من كل شئ فلابد من نشوب الحرب فى محاولة لتغيير الواقع المؤلم .

ونظرة واحدة على خريطة العالم قبل الحرب العالمية الثانية ستجد أن القسمة التى تمت بعد الحرب العالمية الأولى هى قسمة ضيزى ، وستجد أن دولا كبلچيكا كان لها مستعمرات تحتوى على خيرات كثيرة ، وهولندا بلد الورد واللبن الحليب كان لها مستعمرات شتى ، أما ألمانيا فليس لها مستعمرات وليس من حقها أن تطالب بنصيبها . فى الوقت الذى كانت فيه بريطانيا تحصل على نصيب الأسد ، ولكن إذا كان من حق بريطانيا التكويش على مستعمرات غنية باعتبارها سيدة البحار ، باعتبار ما كان ، فكيف يكون لبلچيكا مستعمرة كالكونغو الديمقراطية بمناجمها الغنية وأحجارها الكريمة الغالية ؟ .. وكيف يكون للغلبانة البرتغال مستعمرات فى أنجولا وموزمبيق ؟ .. بينما خرجت ألمانيا من المولد (ببابا أوبح) إنه الموقف نفسه بين قبيلة الهوتو وقبيلة التوتسى . قبيلة صاحبة مال وسلطة وقبيلة أخرى صاحبة

عيا . ولكن هناك سؤالا : وهل الموقف فى سيراليون هو الموقف نفسه بين أثيوبيا وأريتريا ؟ والجواب لا . الموقف مختلف تماما ، فالصراع بين ثوار سيراليون بقيادة الجنرال سنكوح والحكومة المنتخبة هو صراع على مناجم الماس فى سيراليون . وعندما هدأ الصراع فى الماضى القريب تولى سنكوح وزارة المناجم ، ويبدو أنه اعتبرها غنيمة له ولقبيلته ورجال جيشه وباع محصول الماس كله لجهات أخرى غير زبائنه التقليديين . ولذلك فالثورة الجديدة فى سيراليون اشتعلت بفعل أصابع أجنبية . ويبدو دور بريطانيا واضحا فى الأزمة الحالية ، لأن القوات البريطانية الخاصة كانت أسرع قوة أجنبية تصل إلى سيراليون ، وقيل إنها ذهبت لتساعد فى ترحيل الرعايا الأجانب ، ولكنها مع ذلك اشتركت فى قتال الثوار وفى اعتقال سنكوح ولا أعرف هل اسم قائد الثوار سنكوح ؟ أم هو اسم الدلع ، ولا أدرى لماذا هو سنكوح ؟ مع أنه استطاع أن يجعل من نفسه مركز قوة وتمكن من فرض الصلح على الحكومة فى فترة سابقة . ولا أدرى هل هو السنكوح الوحيد فى سيراليون ؟ أم هناك سناكيح غيره فى صفوف الثوار وفى صفوف الحكومة ؟ .

وبعد .. فإن ما يدور هذه الأيام بين أثيوبيا وأريتريا هو أمر طبيعى للغاية . ولو الشعب شبعان وجيوبه مليانة ، لو أن الشعب هنا وهناك مبسوط وفرحان وآمن فى يومه وغير قلق على غده ، لما تحركت دبابة ولا انطلقت رصاصة ولا عبر جندى واحد حدود الدولة الأخرى .

أذكر أننى ذات يوم بعيد حاولت التدخل لإطفاء نار خناقة حامية قامت بين أسرتين فى الحى الشعبى بالاسماعيلية . ولكن عم أحمد المنجد – وكان دكانه يقع بالقرب من المنزل الذى دبت فيه الخناقة – أشار على العبد لله بعدم التدخل . وسألته : ليه يا عم أحمد ؟ فأجاب : يا بنى سيبهم يتخانقوا شوية ، الخناق لهم دوا ، أنت مش عارف أن الحال واقف اليومين دول والعيشة ضنك والانجليز محاصرين الحتة كلها ، سيبهم يتخانقوا لحد ما يزهقوا وتهدأ أعصابهم وهمه هيسكتوا لوحدهم . واعتقد أن الحرب ستتوقف فى القرن الافريقى بعد فترة من الحرب ، عندما تهدأ الأعصاب وتروق الأدمغة على الجانبين . هكذا شاء الحظ أن يكون الخناق دواء لبعض الأفراد ولبعض الدول ، وقاكم الله شر الفلس ووقف الحال والجوع الشديد!

●●●

كتبت منذ فترة قصيرة عن مشروع أبو طرطور ، وحذرت من محاولة توريط الحكومة فى عملية إحيائه بعد أن أهدرنا فيه ما يزيد على ٦ مليارات جنيه وانتهى المشروع إلى بوار . ورد على العبد لله السيد وزير الصناعة مؤكدا أنه لا توريط هناك للحكومة ولا يحزنون ، وأنه اكتشف إمكانات هائلة للمشروع يمكنها تحقيق أرباح طائلة ؛ وتحدث عن دراسات جدوى للمشروع قامت وتقوم بها هيئات أجنبية معتمدة ومعترف بها . ثم فوجئت برحلة قام بها

الوزير إلى مشروع أبو طرطور مصطحبا معه مجموعة من أعضاء مجلس الشعب ورجل أعمال مصرى يعمل فى مجالات لا علاقة لها بالمناجم . وظهر من تصريحات الوزير أنه ماض فى طريق إحياء المشروع وأنه متحمس بطريقة تفوق حماس الذين أسسوه .

والآن .. أسمح لنفسى بمخاطبة الدكتور عاطف عبيد رئيس الوزراء ، وأقول له .. إن انفاق أى فلوس من خزانة الدولة على مشروع أبو طرطور الفاشل سيكون بمثابة جريمة فى حق الشعب المصرى .. إن كل الدراسات وكل تقارير الخبراء تثبت أنه مشروع فاشل ، وأنه حتى فى حالة النجاح فى استخراج الفوسفات فإن تكاليف استخراجه وغسيله ستحرمه من المنافسة فى الأسواق ، لأن ثمنه سيكون ضعف ثمن البضاعة المنافسة .

وأسأل سؤالا وأرجو أن أجد عليه جوابا : لماذا الاصرار على استخراج الفوسفات من أبو طرطور ؟ إن اليابان لا تملك أى مواد أولية من أى نوع ، ومع ذلك أقامت نهضة صناعية تنافس أمريكا وبريطانيا وفرنسا . ونحن أنفقنا على المشروع الفاشل ٦ مليارات ونصف المليار جنيه تقريبا ، لو كنا اشترينا بها فوسفات من الخارج فبالتأكيد كان سيكفينا نصف قرن تقريبا .

وأقول لرئيس الوزراء .. الأمر يحتاج إلى قرار منكم بوقف محاولة إحياء أبو طرطور ، لأنه حرام علينا إهدار أموال الخزانة فى إحياء ميت مات وشبع موتا من زمان ! .

مرتب الخواجا والأبطال !

يا ناس فضوها سيرة عشان خاطر حبيبي النبي ، وبلاش فشخرة كدابة ، وعنطزة فارغة ، وتعالوا بنا إلى سلوك الطريق الذى يتفق مع مصالحنا ومصالح شعبنا الطيب . أقول قولى هذا بمناسبة ما ترامى إلى سمعى من أنباء تؤكد أنهم يبحثون فى الوقت الحاضر إلى استقدام مدرب إيطالى للمنتخب المصرى براتب قدره ٢٠٠ ألف جنيه شهريا ، ٢٠٠ ألف جنيه شهريا يا خواجا ! .

العبد لله يعتقد أن مرتبات أعضاء مجلس الوزراء وعلى رأسهم الدكتور كمال الجنزورى لا تصل إلى هذه القيمة . ومثل هذا المبلغ لألف شاب عاطل شهريا يحل مشاكلهم وتجعل منهم مواطنين صالحين بأمر ربى . راتب الخواجا المدرب الإيطالى لو رصدناه كل شهر لقرية من قرى مصر لحولنا هذه القرى إلى مكان صالح للحياة ، لو منحنا هذا المبلغ كل شهر لمستشفى الغلابة فى الريف والأحياء الشعبية لتحول مستشفى البدرشين إلى البدرشين كلينك !

ولكن قد يصرخ واحد من إياهم .. ولماذا لا ندفع هذا المبلغ للمدرب الخواجا ؟ وهل الحياة فقط عاطلين ومستشفيات فقيرة وقرى مهملة ؟ .

وأقول لهؤلاء .. عندكم حق . والعبد لله مستعد أن يوافق على رفع راتب المدرب الخواجا إلى ٣٠٠ ألف جنيه بشرط أن يوقع على تعهد بأن منتخبنا سيفوز فى النهاية بكأس العالم . ولكن إذا كان جهد الخواجا المدرب سيتوقف عند حد الدخول فى ثلاث مباريات أو أربع ثم العودة إلى القاهرة وقفاه يقمر عيش .. فماذا يجبرنا على دفع هذا المبلغ ؟ ولماذا لا نستفيد منه فى أغراض أخرى ؟ ومعنى هذا أن المدرب الخواجا أبو ٢٠٠ ألف جنيه لن يفعل أكثر مما فعل محمود الجوهرى مع فارق بسيط أن الجوهرى فعل الشئ نفسه وكان يتقاضى أيامها راتبا لايزيد على ١٠ آلاف جنيه وربما أقل من ذلك . ثم ما هى قيمة المدرب مع فقر القماشة الموجودة ؟ ومادمنا لن نكسب كأس العالم ولن نصعد إلى المربع الذهبى فى أية كأس عالم . فلماذا لانوفر فلوسنا ونستعين بأى مدرب ، ولدينا منهم الكثير والحمد لله من أول حسن شحاتة إلى حسن مجاهد إلى حسن ياخولى الملاعب يا حسن ؟ ..

صدقونى إذا قلت لكم إن دفع راتب لأى إنسان قدره ٢٠٠ ألف جنيه شهريا هو حرام ، إلا

إذا كان الراتب لعالم ذرة أو مخترع طائرة حربية أو قائد جيش عبقرى فى قامة روميل أو مونتجمرى . أما مدرب كرة .. فاسمحلى، إلا إذا جاء إلى القاهرة ومعه فريق البرازيل أو فريق إيطاليا أو فريق الأرجنتين وبشرط أن تكون مرتبات الكباتن ضمن راتب المدرب ! ويا بتوع اتحاد الكرة .. هل تريدون حلا واقعيا للخروج من ورطتكم التى تواجهونها الآن ؟ أعيدوا الدكتور محمود الجوهرى إلى منصبه كمدير فنى للمنتخب المصرى ، وليكن ذلك اليوم أو غدا لكى يستعد لكأس الأمم الافريقية وأيضا لتصفيات كأس العالم ، ودعكم من هذه الأحلام أو الأوهام لأنكم لن تخرقوا الأرض ولن تبلغوا الجبال طولا .. وزمان يا جماعة الخير جاء أحد الدكاترة من أمريكا وذهب إلى قرية العطف بالمنوفية وألقى محاضرة على الفلاحين فى كيفية الرعاية الواجبة للجاموسة لكى يتضاعف انتاجها من اللبن . وشدد على ضرورة معاملة الجاموسة برفق مع الحرص على إسماعها بعض القطع الموسيقية ، وأن تتم عملية الحلب بالأجهزة الحديثة ، على أن ترتدى الفلاحة أو الفلاح ملابس معقمة أثناء عملية الحلب . وبعد أن صفق له الفلاحون طويلا سألوا الدكتور القادم من أمريكا ، وإن شاء الله هتسلمونا الجاموسة يوم إيه ؟ وأقول لكم كما قال الفلاحون للدكتور المحاضر : مش تجيبوا فريق الأول قبل ما تجيبوا مدرب ! وقديما قالوا .. كل من أراد شرا بمصر كبه الله على وجهه . أرجو أن يكبكم الله على وجوهكم ، ياحضرات السادة فى المجلس الأعلى للشباب والرياضة وفى اتحاد الكرة !.

●●●

يا ميت حلاوة يا جدعان على العيال الأصوليين الأبطال الذين يحاربون الجيش الروسى فى الجمهورية الإسلامية كازاخستان . انظروا إلى صورة المقاتل خطاب والمقاتل شامل ، إنهما أبطال بالفعل وهما الخالق الناطق الحجم نفسه والكسم نفسه للبطل قطز والبطل الظاهر بيبرس والبطل عزالدين أيبك التركمانى والبطل السلطان برقوق . هؤلاء الأبطال الذين هزموا الصليبيين فى المنصورة وأسروا ملك فرنسا ، وهم الذين أبادوا صنف التتار وكسروا شوكتهم فى عين جالوت ، وهؤلاء المقاتلون الجدد خطاب وشامل هم الذين مرغوا رأس روسيا فى التراب فى معركة الشيشان ، وها هم يعودون من جديد لكسر روسيا فى داغستان . هؤلاء هم الأبطال بينما الأبطال عندنا هم الذين كتبوا مقالات ضد مواطن يمثل موقع المسئولية فى مجال الزراعة . البطولة فى قاموسنا هى أن تشرع قلمك وطاخ طوخ ثم تدخل السجن فتصبح بطلا .. يا بختك .. بينما البطولة هناك أن تشرع سلاحك وهات يا حرب شرسة ضد جيش كان إلى عهد قريب من أقوى جيوش العالم . الغريب أن الدولة الروسية التى كانت بالأمس قوة

أعظم تعلن بين الحين والآخر أن قواتها الباسلة أبادت الثوار وقتلت منهم الآلاف . ثم يتضح للجميع أنها مجرد أوهام وأحلام وأن روسيا تنام عارية أغلب الليالى فيما يبدو .

وأقول لكم بصراحة .. إذا كان للعالم الإسلامى مستقبل مشرق مرموق فسيكون على يد هؤلاء الأبطال . لقد جددوا شباب الإسلام من قبل ، وسيجددون شبابه فى المستقبل ، إنهم نوع فاخر من المسلمين ونوع نادر أيضا .. وصلى الله عليه أشرف خلق الله ، قال وهو الصادق الأمين : «يأتى يوم على أمتى يصبحون فيه كغثاء السيل ، تتناوشهم الأمم كما يتناوش الأكلة قصعتها» . قيل أو من قلة نحن يومئذ يارسول الله ؟ قال : بل إنكم يومئذ لكثير، ولكن يلقى الله فى قلوبكم بالوهن ، قيل وما الوهن يارسول الله ، قال : حب الدنيا وكراهية الآخرة . ولكن هؤلاء المقاتلين الأبطال حقا لا كذبا أثبتوا من خلال معاركهم أنهم يحبون الدنيا ويحبون الآخرة أيضا .. ولا فرق إذا دخلوا معركة فإما النصر واما الشهادة ، وكلتا النهايتين مذاقهما حلو . هؤلاء ليس فى قلوبهم وهن ، ولكن الوهن فى قلوب أعدائهم .

البقية الباقية من جيش الرسول فى صدر الإسلام ، المجد لهم والنصر فى ركابهم بإذن الله ! .

الفهـــرس

صفحة

صفحة

رقم الايداع: ٢٦٨٧/ ٢٠١

الترقيم الدولى :

I.S.B.N.

977-07-0755-4